الدرر البهية في الوصايا الجامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, و أفضل الصلاة و أتم التسليم, على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين,

وبعد..

ورَّاث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باقون إلى قيام الساعة, لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله , و قد منَّ الله عز وجل على أهل الطريق الشاذلي خاصة, و المؤمنين عامة, بوارث من ورَّاث سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم, حمل لواء الشريعة عالياً, و جعله مقدماً على روحه حفظه الله تعالى, فقال: (والله لو قطع رأسي لا أتبع إلا الشريعة , و الطريقة جزء منها), و صحح أفهام كثير من المتصوفة الذين جعلوا بين الشريعة و الطريقة برزخاً و حجراً محجوراً, قال حفظه الله تعالى: (من أسقط الشريعة دون الطريقة فقد تزندق, و من أسقط الطريقة دون الشريعة فقد تفسق, لأنه ترك مقام الإحسان, و من جمع بينهما فقد تحقق), كما قال الإمام مالك رحمه الله:(من تفقّه و لم يتصوف فقد تفسق, و من تصوف و لم يتفقّه فقد تزندق, و من جمع بينهما فقد تحقق), إنه سيدي و سندي المرشد المربّي الشيخ أحمد فتح الله جامي, خليفة سيدي و سندي المرشد المربّي الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى, بسنده المتصل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . و لقد منَّ الله عز وجل عليّ بالسماع منه, و كنت أكتب بعض ما أسمع و بعض ما سمعه إخواننا منه حفظه الله تعالى و نقلوه إليَّ فجزاهم الله عني خير ما جزى أخاً عن أخيهم, و وجدت من الوفاء لإخواني في هذا الطريق المبارك, و لكل من ينشد الحقيقة, و لكل داعية إلى التصوف, و لكل غيور على دين الله عز وجل, أن أنقل إليهم بعض ما سمعته من أقواله, و بعض ما نقله إلي إخواننا عنه حفظه الله تعالى, فإن وفقت في ذلك فهو من فضل الله عز وجل عليّ, ثم من فضل أسيادي رضي الله عنهم, و إلا فمن نفسي و سوء فهمي, راجياً المولى عز وجل أن ينفعنا بها, و أن يوفقنا للعمل بها, حتى تكون حجة لنا لا علينا يوم القيامة, و الله من وراء القصد, و هو حسبنا و نعم الوكيل, و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين, و الحمد لله رب العالمين.

أحمد شريف النعسان

(حررت في غرة رجب الفرد عام 1416
من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم
الموافق 23 تشرين الثاني 1995 للميلاد).

إجازة بالورد العام و الخاص
بالطريقة الشاذلية القادرية

بسم الله الرحمن الرحيم المنعم بالإيجاد و الإمداد المنزه عن التقييد و الإطلاق, الذي نوّر بصائر العارفين بنور معرفته, و ملأ قلوبهم أنواراً وصلوا بها إلى ميادين مكاشفته, و جعل الإقتداء بهم سبباً لنيل الآمال.

و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رسول الله المنزل عليه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ و على آله و أصحابه الذين أذن لهم ببث العلم و المعرفة بالله تعالى, حتى صار الإذن سنة نبوية تداولها أهل الهمم العلية, و على التابعين له بإحسان, الداعين إلى الله بإذنه الذين يحافظون على أمانة الله حتى يبلغونها إلى نظرائهم في التقوى و المعرفة بالله تعالى.

أما بعد: فقد أذنت لهذه المناسبة و أجزت أفراداً من إخواننا في الطريقة الشاذلية القادرية العلية , لما تفرست في أخلاقهم و أحوالهم الحسنة المستقيمة على شرع الله إذناً عاماً مطلقاً في سائر الأوراد و الأحزاب الشاذلية و في الورد الخاص الذي هو ذكر الاسم المفرد ﴿ الله ﴾ الذي هو الاسم الأعظم عند أهل الله بشروطه المعروفة عندهم و من جملتهم أخونا في الله الفقيه العارف بالله التقي الأمجد سيدي الشيخ أحمد بن فتح الله جامي كما أذن لي أستاذي و شيخي سيدي محمد بن الهاشمي و أرجو الله أن أكون مأذوناً من الله و رسوله و أرجو له مثل ذلك.

فاعرف يا أخي فضل الإذن و سرَّه إذ المأذون مأمون إذ هو في ضمان الله تعالى ثم في ضمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في ضمان شيوخ الطريقة رضي الله عنهم.

ثم اعلم أن الإذن الحقيقي و الإجازة الحقيقة هي ما حصل لكم من الإذن الشفهي الباطني و الإجازة القلبية الحقيقية, فهي التي يُعمل بها و تنفعل لها القلوب و تنقاد لها النفوس.

و كن ذا حزم و عزم في تربية كل من اتخذك شيخاً له من عباد الله, و لا تستحِ من أحد في حق الله, و أوصيك بالنصيحة للإخوان و المحافظة على حدود الله في السر و الإعلان و كن بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

و أرجو لك و لهم التوفيق و أن يقينا و إياهم من سوء الطوارق و أسأل الله لكل من رام الانتظام في سلك أهل الله نفحة خير من نفحات الله تسلك بهم سبيل النجاة و تصل بهم إلى حقيقة الإيمان بجاه صاحب الجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم يتجلى الله لعباده برضاه, و الظن بالله جميل و هو حسبنا و نعم الوكيل و الحمد لله رب العالمين.

قاله و كتبه العبد الفقير عبد القادر بن عبد الله عيسى

حرر في شهر ربيع الأول /1407/هـ

الموافق في شهر تشرين الثاني /1986/م

(خادم الطريقة الشاذلية القادرية عبد القادر عيسى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

هذه لمحة قصيرة عن بعض جوانب حياة شيخنا وسيدي وسندي الشيخ أحمد فتح الله جامي شيخ الطريقة الشاذلية ، الموشيُّ مولداً ، الخالديُّ نسباً ، المرعشيُّ سكناً ، الشّافعيُّ مذهباً ، حفظه الله تعالى ورعاه ، وأطال الله بقاءه ونفعه للمسلمين آمين .

1ً– نشأته – حفظه الله تعالى– :

نشأ في أسرة شريفة نسيبة ، اشتهرت بالتقوى والصلاح والعلم إضافة إلى الشجاعة وإغاثة الملهوف . وكان جده الشيخ عبد الله جامي رحمه الله تعالى من العلماء البارزين في وقته ، وهكذا أجداده من الشيخ إسماعيل إلى الشيخ ملا جامي رحمهم الله تعالى ، أما والد شيخنا – فتح الله جامي – رحمه الله تعالى فقد انقطع عن تحصيل العلم بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى ، حيث شارك في العديد من المعارك ضد الجيوش الروسية الغازية . وكان معروفاً بشجاعته وإقدامه ، ففي إحدى المعارك فر جميع المقاتلين الذين كانوا معه أمام الزحف الروسي ، ولم يبق إلا هو ورجل آخر في أرض المعركة ، ولكن هذا لم يلبث إلا أن انسحب وهو يقول لفتح الله جامي رحمه الله : (والله ما انسحبت في عمري من أرض معركة تاركاً أي جندي خلفي يقاتل العدو إلا الآن ، وأنت غلبتني في المصابرة) . وعندما بقي وحده رحمه الله تعالى رأى من الحكمة الانسحاب ليتحيز إلى فئة من المسلمين فانسحب ، وفي طريقة وجد امرأة من المسلمين تستغيث حتى لا تكون فريسة للروس ، نظر رحمه الله تعالى فوجد المنطقة قد خلت من سكانها تقريباً فارين من الزحف الروسي المنتشر في كل مكان ، وتمر قوافل المهاجرين بجانبها وليس فيهم من يغيثها لشدة ما هم فيه ، فوقف رحمه الله عندها ووجد أنه من الواجب عليه أن يغيثها ، فأردفها خلفه على فرسه حتى ألحقها بالمسلمين آمنة مطمئنة .

لهذا السبب ولكثرة الحروب حينها لم يتمكن رحمه الله تعالى أن يتابع دراسته في العلم الشريف كأجداده رحمهم الله تعالى ، ولكن كان حريصاً على أن يكون ولده – أعني فضيلة شيخنا حفظه الله – طالب علم ويسلك طريق العلماء ، فجعله عند من يعلمه العلم الشريف ، وهو الشيخ حق شوناس رحمه الله تعالى ولكن حال بينه وبين ذلك وفاته تاركاً له أيتاماً ، وكان شيخنا حفظه الله أكبرهم سناً إلا أنه لم يتجاوز من العمر ثماني سنوات . فتأخر حفظه الله تعالى عن تحصيل العلم بسبب ظروف اليتم وتربية أخيه محمد وأخواته .

2ً–طلبه للعلم – حفظه الله تعالى – :

لما تم له من العمر عشرون عاماً بدأ بتحصيل العلم بشكل جدي دائم ، وفي نفس الوقت بدأ بالسير والسلوك في مجاهدة النفس في الطريقة النقشبندية. ولكن لم يلبث حتى أصيب في أول مراحل سيره وتحصيله في شقيقه محمد حيث توفاه الله تعالى ، فصبر على ذلك وثبت ثبوت الجبال الراسيات في الصدمة والمصيبة ، وفوض أمره إلى الله تعالى .

وتابع سيره وسلوكه وتحصيله في طلب العلم، وصار ينتقل من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة، ومن دولة إلى أخرى، وطلبه الوحيد البحث عن المكان الأنسب للسير والسلوك، وعن الأستاذ التقي النقي لتحصيل العلم على يديه، وأكرمه الله تعالى بذلك، فجميع أساتذته من أهل التصوف الخالص.

فأخذ علم الفقه واللغة العربية عن الشيخ عبد الهادي العمري البوطي رحمه الله وهو مأذون في الطريقة النقشبندية . وتابع ذلك على يد الشيخ عبد الرحمن العمري البوطي رحمه الله وأخذ منه الكثير من العلوم الأخرى ، وكذلك أخذ العلوم عن الشيخ محمد ظاهر الملاز كردي فهو أستاذ أستاذه الشيخ عبد الرحمن العمري رحمهما الله تعالى .

وكان حفظه الله تعالى وهو في حالة طلب العلم له إشارات معهم ، فمرة كان مع بعضهم في ميدان كبير في فصل الربيع وقد ازدهرت الأرض ، فنظر إلى تلك الأعشاب النظيفة المهتزة ، وقال لأستاذه : يا سيدي إن قلب الإنسان نظيف وسليم كهذا المكان ، فإن حافظ عليه من الأغيار ولم يدخل إليه غير الله تعالى يبقى سليماً نظيفاً ، ولكن إذا دخلته الأغيار والدنيا والشيطان فإنهم يعبثون به ويدوسونه ويفسدونه ، وعندها يظلم القلب بعد البياض الناصع ، كما لو دخلت البهائم هذا

الميدان وعبثت بالأعشاب وداستها . فسر أستاذه وتعجب منه لهذه اللفتة الكريمة .

ومرة أخرى كان مع بعض أساتذته بين أشجار متنوعة ، فنظر إليها بنظراته الربانية وتفكر في أحوالها وأشكالها ، ثم قال لأستاذه : يا سيدي أنا أنظر إلى هذه الشجرة المقطوعة أطرافُها التي هي في غنى عنها ، كيف استوت واستقامت وعلت ، وأنظر إلى تلك الأشجار التي لم تقطع أطرافها كيف قصرت قامتها والتوت وبقيت مع الأرض ، وكذلك المؤمن إذا قطع علائقه من الدنيا وتعلق بالله تعالى فإنه يذهب مستقيماً إلى أعلى حيث يترقى . ففرح أستاذه لهذه الإشارة .

ومرة قال لأحدهم : كأنني أشعر بالخجل إذا قلت سبحان الله ، إذا كان معنى ذلك أنزه الله تعالى عن كل صفة ناقصة ، هل هناك نقص ؟ حاشاه من ذلك تعالى وتقدس.

كيف لا يكون هكذا وكان معروفاً بصمته الطويل ولا يتكلم إلا قليلاً وعند الحاجة وكان مشهوراً حفظه الله بقلة الطعام وكثرة الصيام وحبه الخلوات وكانت أكثر خلواته شهراً كاملاً ، وكان معروفاً عند جميع إخوانه بصمته الطويل ، حتى قال لي مرة أحد طلاب العلم من الجزيرة لما رأى الدرر ووصاياه الكثيرة حفظه الله ، قال : سبحان الله هذا الذي لا يتكلم إلا القليل القليل وكان معروفاً بعزلته ، كيف يتكلم بكل هذه الحكم والوصايا ؟ ثم قال (إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقِن الحكمة) . كما ورد في الأثر .

وحين تلقيه العلوم من أستاذه الشيخ عبد الرحمن العمري البوطي رحمه الله في قرية شاوران ، حدث في شهر رمضان المبارك في ليلة العيد أن خرج من المسجد بعد صلاة العشاء لوحده وذهب إلى مقبرة القرية وهي في منطقة جبلية عالية مغطاة بأشجار عظيمة ، وهناك في المقبرة مزار للشيخ عبد الله الشاوري رحمه الله وهو أحد أجداد أستاذه الشيخ عبد الرحمن ، وكانت المقبرة مخيفةً لشدة الظلمة ولارتفاعها وبُعدها عن القرية وكذلك المزار كان مخيفاً ، الناس لا يدخلونه في النهار فضلاً عن الليل ، ولما وصل إلى المزار وقف هناك وقال في نفسه لن أدخل المزار حتى أرى شيئاً ، فقال حفظه الله تعالى : عندها رأيت أموراً عجيبة ، فبعدها دخل المزار وعلى ضريح الشيخ صندوق خشبي فجلس شمالي الضريح وقضى ليلة العيد هناك حتى أذن الفجر ورجع إلى المسجد فصلى فيه الفجر .

وكان حفظه الله تعالى وهو في حال تنقله من مكان لآخر في طلب العلم ، معتمداً على الله تعالى ومتوكلاً عليه ، ولم يسأل ولو مرة واحدة عن أسباب العيش في المكان الذي يتوجه إليه هو وأهله ، وإنما يسأل دائماً كما مر معنا عن الأستاذ وأخلاقه وصدقه وسلوكه .

وكان يقول حفظه الله تعالى عن هذا الجانب :

(أخذت علومي من المتقين ، وتأدبت بآدابهم ، حتى أجازوني بالإجازات العلمية ، وهذا من فضل الله تعالى . لقد عشت مع المتقين وأخذت الطريق من الصادقين).

وأكرمه الله تعالى بعد ذلك بغزارة العلم ، وهو شافعي المذهب ، وإن توسعه في الفقه الحنفي لا يقل عنه في الفقه الشافعي ، وقد قرأ كتاب حاشية ابن عابدين أكثر من سبع مرات دراسة وتدريساً ، وتوسع في علمه حتى اشتهر بذلك ، وأصبحت دوائر الإفتاء في تركيا ترسل إليه الكثير من المسائل لحلها ، وهو بجانب هذا يشتغل بالطريق .

ولقد بلغ من محبته للشرع الشريف الدرجات العالية ، فكان غيوراً على شرع الله تعالى ، وكل شيء أضحى رخيصاً عنده أمام الشرع ، حتى قال مرة : نحن لا ننحرف إن شاء الله تعالى ما حيينا عن شرع الله تعالى ، ولو كانت لي الآلاف من الأرواح لقدمتها روحاً بعد روح فداء لهذا الشرع . نحن لا ننحرف عن الشريعة من أجل أنفسنا ، فكيف ننحرف عنها من أجل الناس ؟.

وقال أيضاً: الشريعة حبل الله النازل من السماء إلى الأرض وهو الطريق الوحيد للخلاص من الغرق في بحر الدنيا، ومن ادعى طريقاً آخر لذلك ضل وأضل، وسلوك هذا الطريق هو اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و اتباع من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اتباع لشرع الله عز وجل.

3ً–سلوكه في طريق القوم:

كما ذكرنا سابقاً، أنه حفظه الله تعالى بدأ بالسير والسلوك عندما بدأ بطلب العلم الشريف، أخذ الطريقة النقشبندية عن سيدي إبراهيم حقي رحمه الله تعالى، ولازمه فترة طويلة من حياته ويقول حفظه الله تعالى: (ربيت على يد الشيخ إبراهيم حقي رحمه

الله تعالى، وبقيت معه حتى آخر لحظة من حياته حيث غسلته وكفنته بيدي رحمه الله تعالى) وبعد وفاته أخذ يبحث عن مرشد له، وامتد بحثه عن المرشد الجديد من الجزيرة إلى حدود استنبول، وبقي سبعة عشر عاماً على هذا الحال.

وخلال هذه الأعوام كان مجاهداً لنفسه على طريقة الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، وكان يكثر من خلواته ، حتى تعرف على شيخه في الطريقة الشاذلية سيدي الشيخ عبد القادر عيسى الحلبي رحمه الله وحصل على نسخة من كتاب الشيخ رحمه الله – حقائق عن التصوف – إلا أنه تريث ولم يستعجل بالمبايعة ، وقال : إن هذا ديني لا أستعجل في أمره ، وبقي حفظه الله تعالى عاماً كاملاً ، يقرأ كتاب الحقائق ويستخير حتى أوقفه الله تعالى على حقيقة الطريق الشاذلي المبارك ، فأرسل إلى سيدنا الشيخ عبد القادر عيسى يستأذنه في المجيء إليه ، وإن خرج من الدنيا قبل لقائه فهو يُشهد الله تعالى أنه من أهل هذا الطريق ، وأذن له سيدنا الشيخ عبد القادر بالمجيء ، ودخل الطريقة ، وأدخله خلوة لمدة عشرة أيام ، ثم أذن له بالورد العام ، وبعد أعوام أعطاه الإذن بالورد العام والخاص ، وهو الآن خليفة الشيخ رحمه الله تعالى .

وله كلمات حول هذا الموضوع نأخذ بعضاً منها :

يقول حفظه الله تعالى : طوال هذه الأعوام بعد وفاة شيخي الأول ، وأنا أبحث عن المرشد كنت في معيَّة سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى بروحانيته ، وكنت أرى الذي أراه ، ولكن ليس طلبي كشفاً ولا كرامة ، طلبي غير هذا ، حتى أكرمني الله تعالى بسيدنا الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله .

ويقول في موضع آخر: أول ما بدأت بالذكر، ما تركت الاستمداد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن سيدي الجيلاني، وسيدي ابن مشيش، وسيدي أبي الحسن الشاذلي رحمهم الله تعالى، حتى فتح لي ما فتح.

ويقول كذلك: طريقة الإمام الغزالي رحمه الله تعالى سلوكي، وطريقة الإمام الشاذلي رحمه الله تعالى مشربي، فالأولى في الرياضات والثانية في الذكر.

ويقول حفظه الله تعالى: الناس اليوم في واد والطريق في واد آخر، أين أهل الطريق من الخلوات ؟ والله إلى الآن ما شبعت من الخلوات، ولا يمكن لي أن أتركها.

ويقول حفظه الله تعالى عن غرضه من الطريق: غرضي من الطريق العبودية لله عز وجل، وأن أكون على قدم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي هو أحب الخلق إلي بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأن أكون على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبودية الذي يقول: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً) (رواه مسلم). غرضي من الطريق أن أسير هكذا، ولكن لا بد من الخدمة، ونرجو الله تعالى العون والمدد.

وهكذا تحلى حفظه الله تعالى زيادة على مواهبه الكثيرة بموهبة الفناء التام عن الناس والخلق جميعاً، والفناء التام في الله وعبوديته وشرعه، حتى قال: – من بين ما قال – لا توجد رابطة مع الشيخ في الطريقة الشاذلية بل رابطة مع رب الشيخ، وهذه الموهبة العظيمة نشأت معه في أوائل سيره إلى الله تعالى، ثم أعطي غزارة العلوم اللدنية، ولذلك لما ظهر للإرشاد كان ظهوره وتأثيره على الخاص والعام في مدة وجيزة، وفي جو الغربة والوحدة، فكل من يقرأ كلامه أو يجالسه فيسمع منه يتحول بدون شعور منه إلى الاستفادة والاستماع اللذيذ. والتعجب منه سواء كان من أهل الطريق أو غيره، وغير أهل الطريق يتعجبون أكثر لأنهم أبعد عن هذه العلوم من أهل الطريق، وهذه العلوم عندهم أندر وأعز، أما أهل الطريق فيتوقعون من مرشدهم علوماً وتأثيراً فيتحولون من الشك إلى اليقين، ومن التردد إلى التسليم.

ومن مواهبه الكثيرة التمكين والصحو التام في جميع الأحوال، وهذا الصحو التام المستمر لا يوجد إلا في كبار الكبار من السلف والوارّث السابقين.

ومن مواهبه حفظه الله تعالى فرط حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته وشرعه وسنته السنية، وهو حفظه الله تعالى لا يتكلم عن الطريقة إلا في مضمار الشريعة والسنة، حتى إن كثيراً ممن ليسوا من أهل الطريق يحتجون بوصاياه الكثيرة على المتصوفة الذين يفرقون بين الطريقة والشريعة، ويحاجون بها بعض أهل الطرق الذي يهتمون بالطريقة أكثر من الشريعة والسنة .

ويقول حفظه الله تعالى في موضوع اختلاف بعض أهل الطرق: الدين واحد لا يتعدد، والمؤمنون اختلفوا لاختلاف الأشخاص والأفهام والأهواء، فلا بد من ترك الكل واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر ونهى.

هذا هو الدين الصحيح وليس هناك طرق للولاية إلا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. وهكذا جرد حفظه الله تعالى كل من ادعى شيئاً لنفسه، وادعى طريقاً خاصاً به ليتفرد بالهيمنة على بعض الناس، وبأنه هو الذي هداهم إلى الحق، والله تعالى هو المهيمن الهادي.

ويقول حفظه الله تعالى في قدوته: من لم يقلد أسلافه لا يُعتمد عليه، ومن لم تكن عنده حرمة المشايخ محفوظة في حال حياتهم وبعدها لا يعتمد عليه، كيف يصلح أن يكون قدوة إذا لم يكن مقتدياً بأسلافه ؟ فنحن نقلد أسلافنا في الدين، ولا نفكر في أنفسنا هذا هو سلوكنا، فأنا أقلد سيدي بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى، وأقلد الإمام الغزالي رحمه الله، وكذلك شيخي الأول رحمه الله سيدي إبراهيم حقي، وسيدنا الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى. وإني التقيت بهذين الشيخين رحمهما الله، وانتفعت بهما، ورأيت كل واحد منهما موافقاً، ولكن وجد من يحبهما من الناس قليل.

سأله بعضهم مرة فقال له: يا سيدي بمَ نلت الذي نلته ؟

فأجاب حفظه الله تعالى بقوله: بثلاثة أمور، بالصدق وبالإخلاص ومحو الأنا ، وهذه من أصعب الأمور على النفس الأمارة بالسوء .

4ً–خدمته –حفظه الله تعالى – لمشايخه:

نذكر مثالاً واحداً عن خدمته لأستاذه الأول الشيخ عبد الهادي رحمه الله تعالى، مرض بعض أفراد أسرة أستاذه مرة، وطلب المريض ماء الثلج، ولم يكن حينئذ الكهرباء ولا الثلاجات، فسمع حفظه الله تعالى أن المريض يطلب ماء الثلج والوقت في أربعينية الصيف، ولم يكن هناك ثلجٌ إلا على رأس جبل، يستغرق الوصول إليه يوماً كاملاً، فذهب حفظه الله تعالى على قدميه إلى ذاك الجبل، يوماً ذهاباً ويومآ إياباً، ليحمل الثلج بالأكياس على ظهره، وتحمل المشاق حتى وصل بالبقية الباقية من الثلج. أما عن خدمته لسيدنا الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى، وخاصة عند مرضه فحدّث ولا حرج، وأهل حلب من

إخوان الشيخ رحمه الله الذين كانوا يزورون الشيخ عبد القادر يعرفون هذا فندع الحديث لهم.

5ً–صبره وتحمله للمصائب:

لقد أكرمه الله تعالى بتحمله للمصائب والشدائد والصبر عليها الشيء الكثير. وأنا أذكر بعضاً من الصور التي يتجلى فيها صبره.أولاً : خلال رحلاته في طلب العلم والسير والسلوك حيث ارتحل بأهله أكثر من عشر مرات ، ولم يرحل من مكان إلى آخر إلا ويترك بعض أولاده الصغار تحت أطباق الثرى ، حيث توفي له في تلك الرحلات أحد عشر ولداً ، غسل الجميع بيده ، وهو صابر محتسب مفوض أمره إلى الله تعالى ويشكر الله تعالى على كل أحواله ، راض بما اختاره الله تعالى له ، بل كان يقول حفظه الله تعالى : الحمد لله على كل حال ، فإني لا أعلم لو بقي هؤلاء الأطفال أحياء ربما لم أتمكن من مواصلة طلب العلم ، والسير والسلوك .

ثانياً: أصيب بولده الكبير السيد محمد صبيح رحمه الله وبابنته طيبة وكانت متزوجة رحمها الله ولم يكن لها أولاد، بعدما أن أصيب هو في نفسه بكسور كثيرة في جسده، و ذلك بحادث سيارة له حفظه الله و كان يقودها ولده محمد صبيح, ودمرت تدميراً كاملاً، وقبل الحادث توفي زوج ابنته الكبيرة الذي خلف لها ثلاثة أطفال. وكان خلال هذه الفترة من الحادث يصلي على ظهره، ثم تحسن وضعه الصحي فأصبح يصلي جالساً مدة من الزمن دون أن يتمكن من السجود، وكان يتألم من هذا الحال ويتساءل متى يعود للسجود ؟ متى يتمكن من وضع جبهته على الأرض ساجداً لمولاه سبحجبهته.الى ؟ وكان أكثر دعائه أن يمكنه الله تعالى من السجود على جبهته. حتى جاء الفرج من الله تعالى، يقول حفظه الله تعالى: والله لا أستطيع أن أقدر مدى فرحي وسروري وشكري لله حين سجدت لله تعالى أول سجدة على الأرض بعد الحادث. وسجد سجود شكر لله لأن الله أكرمه بالسجود.

ثالثاً :جُرِّد من أمواله أكثر من أربع مرات عندما كان يطلب العلم، فكان طلب العلم مقدماً عنده على المال، وترك أملاكه العقارية أثناء سفره، فانتهز الفرصة بعض أقاربه واستولى على العقارات مستغلين غيابه وانشغاله في طلب العلم، وبعد عودته من رحلاته طالب بأملاكه فأبوا عليه، فلم يدخل معهم في خصومة لحق القرابة بينهم، وفوض أمره وأمرهم إلى الله تعالى شعوراً منه بأن الله تعالى عوضه خيراً من ذلك.

6ً–رحمته وشفقته على خلق الله وخاصة اليتامى:

كيف لا يتخلق بهذا الخلق ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء] (أخرجه الترمذي).

كيف لا يرعى اليتامى ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً] (رواه البخاري) .

فكان يرعى اليتامى وهو يتيم بعد وفاة والده رحمه الله، وبعدها رعى اليتامى حتى اجتمع عنده أولاد ابنته الكبيرة التي توفي زوجها وترك لها ثلاثة من الأطفال، وأولاد ابنه محمد صبيح رحمه الله وكانوا أربعة، فضم أولاد ابنه إلى أولاد ابنته وأصبح قيماً عليهم جزاه الله خيراً.

وأما رحمته بالناس فكل من خالطه عرف مدى رحمته بالخلق عامةً، وبالمذنبين خاصة، وكان يقول: مدار الطريق على أمرين:

الأول :امتثال أمر الله تعالى.

والثاني: الشفقة على خلق الله بدون مداهنة، وكان يبكي كثيراً عندما يرى مبتلى في دينه أو جسده.

ومن شفقته على الناس وشجاعته، حدث مرةً أن كان حفظه الله في بيته، فهجم جماعة من الرجال على جار له لشيء بينهم ليهينوه ويضربوه، فأسرع حفظه الله إليهم حين رأى جاره وحيداً، ليس له أهل أو عشيرة يدافعون عنه، حاول أن يردهم بالرجاء والالتماس فأبوا إلا العنف والقسوة والغطرسة على جاره ويريدون ضربه في بيته، فأسرع حفظه الله إلى بيته وأتى بعصا كبيرة، وقال لهم ما معناه: أردت ردكم عن هذا الفقير بالتي هي أحسن فأبيتم إلا العنف، فوالله إن ضربه أحد منكم سوف أكسر هذه العصا على رؤوسكم، وصاح بهم، ففروا بأجمعهم، ولم ينالوا من جاره ماجاؤوا لأجله.

نعم لقد كان حريصاً أن يتقرب إلى الله تعالى من كل الطرق، لقد دخل على الله من باب التوابين، ودخل عليه من باب الصدق، ودخل عليه من باب الإخلاص، ودخل عليه من باب العلم والعمل، ودخل عليه من باب الشفقة على خلق الله، ودخل عليه من باب الخدمة للمؤمنين وحب الخير لهم، ودخل عليه من باب الصبر، ودخل عليه من باب الهجرة في طلب

العلم والمعرفة، ومن باب الهجرة في خدمة الطريق حتى أنه هاجر من بلده إلى حلب مدة من الزمن، فتوفرت له أسباب الإقامة فيها كالبيت والأهل وغير ذلك، ثم هاجر منها ثانيةً بكل معنى الهجرة. فتمت له والحمد لله جميع أبواب الوراثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فجزاه الله تعالى عنا وعن المؤمنين خير الجزاء، وكل ما ذكرناه أو يذكره غيرنا عنه هو غيض من فيض عن أول نشأته وسيره في طلب العلم والمعرفة، وإنه لجدير بالأمة أن تجعله قدوة وسنداً ومشعلاً منيراً في عبوديته لله تعالى، وإنه لجدير بها أن تأخذ بوصاياه النابعة من بحر أخلاقه القرآنية، وسلوكه النوراني. فلنجعل يدنا في يده حتى نصل إلى ساحل الأمان بإذن الله تعالى لنكون معه بصدق وإخلاص في السر والعلن.

كل ما ذكرناه فواللهِ إنه نقطة من بحر فيوضاته، ولقد وقفنا كما وقف الكثير من غيرنا على شيء من حقيقة الوراثة النبوية. ولكن لا يمكن للصغير أن يعرف الكبير، وهل يملك الصغير ميزاناً يزن به من هو أكبر منه ؟ وكيف يعرف طالب الصف الأول أستاذه بشكل كامل، كيف يعرف ذلك الطالب أستاذه ومدى علمه وأخلاقه وأحواله ؟ كيف يعرف ولد عمره سنة والده بشكل كامل ؟ ولكن لا بد أن نسير الخطوة بعد الخطوة بالموافقة والتسليم لوارث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن أسباب التوفيق التي منحها الله تعالى إياه الزوجة الصالحة، فعاشت معه طيلة تلك الفترات بعيدة عن الأهل والأقارب والعشيرة، وهي تتنقل معه من مكان إلى آخر متحملةً الغربة والفقر والشدائد، ويشهد بذلك كل من له معرفة بحالهم وبأسرتهم الأبية، ولم يسمع أحدٌ منها ولو بالإشارة جزعاً أو مللاً أو اعتراضاً أو طلب زخارف الدنيا لها أو لأولادها حتى النهاية. فجزاها الله تعالى عنا خير الجزاء. بل كانت معه في الرقي أخلاقاً وتعلماً وتصوفاً تأخذ من حاله وقاله حفظهم الله تعالى جميعاً.

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لموافقته ولمتابعته وأن يجعل صحبتنا له حجة لنا لا حجة علينا، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد الباقي حسن أبو منصور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين و على آله و صحبه أجمعين, و بعد : يقول شيخنا سيدي و سندي الشيخ أحمد فتح الله الجامي حفظه الله تعالى في بعض وصاياه:

﴿1﴾ لا بد من الأخذ بالشريعة المطهرة, و العمل بها, لأن الأخذ بها أخذ بالوحي السماوي الإلهي, الثابت على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم, بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام, من الرب الكريم سبحانه و تعالى, و من ترك الأخذ بالشريعة فهو واحد من اثنين :

1ً– إما أن يكون فاسقاً, لأنه ترك العمل مع وجود الاعتقاد.

2ً– و إما أن يكون كافراً خارجاً عن الدين و العياذ بالله, لعدم وجود الاعتقاد و لمخالفته للشريعة.

و الشريعة تُقَوِّم الطريقة, و تصححها, أما طريقة بدون تمسك بالشريعة فهذا لا يكون, لأن الشريعة أصل و لها مقام السيادة, و الأصل لا ينقلب إلى فرع, و السيد لا يكون عبداً و مسوداً, و طريقة بدون شريعة تفتح باب الزندقة أمام صاحب الطريقة الذي لم يلتزم الشرعَ الشريف, و هذا هو المقرر عند القوم رضي الله عنهم و نفعنا بهم. فكل من ادعى انتسابه للطريقة لا بد له من التزام الشريعة و السير في مقام الإحسان الذي هو المقام الثالث من مقامات الدين, و الذي سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه: [الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك] (رواه مسلم).

و بهذا القيد يظهر الذين صدقوا في انتمائهم للطريقة من الذين كذبوا. كثير من الناس يقولون: إن الطريقة مهمة, و لكن لا يعملون بالشريعة و لا يتمسكون بها, و ربما أخذوا بأقوال مشايخهم و تركوا القرآن و السنة. نحن نقول: الطريقة مهمة و لكن نعتقد أنها جزء من الشريعة فلا بد من الأخذ بالكل, و الولاية دليل رجحان الشريعة و الطريقة برهان الشريعة, فمن تمسك بالشريعة و الطريقة يثبت له بإذن الله انتماء إلى مقام الصديقين, و عندها يعرف عين اليقين بعد علم اليقين كيفية تبليغ الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الشريعة.

هذا هو الطريق الأساسي الذي يجمع بين الشريعة و الطريقة, فمن جمع بينهما فقد تحقق, و من اسقط الشريعة دون الطريقة فقد تزندق, و من اسقط الطريقة دون الشريعة فقد تفسق, لأنه ترك مقام الإحسان و هو جزء من الدين. نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لأن نسير سير الكمَّل من الرجال الذين جمعوا بين الشريعة و الطريقة سلوكاً و عملاً.

﴿2﴾ يجب عليكم أن تدعوا الناس إلى الشريعة, و الطريقة جزء منها, و قبل أن تدعوا طبقوا على أنفسكم, و ادعوا الناس إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . و من ادعى تقديم اسم الطريقة على الشريعة فقد ضل و أضل, لأن الشريعة نزلت بواسطة جبريل عليه السلام من الله تعالى, إلى رسوله صلى الله عليه وسلم , فأهل الطريقة هم أهل الشريعة, و من طبق الشريعة على ظاهره و باطنه فهو المسلم حقاً, و الصوفي حقاً, أما المدعي أو المتصوف زوراً و بدون التزام بالشرع الشريف فحاله أقل من أن نتكلم عنه, و الأمور بخواتيمها, و العارفون بالله عارفون من الأزل, و سوء الخاتمة إذا كتبت كتبت من الأزل. نسأل الله الحفظ و السلامة.

﴿3﴾ ليس هناك مرتبة أعلى من مرتبة التمسك بالشريعة, و يوجد بعض أهل الطرق يرجحون الطريقة على الشريعة, و هذا لجهلهم, و لو عرفوا أن الشرع وحي من الله تعالى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
و الطريقة جزء منه, لما رجحوا الجزء على الأصل. و الله لو قطع رأسي لا أتبع إلا الشريعة, و الطريقة جزء منها, و الإنسان بتمسكه بالشرع الشريف و بسلوكه في ظل معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على حقيقة الشريعة, و بعدها يقول منتهى سير الرجال شرعنا المحمدي. فخذوا بالشريعة حتى يفتح لكم ذاك النور, نور رسول الله صلى الله عليه وسلم و ليس هناك أعظم من نوره صلى الله عليه وسلم .

﴿4﴾ دليل محبتك لله عز وجل إتباعك لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ظاهرك و باطنك, و دليل محبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إتباعك لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظاهرك و باطنك, و دليل محبتك لعباد الله تعالى أن تكون صادق المعاملة معهم و أن لا تخدعهم, فكما تحب أن لا تُخدع فلا تَخدع و أكثر أهل الطريق يُخدعون لصدقهم و لإخلاصهم, يقولون: هذا لا يقول إلا صدقاً و حقاً فيتبعونه, فإذا به يخدعهم و يوجههم لنفسه لا إلى ربه, فيا طلاب العلم:

لا تستغلوا صدق الصادقين و إخلاص المخلصين لحظوظكم النفسانية بل حولوهم إلى الله عز وجل حتى يتعلموا قول الحق و لا يخشوا في الله لومة لائم, لأنهم إذا تعلقوا بالله تعالى فإنهم يأخذون بوصية الله عز وجل حيث يقول: ﴿ وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ (سورة الأنعام /152).

و إذا دعوتم أحداً إلى الله تعالى و لم يستجب لكم و غضبتم, انظروا هل هذا الغضب لله عز وجل أم لأنفسكم؟ فإن كان لله تعالى فوجب عليكم أن تنظروا في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عامل قومه عندما دعاهم إلى الله و لم يستجيبوا له, و أما إن كان غضبكم لأنفسكم فهذا من الشرك الخفي, و هذا ليس من شأن الصادقين المخلصين في الدعوة على الله تعالى, لأن الصادق

المخلص يعلم أن مراده لن يتحقق إذا لم يُرِدِ الله تعالى, و يعلم كذلك أنه ليس له من الأمر شيء فيفوض أمره إلى الله عز وجل. لذا ترى شخصاً تنفعل له الأرواح و شخصاً آخر لا تنفعل له الأرواح, كل هذا له تعلق بالصدق و الإخلاص, فلا تلتفتوا إلى مكانتكم عند الخلق على حساب دينكم, فمن التفت إلى الخلق على حساب دينه لم يبقَ له مكان في الدين و لا في الإسلام و لا في الرجولة.

﴿5﴾ علينا أن نتأدب بآداب الشريعة و الطريقة, و نتمسك بتوجيه أسيادنا لأنهم لا يتكلمون عن هوى, بل يتكلمون بالله ببركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و اللهُ لا يحرمهم من هذا, لأنهم ورّاث رسول الله صلى الله عليه و سلم, فإذا التزمنا بذلك نبتت فينا الحقيقة, و عار علينا أن لا نتمسك بآداب من سبقنا, و عار علينا أن نتمسك بالعصبية, لأنها صفة الجاهلية, و الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات/13) و رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين عربي و أعجمي إلا بالتقوى, مع أنه صلى الله عليه وسلم من العرب و لسانه عربي و كتابه عربي, فمن فرق فهو منحرف عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم , و ضل الطريق و أضل غيره.

﴿6﴾ مراقبة الله لعباده قديمةٌ, و المشاهدة من العبد لربه حادثة, يمكن أن تتغير, و الاعتماد على القديم أولى من الاعتماد على الحادث قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء/1). تفكروا في هذه الآية, و أكبر معبود مبغوض عند الله في الأرض هو الهوى, قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (سورة الجاثية/23), و لم يقل ذلك ربنا في حق أية معصية أو مخالفة إلا في إتباع الهوى, لذا نهانا عن إتباع الهوى فقال: ﴿ فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ (سورة النساء/135), و هذا أثقل من السموات و الأرض على من يفهم. و عار عليكم يا أهل الطريق أن تقولوا ما لا تفعلون, قولوا و افعلوا, و اعلموا أن الاستقامة فيها مشقة, و لكن ذا ذقتم حلاوة الإيمان و حلاوة الطاعة فإن هذه الحلاوة تدفع تلك المشقة, فإذا لم تشعروا بهذه الحلاوة فيكفيكم علمُكم بأن الله يراكم و هو القائل: ﴿ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (سورة محمد /35) و يقول سبحانه: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ﴾ (سورة الزلزلة/7).

﴿7﴾ استشعارك عظمة الله تبارك و تعالى يجعل حجاباً بينك و بين معاصيه, و ترك المعاصي مقدم على فعل الطاعات, و إذا خرجت من المعاصي عندها تعمل بمقتضى الإيمان, من استقامة, و صدق, و إخلاص, و وفاء, و حب للخيرات, و ترك للمألوفات البشرية إلا الضروريات, وهكذا رجال السلسلة رضي الله عنهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بذلك, و المهم للعبد أن يكون عبداً لله, و تلك العبودية لا تكون إلا بالتمسك بالشرع الشريف ظاهراً و باطناً, فلا بد للإنسان أن يترك ما يريد إلى ما يريده الشرع الشريف.

﴿8﴾ المؤمنون بالله عز وجل, و رسوله صلى الله عليه وسلم , على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: مؤمن ظالم لنفسه, و هو على قسمين:

1ً–عنده استعداد للترقي, إلا أنه بهذا الاستعداد لا يميز بين الحظوظ النفسية و الشهوات الدنيوية من حب الشهرة و السمعة و غيرها, و بين الحظوظ الروحية العلوية, و مع عدم و جود هذا التمييز لا يسلّم لمن يعرفه و يعلمه من أهل الاختصاص حتى يأخذ بنصحهم, و الدين النصيحة, كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2ً– عنده استعداد للترقي, و باستعداده يميز بين الحظوظ النفسية و الحظوظ العلوية, إلا أنه غلَّب الحظوظ النفسية, على الحظوظ الروحية, حتى طمسها, و لم تثمر, فهو يتخبط في الظلمات بعلم لا بجهل, و هذا القسم ظلمه لنفسه أشد من ظلم القسم الأول.

الصنف الثاني: مؤمن موافق للشريعة و الدين, حسناته أكثر من سيئاته. هذا نرجو الله عز وجل, أن يعفو عنه بفضله تبارك و تعالى, و أن لا يعامله بعدله, و من هذا القسم أكثر عوام المؤمنين.

الصنف الثالث: مؤمن سابق بالخيرات, هذا القسم غلبت علويتهم على على حظوظهم جميعها, الدنيوية و الأخروية, تركوا جميع الحظوظ, و لم تلعب بهم الدنيا و لا النفس و لا الشهوات و لا المقامات, ثابتون على الشريعة الظاهرة و الباطنة, مسلكهم و سيرهم و سلوكهم كله شهودي في مقام الإحسان, محفوظون بحفظ الله عز وجل ـرضي الله عنهمـ, و مع ذلك فهؤلاء في علويتهم لا يُنقصون من حقوقهم البشرية, يأخذونها بأمر الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وَ لَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (سورة القصص/77). و على المؤمن الصادق أن لا يجعل نفسه مقياساً لهؤلاء الكرام رضي الله عنهم, بل عليه أن يدعو الله عز وجل أن يفتح عليه و على غيره باب التحقق حتى يلتحق بهؤلاء الأولياء الكرام رضي الله تعالى عنهم و عنا بجاههم الشريف. فإن قلت: هذه المراتب العالية التي سلكها السابقون بالخيرات صعبة و شاقة, من يتبعها؟ قلنا: إن الملامة على من اتبع الهوى, و السلامة على من اتبع الهدى, فالهدىِ بَيِّنٌ و الهوى بَيِّنٌ, و ربنا تبارك و تعالى نهانا عن اتباع الهوى, و اتباع من اتبع الهوى, حتى لا يكون الهوى إلهنا. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضلُ الْكَبِيرُ ﴾

(سورة فاطر32).

﴿9﴾ الردة نوعان:

الأولى: ردة عن الدين و العياذ بالله تعالى, و هذا يُقتل لقوله صلى الله عليه وسلم:[من بدل دينه فقتلوه] (رواه البخاري و الترمذي).

الثانية: ردة عن الأخلاق الحميدة, إلى الأخلاق الذميمة, و هذه الردة تمنع ورود النور على قلب المريد, و سبب هذه الردة بُعد الإنسان عن ربه عز وجل, و البعد صفة العبد, و القرب صفة الرب تبارك و تعالى, فمن كانت صفته البعد عليه أن يتمسك بأذيال من كان قريباً من الله عز وجل, و من أقرب من الله من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ و طريق التمسك بأذيال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتمسك بأذيال القريبين منه, و من أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراثه؟ و نحن نتوسل إلى الله عز وجل أن يقبلونا معهم.

﴿10﴾ سيف الشريعة الطاهرة مسلط على عاتق المؤمن, فإذا لم يتقيد بالأوامر و النواهي الشرعية, فإن سيف الشريعة يقطع عزته و يسلمه إلى نفسه الأمارة بالسوء والعياذ بالله تعالى, فيضيع عمره بالمخالفات, و يكون مثله مثل البهائم التي تأكل ترعى في المرعى, ثم ترجع إلى المأوى, و سبب ضياعه عدم صحبته للمرشدين, و إن كان مصاحباً لهم, فبسبب عدم التسليم لهم و الأخذ بوصاياهم, فلا بد له من الصحبة مع التسليم و الأخذ بالوصايا, حتى يخرج من طبيعته البهيمية إلى الطبيعة اللائقة بحياة المؤمن السوي.

﴿11﴾ من انحرف عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو محروم من الطريقة مهما ادعى العلم و الكشف وما شاكل ذلك, فالاتباع فرض عين على السالك كما قال سيدي ابن عربي رحمه الله:

لا تقتدوا بالذي زالت شريعته عنه و لو جاء بالأنبا عن الله

لأن هذا خلاف ما أمر الله تعالى به, قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران/31) فالحب مقيد بالاتباع, فمن اتبع حصل على المحبة و الرضا.

﴿12﴾ للوصول إلى الفناء بالله تعالى أربع درجات:

الأولى: التوبة من جميع الذنوب و المعاصي.

الثانية: كثرة الذكر لله عز وجل.

الثالثة: الاتباع في العبادات و العادات لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرابعة: ترك ما سوى الله تعالى من القلب.

﴿13﴾ الله عز وجل أمر الولد بالطاعة و البر لوالديه فقال: ﴿ وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ (سورة الإسراء/23) لأن العقوق قد يقع فيه الولد, و لكنه تبارك و تعالى لم يأمر الوالدين بحبة الولد لأنهما مفطورين على محبته. و كذلك المؤمن قد يقع في الخيانة أحياناً, لذا حذره الله من ذلك فقال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنفال/27) و أمره بالعدل لتصور الجور منه, فقال: ﴿ وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ (سورة الأنعام /152) و قال: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللهَ ﴾ (سورة المائدة/8).

﴿14﴾ إذا أردت أن تدخل في مقام الكُمّل من الرجال المحفوظين, فلا بد من حفظ حدود الشرع ظاهراً و باطناً, و في الحديث الشريف:[احفظ الله يحفظك] (رواه الترمذي).

﴿15﴾ رضا الحق تعالى عن عبده مقيد بالشرع, فمن أراد أن يعرف رضا ربه عنه فلينظر إلى تمسكه بالشرع ظاهراً و باطناً, فمن تمسك بالشرع في المكره و المنشط ترقى و انتفع إن شاء الله تعالى, و رضي الله عنه بموافقته للشرع, و رضي هو عن مولاه لما أولاه من نعم.

﴿16﴾ القانون الإلهي في الأرض هو القرآن الكريم فلا يجوز للمسلم أن يخالف مواد هذا القانون, كما أن الدول لا تسمح لأي شخص كان أن يخالف مواد قانونها.

﴿17﴾ العلم نوعان كسبي و وهبي, أما الأول فتحصيله يكون بالاجتهاد و المذاكرة و المثابرة, و الثاني طريقه تقوى الله و العمل الصالح, و هذا العلم يسمى العلم اللدني قال الله تعالى: ﴿ وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾ (سورة الكهف/65)

و هذا العلم النافع الذي يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده المتقين و إليه أشار الإمام الشافعي رحمه الله بقوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

و أخبرني بأن العلم نـور و نور الله لا يهدى لعاصي

﴿18﴾ أنت مؤمن من حيث الاعتقاد و الحمد لله, و لكن لا بد من العمل بمستلزمات الإيمان, و هذا لا يكون إلا إذا طابق القول و الفعل ما استقر في القلب من اعتقاد, و في الحديث الشريف: [الإيمان معرفة بالقلب و قول باللسان و عمل بالأركان] (أخرجه ابن ماجه و الطبراني). فالمؤمن عليه أن يفعل أفعال المؤمنين, الذين ذكروا في القرآن الكريم, لأن الله عز وجل ذكر في القرآن أفعال المخالفين من كفار و سفهاء و منافقين, حتى نجتنب أفعالهم و سيرتهم, هؤلاء خربوا مستقبلهم في الآخرة فلا تكن مثلهم, كن ممن وافق عمله قوله و معتقده, و إلا اقرأ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف/3).

﴿19﴾ إذا راعيت صلاتك المفروضة مع آدابها و سننها و خشوعها فإن تلك الصلاة تجعلك تترك المخالفات بالكلية, قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ ﴾ (سورة العنكبوت/ 45) و هذا وعد قطعي من الله تعالى و الله لا يخلف الميعاد, فإذا صليت و لم تنهك صلاتك عن الفحشاء و المنكر فأعد النظر في صلاتك و تمم نقصها, و إذا أردت الصلاة هيىء قلبك لمناجاة ربك فإن الصلاة هي معراج السالكين, و صلِّ صلاة مودع.

﴿20﴾ نظر الرجال إلى النساء, و نظر النساء إلى الرجال, يذهب الحياء من الوجه, و يطفىء نور الإيمان من القلوب و في الحديث: [النظرة سهم مسموم من سهام إبليس] (رواه الحاكم) هذا السهم يدخل القلب عن طريق جارحة البصر, لذلك أمر الله المؤمنين و المؤمنات بغض البصر فقال: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (سورة النور/30) وقال : ﴿ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ (سورة النور/31).

﴿21﴾ السير و السلوك ليس بالكلام بل بالقلب, و علامته:

1ً– التمسك بالشرع ظاهراً و باطناً.

2ً– الأخذ من الدنيا بمقدار الحاجة, لأن التفكر بأفعال الله و صفاته يمنع الاشتغال في الدنيا أكثر من الحاجة قال تعالى:
﴿ وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (سورة القصص/77) و ترك العمل في الدنيا ليس دليلاً على عدم محبتها, بل هو مغاير للشرع الشريف, فيجب العمل فيها بمقدار الحاجة مع عدم تعلق القلب بها إقبالاً و إدباراً.

﴿22﴾ التوحيد في العبادة معناه: إفراد المعبود بالعبادة, و إذا ثبت عند المريد التوحيد فإنه لا يتعمد فعل المعصية, و إذا وقع فيها فإنه يتوب و يستغفر و يرجع و يكاد أن يذوب حياءً من الله عز وجل, فإذا لم يشعر بذلك و لم يكترث بفعل المعصية فعليه أن يقوي إيمانه بكثرة الذكر و تلاوة القرآن الكريم و قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فعل ذلك عظمت خشية الله في قلبه بإذن الله تعالى, و عندها يستحي من الله إذا وقع في معصية أو غفلة.

﴿23﴾ النبي صلى الله عليه وسلم له جهتان:

1ً– جهة التقدير, كما في الحديث الشريف [كنت أول الناس في الخلق و آخرهم في البعث] (رواه ابن سعد في الطبقات و هو صحيح), فمن هذه الجهة فهو صلى الله عليه وسلم نبي من جنده الأنبياء, لأنه ما من نبي بعثه الله تعالى إلا و كان يأخذ العهد من قومه أن يتبعوه صلى الله عليه وسلم إذا ظهر.

2ً– جهة الوجود, كان صلى الله عليه وسلم آخرهم في البعث. لذلك هو صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لمن مضى و لمن هو موجود في عصره, و لمن سيأتي, صلوات ربي و سلامه عليه و عليهم أجمعين.

﴿24﴾ كثير من الناس يتمنون رؤية الرسول الله صلى الله عليه وسلم مناماً, و لا شك أن رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مناماً من نعم الله على العبد, و لكن عليه أن لا يغير, لأنا ما أرنا بنص القرآن أن نطلب رؤية رسول في المنام, بل أمرنا باتباعه صلى الله عليه وسلم, قال تعالى: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (سورة آل عمران/31). فهو أسوتنا و قدوتنا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب /21) و الأسوة به صلى الله عليه وسلم والاتباع له, قولاً و فعلاً, روحاً و قلباً. و من كان هذا وصفه, فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغيب عنه لحظة واحدة, و قد يجتمع به صلى الله عليه وسلم يقظة. نسأل الله أن ينفعنا بالأولياء الكرام.

﴿25﴾ خالق المخلوقات جل جلاله, رتب صدق محبة العبد لله عز وجل, و محبته تبارك و تعالى لذلك العبد, على اتباع أفضل المخلوقات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (سورة آل عمران /31) و هذا أمر خارق للعادة, لذلك ما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المعرفة إلا الله عز وجل نسأل الله أن يوفقنا لاتباعه صلى الله عليه وسلم قولاً و عملاً, روحاً و قلباً. آمين.

﴿26﴾ مقام الخوف من الله عز وجل, يقابله مقام الرجاء من الله عز وجل, و هذا لعامة المؤمنين, فإنهم يعبدون الله إما خوفاً من ناره و إما رجاءً في جنته, أما مقام الخواص, فإنهم يعبدون الله عز وجل من مقام المحبة, لكونه إلهاً يستحق العبادة و هذا المقام أعلى المقامات و أشرف الدرجات, و هذه هي العبودية, و الفارق كبير بين من يعبد الله من مقام الخوف و الرجاء, و بين من يعبده من مقام المحبة. و على كل حال يجب أن يعتدل خوف المؤمن و رجاؤه, و أما من كان مستغرقاً في المعاصي فمقام الخوف أنفع له, و مقام الخوف على قسمين:

القسم الأول: خوف من العقوبة.

القسم الثاني: خوف من عظمته تبارك و تعالى. و من خاف من الله عز وجل تعظيماً لمقامه, كان أفضل من الذي خافه من عقوبته.

و من أراد أن ينتقل من مقام خوف العقوبة إلى مقام الخوف من عظمته فعليه بكثرة الذكر لله عز وجل, و قراءة القرآن بتدبر, و التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, و بعد أن ينتقل إلى مقام الخوف من العظمة, و يداوم على كثرة الذكر مع الحضور التام, عندها ينتقل إلى مقام المحبة بإذن الله عز وجل. نسأل الله أن يلحقنا بأسيادنا الكرام رضي الله عنهم و أرضاهم.

﴿27﴾ يا أيها المؤمن صفتك العظيمة _ الإيمان _ تأبى ألا تُقبلَ على خطاب ربك عندما يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾, فالامتثالَ الامتثالَ, و استيقظْ من رقدة الغفلة, و دعِ الشح و الحرص على جمع حطام الدنيا, فالرزق مقسوم, و دائرة الحلال تكفينا, و الخروج منها من سوء الأدب, فاستحِ من الله حق الحياء, حتى تنال مقام المتقين الذين وعدهم الله الجنة حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (سورة الدخان/51).

﴿28﴾ لا تضع الشيء في غير ما خلق له, لأنه يكون ظلماً, فإذا أمرت نفسك أي جارحة من جوارحك بارتكاب مخالفة شرعية, فلا تستجب لها, و استحِ من الله عز وجل, لأن الله عز وجل أمرك قبل أن تأمرك نفسك, فأمر الله مقدم على أمر النفس, و أمر الله إن استجبت له سعدت و حييت حياة لا شقاوة معها, و أما أمر النفس إن استجبت له شقيت شقاوة لا سعادة معها إلا إذا تبت إلى الله توبة صادقة.

﴿29﴾ ذهب أهل الحق و العرفان من القوم إلى أن الأرواح مختلفة بحسب جوهرها, و قسموها إلى قسمين:

القسم الأول: أرواح علوية نورانية, لها شعور بعالم الأرواح تستفيد بالفيض من عالم الأرواح أموراً عجيبة, و هذه الأرواح الفاضلة أنواع:

1- أعلى هذه الأرواح و أقدسها أرواح الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و على رأس هذه الأرواح, روح الأرواح روح سيد الكائنات عليه الصلاة و السلام, و إن الله عز وجل لما أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع في نفوسهم جميع أنواع الفضائل و نفى ضدها عنهم. نسأل الله أن ينفعنا بهم.

2- من الأرواح الفاضلة النورانية أرواح الأولياء رضي الله عنهم, و لما كانت هذه الأرواح تابعة لأرواح الأنبياء عليهم الصلاة و السلام, متشبهة بها صدرت عن أرواحهم آثار عجيبة, نفعنا الله بهم.

3- من الأرواح الفاضلة, أرواح أصحاب الفراسة, و هي تستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الباطنة, و هو استدلال صحيح قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (سورة الحجر/75) و قد قال صلى الله عليه و سلم: [اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله] (رواه الطبراني و الترمذي).

القسم الثاني: أرواح كثيفة كدرة, مشغوفة بالجسمانية, لا حظَّ لها من عالم الأرواح و العياذ بالله قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الْأَبْصَارِ ﴾ (سورة آل عمران/13) أي إن ما حل بهم من الدمار و العذاب, لآيات و دلالات و علامات للمعتبرين المتأملين بعين البصر و البصيرة.

﴿30﴾ أولياء الله عز وجل لا يلتفتون إلى المعاريض, خوفاً من الكذب, لأن قوة إيمانهم تدفعهم إلى عدم الالتفات لذلك, مع أن المعاريض تكون أحياناً مباحة للحديث الشريف: [إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب] (رواه البخاري في الأدب المفرد), أما ضعف الإيمان و قلته فلا تمنع العبد من الكذب, نرجو الله عز وجل أن ينمي الإيمان في قلوبنا.

﴿31﴾ العبد إذا خالف أمراً من أوامر الله عز وجل, و أصر عليه و العياذ بالله, فإنه ينقص إيمانه لقوله صلى الله عليه و سلم: [لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن] (رواه البخاري) أي إيماناً كاملاً, فلنقص الإيمان يقع في المعاصي, فلا بد من الاستغفار بعد المعصية, و لا بد من كثرة الذكر لأنه بالذكر يتجدد الإيمان و يقوى.

﴿32﴾ قبل قيامك بأي عمل يجب عليك أن تصحح نيتك, لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [إنما الأعمال بالنيات] (رواه الشيخان). فإذا صححت نيتك و كانت خالصة لوجه الله عز وجل, فإن الوسوسة التي تأتي أثناء القيام بالعمل لا تضر, لأن الله تبارك و تعالى أكرمَ الأكرمين, هو الذي وفقك لتصحيح النية, و الشيطان يريد أن يحبط عملك بالوسوسة, فيشوش عليك عملك, فلا تلتفت لوسوسته فإنه أضعف من أن يحول بينك و بين قبول عملك عند الله عز وجل.

﴿33﴾ الأحكام الشرعية لا تثبت بالرؤيا, بل بالكتاب و السنة, و الأمور كلها متعلقة بالقضاء و القدر, فإذا جاء الإذن الخاص لعشرين رجلاً فرضاً فإني لا أمنع من ذلك خوفاً من الله تعالى, و خوفاً من رسوله صلى الله عليه وسلمأن أخالفه, و الإذن الخاص له جهات ثلاث:

الأولى: جهة اجتهادية.

الثانية: جهة استخارية, و الشيخ في هاتين الجهتين له الخيار في العطاء و المنع, لأن الاستخارة ليست بملزمة و الاجتهاد من باب أولى.

الثالثة: جهة قطعية ليس فيها حظ من الاجتهاد, و هذا يأتي صراحة و ليس عن طريق الرؤيا و لا الإشارة. و إذا خالف المأذون _ من أي جهة كان إذنُه _ شيخَ الطريقة و آداب أسيادنا رضي الله عنهم و وجه الناس إلى نفسه و العياذ بالله تعالى, فإن الشيخ يسحب منه الإذن, و إلا فهو خائن بتوجيه المؤمنين إلى من لا يعتد بقوله و فعله في الإسلام و آداب الطريقة. لأن المأذون ما أعطي إلا على الاستقامة, و الاستقامة الشرعية شرط للمأذون و شرط للشيخ فإذا انحرف المأذون عن الاستقامة فما هي فائدة الإذن؟ و إذا الشيخ لم يسحب منه الإذن فهو كذلك منحرف عن الاستقامة, و لذا قال ربنا عز وجل في كتابه العظيم: ﴿ وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ (سورة الأنعام/153). هذا خطاب يشمل الشيخ و المأذون على حد سواء, و رضا الله تعالى متعلق بالاستقامة. هذا أمر عام مرتبط بآداب الطريقة المأخوذة من الأقطاب رضي الله عنهم.

﴿34﴾ بنور النبوة تغير الطبيعة البشرية, وهذا النور لا يكون إلا بالإتباع والتسليم , ونور النبوة باق إلى قيام الساعة بوارث رسول الله صلى الله عليه وسلم, فمن سرى إليه ذلك الخيط النوراني وقواه بالاتباع وجاءته هزات من أعدائه و أعداؤه: نفس و شيطان و دنيا و خلق... _ و قلبه لا يطلب إلا الله فإن تلك الهزات لا تنزله و لا تسقطه ما لم يسقط من عناية الله عز وجل, بل يصبر على البلاء و المصائب حتى يلقى مولاه لقوله تعالى: ﴿ وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (سورة الحجر/99) لأن القلب الرباني و الروح الرباني لا يطلبان إلا الوطن الأصلي.

﴿35﴾ الأخذ بالشريعة ضمان لحسن الخاتمة إن شاء الله تعالى, لأنها الوحي السماوي التي بُلغت على لسان سيد المرسلين عليه الصلاة و السلام, فليس هناك أفضل منها للتقرب إلى الله عز وجل و لاتباع مبلغ الشريعة صلى الله عليه وسلم, فالمريد الصادق ابن وقته و هو يستغل وقته لتغيير طبيعته البشرية حتى يكون ظاهره بشراً و باطنه ملكاً, و هذا لا يكون إلا إذا عمل بمقتضى الإيمان.

﴿36﴾ اعلم أن اسم الواحدية يدل على أنه محيط بكل شيء, و اسم الأحدية يدل على أن كل شيء حي يشير إلى كل اسم له تعلق بالكون, فالتجلي بالواحدية يحيط بكل شيء, و التجلي بالأحدية بإراءة كل شيء لكل الأسماء.

و الحاصل : كما أن الحياة برهان الأحدية, فالموت دليل السرمدية و البقاء, ففي كل شيء له شاهدان على أنه واجب و واحد, و في كل حي له آيتان على أنه أحد صمد. فالأحدية تعلقها بالموجودات, والواحدية تعلقها بالذات, و كلُ ذي روح حي له تعلق بالصمدية.

﴿37﴾ بلاء المسلمين من أربع جهات:

1- تركهم للشريعة المحمدية ظاهراً و باطناً إلا من رحم ربي.

2- ابتلاؤهم بما ابتلي به بنو اسرائيل من تبرج النساء و العياذ بالله.

3- بعض أهل الإيمان اتخذوا الكافرين أولياء.

4- تركهم الاستشارة الإسلامية, مع أنها أمرٌ مهمٌ, أُمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. بهذه الأمر تفكك المسلمون, مع أن الله عز وجل أمرهم بالاجتماع و التعاون على البر و التقوى فقال: ﴿ وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة المائدة/2) خذوا بوصية الله عز وجل, و الأخذ بهذه الوصية هو عمل بمقتضيات الإيمان, فلا بد من التعاون و التناصح, و هذا لا يكون إلا بالشفقة و الرحمة و الأخلاق الحميدة, التعاون لا يكون بالجفوة و الأخلاق الذميمة, و قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

﴿38﴾ الإكثار من كلمة التوحيد تغير الإنسان و تجعله ذهباً صرفاً, و لكن لا بد مع كثرة الذكر من الحضور التام, و ليس هناك أفضل من الذكر بعد الصلاة و لو وُجِدَ لقُلتُه لكم, و بالذكر يترقى الإنسان و يخفف طبيعته البشرية, و معرفة الله تعالى لا تكون إلا بتخفيف الطبيعة البشرية, فإذا حصلت المعرفة و المعية مع الله تعالى فإن الطبيعة البشرية لا تطلب إلا بمقدار الحاجة.

﴿39﴾ لو عرف الناس حقيقة الذكر و قيمته, ما تركوه ليلاً و لا نهاراً, و يكون مثلهم مثل الجائع الذي إذا لم يجد شيئاً أكل الحشيش ليسد جوعه, و الذكر يوقف صاحبه على الحقائق التالية:

1- بكثرة الذكر يقف على حقيقة النفس الأمارة بالسوء, و على خبثها و مكرها, عند ذلك يخالفها و يعاديها.

2- بكثرة الذكر يقف على حقيقة الشيطان و وسوسته, فيخالفه و يعاديه.

3- بكثرة الذكر يتهيأ القلب لتلقي الأنوار, و عندها ينفسح و ينشرح و لا يرضى إلا بخالقه.

4- بكثرة الذكر تتصل الروح بخالقها, و تشتاق إلى موطنها الأصلي. و هذه هي السعادة الا بدية.

﴿40﴾ حضور مجالس الذكر في طريقتنا له ثلاث فوائد:

أولاً: الضعيف يقوى.

ثانياً: القوي يرقى.

ثالثاً: من كانت عنده شكوك و إشكالات, فإنها تزول بحضور تلك المجالس, فلا يجوز ترك هذه المجالس بدون عذر, و لو كان قوياً في سلوكه, و حضور الضعيف من باب أولى, و صاحب الإشكالات من باب أولى و أولى, إنها مجالس يباهي الله بها الملائكةَ الكرام.

﴿41﴾ عليك بقراءة القرآن الكريم و قراءة التفاسير, و اعمل بما فهمت, فإذا عملت بما علمت و تركت المعاصي, علمت علماً لدنياً بإذن الله عز وجل, و هذا العلم وهب, و إن لم توهب ذلك, فيكفيك سلامتك على دينك و إيمانك بتركك للمعاصي.

﴿42﴾ حافظوا على تلاوة القرآن الكريم في كل يوم, و عار على من كان في الطريق الشاذلي أن لا يقرأ في كل يوم جزءاً, لأنه لا يوجد أفضل من القرآن الكريم بعد الصلاة المفروضة,و فهم معاني القرآن روح لإيمان العبد, علينا أن نقوي الإيمان بتلاوة القرآن الكريم و فهم معانيه, و إذا قوي الإيمان ببركة القرآن الكريم, عندها يسهل علينا أن نتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلمو نرمي الأخلاق الذميمة, نسأل الله أن يوفقنا لذلك.

﴿43﴾ أولو الألباب هم أهل الذكر و الفكر, و يسألون الله تعالى أن يميتهم مع الأبرار, و الأبرار فوق أولي الألباب, و هم يسألون الله أن يدخلهم الجنة بغير حساب, و حسنات الأبرار سيئات المقربين, أما المقربون نسأل الله أن ينفعنا بهم, هؤلاء ليس لهم دنيا يطلبونها, و لا آخرة يفرحون بها, هم بالله و لله, مقصدهم الأعلى العبودية, بدون التفات إلى مقامات.

﴿44﴾ الورد كله بأمر من الله عز وجل و بأمر من سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم, و من قول: ﴿ لا إله إلا الله﴾, فليس لأحد أن ينكره أو يتركه. فمن أنكر فلجهله.

و من حرم الأوراد في بدايته حرم الواردات في نهايته, فعليك بالأوراد و لو بلغتَ المراد, و الذكر مع وجود الغفلة سببه قلة الذكر, فلا بد من كثرة الذكر حتى تنقل إلى الحضور, قال تعالى ﴿ اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب/41) . و هذا صعب و ليس بسهل فلا بد من المجاهدة لقوله تعالى:﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (سورة العنكبوت/69).

﴿45﴾ المريد الصادق يأخذ بوصية الله عز وجل, و ليس هناك أفضل و أكمل من وصية الله حيث يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب/41) و قيد الذكر بالكثرة, لأن الفائدة من الذكر لا تتحقق إلا بالكثرة, فإذا رأيت ثقل الذكر على لسانك اتهم نفسك بالنفاق, لأنه من أوصاف المنافقين, لقوله تعالى فيهم: ﴿ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (سورة النساء/142) فلا بد من الاستغفار و التوبة, حتى تقوى على ذكر الله, و بكثرة الذكر تخفف من طبيعتك البشرية, فلا تأخذ من الدنيا إلا بمقدار الحاجة, و عندها قلبك لا يميل و لا يرضى إلا بمولاك. فلا بد من المجاهدة و كثرة الذكر. اللهم أعنا على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك و لا تجعلنا من الغافلين.

﴿46﴾ معرفة الله تبارك و تعالى, لا تحصل إلا بعد معرفة النفس, و معرفة النفس لا تكون إلا بعد معرفة المعرِّف, و المعرفون عل قسمين, كامل و ناقص.

فالكامل: هو من كان وارثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظاهر و الباطن, فهذا يُستفاد منه.

و الناقص: من ورث علم الظاهر فقط, فلا يصلح أن يكون معرفاً على الله تعالى. لذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر رضي الله عنهما فقال: [يا ابن عمر دينَك دينَك إنما هو لحمك و دمك, فانظر عمن تأخذ, خذ الدين عن الذين استقاموا, و لا تأخذ عن الذين مالوا] (أخرجه الحافظ ابن عدي في كنز العمال) و رحم الإمام مالكاً الذي قال: (من تفقه و لم يتصوف

فقد تفسق, و من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق, و من جمع بينهما فقد تحقق) فلا بد للوارث الذي يصلح أن يكون معرِفاً أن يجمع بين الظاهر و الباطن.

﴿47﴾ ليس كل عالم وارثاً, و إلا لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: [إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه....و رجل تعلم العلم و علمه و قرأ القرآن, فأتي به, فعرّفه نعمه فعرفها, قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم و علمته و قرأت فيك القرآن, قال: كذبت, و لكنك تعلمت ليقال عالم و قرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل, ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار] (رواه مسلم و النسائي) و لكن العالم الوارث هو من كان على سيرته صلى الله عليه وسلم. و هو موجود إلى قيام الساعة, لأن الدين باق حتى يرث الله الأرض و من عليها, و الحمد لله. و لن يبقى هذا الدين بدون وارث. و الوارث له شرطان:

الشرط الأول: أن لا يطلب أجراً على دعوته, كما كان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (سورة الشورى/23) , و قال: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ ﴾ (سورة يونس/72) الشرط الثاني: أن يكون مستقيماً على شرع الله عز وجل, كما استقام النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى:﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ (سورة هود/112). انتقل النبي صلى الله عليه وسلم و بقي الدين, و إذا بقي الدين وجب أن يبقى من يدعو الناس إلى الله تعالى, و رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقل حتى ترك وارثاً و خلفاء و يقومون بمقامه صلى الله عليه وسلم مع فارق المقام, رضي الله عنهم و ألحقنا بهم.

﴿48﴾ المرشد في الطريقة هو:

1ً– من كان خبيراً في الطريق بشهادة مورثه.

2ً– من كانت عنده خبرة بإزالة العقبات من طريق السالكين كما أزالها له شيخه.

3ً– من كان داعياً إلى الله عز وجل لا إلى نفسه, لأن هذه مهمة مورث الوارث عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم, قال تعالى: ﴿ وَ دَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (سورة الأحزاب/46) .

و لا يستفيد من المرشد إلا من كان عنده التسليم التام, بعد المرافقة و الموافقة و المحبة و الخدمة, و المقصود بالخدمة خدمة الطريق, لا الخدمة الشبحية لشخصية المرشد, وإذا خَلَفتْ توجيهاتُ المرشدِ فكرَ المريد و عقلَه عليه أن يذاكره حتى لا يتوقف في سيره إلى الله تعالى لأن الله هو الغاية, فيتابع توجيهه إلى النهاية, و لا يطلب التبيين قبل أوانه و خاصة في مجال التربية و التزكية قال تعالى حكاية على لسان الخضر: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾ (سورة الكهف/70) و إحداث الذكر في أوانه.

﴿49﴾ ركن ديننا رسول الله صلى الله عليه وسلم, و خروج جسده الشريف من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ لا يعني خروج الدين من الدنيا, فهو باق لآخر الدنيا و الحمد لله, و لن يبقى هذا الدين بدون وارث, فوراث رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودون إلى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم: [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله] (رواه الشيخان).

و نعني بالوارث: هو الذي ورث الدعوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. و ورث الاستقامة عنه صلى الله عليه وسلملأن الله عز وجل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة, فقال له: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل/125) و أمره بالاستقامة فقال له: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾(سورة هود/112)

فرسول الله صلى الله عليه وسلم, استقام على شرع الله, و دعا الناس إلى تلك الاستقامة, و وراثه الكرام رضي الله عنهم استقاموا على سيرته صلى الله عليه وسلم , و قاموا مقامه السامي مع فارق المقام.

﴿50﴾ يقول بعض العارفين بالله: هناك فرق بين الشيخ الولي المرشد و بين المتمشيخ, فإذا كان هدفُ مقصِدِهِ اتحادَ الإسلام, و مسلكُه المحبة, و شعاره التزام النفس, و مشربه المحوية, و طريقه الحمية الإسلامية, هذا يحتمل أن يكون شيخاً مرشداً, أما إذا كان يريد أن يُظهر مزيته بتنقيص غيره, و يصور في خيال أتباعه خصومة الغير في صورة محبتهم لنفسه, ملقياً إلى أذهانهم أن محبتهم له تستلزم خصومة الغير فهذا ليس شيخاً, بل متمشيخ مترئس وذئب مغنم يضرب الطرقة أو الكتاب بدل الطبل ليأخذ الهدية, هذا و أمثاله يصيدون الدنيا بالدين, إما للذة منحوسة, أو تهوس سفلي أو اجتهاد خاطئ, أو ورطة أو خدعة, و هو يظن أنه يحسن, و لا يشعر أنه قد أساء للمشايخ الكرام, و الذوات المباركة, بفتح الباب لسوء الظن في حقهم. أجارنا الله من شرور أنفسنا.

﴿51﴾ لوازم دوام الحالبين يدي المرشد أمور خمسة:

أولاَ: ملازمة الشرع الشريف ظاهراَ و باطناَ.

ثانياَ: ملازمة الذكر لله عز وجل مع الحضور التام الدائم.

ثالثاَ: ملازمة المحبة, و محبة بلا عمل لا تدوم.

رابعاَ: ملازمة التسليم لأن الاعتراض سم قاتل و يخشى على صاحبه من سوء الخاتمة.

خامساَ: ملازمة الخدمة_ أعني خدمة الطريق_

﴿52﴾ إذا كنت تزعم أنك محب لشيخك فانظر في قلبك, إذا وجدته أبغض الدنيا فهذا دليل على صدقك, و إلا فلا. و جمع المال فوق الحاجة فتوى, و الاكتفاء تقوى, و قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه, و صاحب التقوى يرضى بالقليل و لا يغتر بالكثير.

﴿53﴾ البيعة بيعتان: بيعة صورية وهمية و محلها الشبح, و هذه لا تنفع كبيعة عبد الله بن أُبيّ بن سلول, و بيعة حقيقية و هذه محلها القلب.

و البيعة سبب الرضا قال تعالى:﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (سورة الفتح/18) و حقيقية هذه البيعة: الاتباع ظاهراً و التسليم باطناً.

و هذا الرضا ليس مقصور على أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلمكذلك يشمل من جاء بعدهم لقوله تعالى:

﴿ وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة/100) اللهم اجعلنا منهم آمين.

فلا بد من الالتزام بين العلة و المعلول, فمن نفى الالتزام نفى البيعة, و لا بد من الصدق من المبايع حتى يصلح دينه و دنياه.

﴿54﴾ المريد مريدان: مريد للسير و السلوك, و مريد للتبرك و هذا أكثرهم. فالأول يجب عليه أن يتخلق بأخلاق شيخه, و يأتمر بأوامره, و يجتنب نواهيه و يترك ما يهواه لما يهواه شيخه, و هذا هو الفناء بالشيخ. و الطريق ليس بالقيل و القال بل بالأعمال. الصوفية أرباب أحوال و أعمال لا أرباب دعاوي و أقوال.

﴿55﴾ الإنسان باعتقاده و أخلاقه, لا بد من مصاحبة صاحب الاعتقاد السليم و الأخلاق الحسنة حتى يسري الحال منه لصاحبه, و حال رجل في ألف رجل خير من وعظ ألف رجل في رجل, قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ كُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة التوبة/119) و هؤلاء الصادقون سيسألون عن صدقهم يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب/8) فيُسأل ماذا أردت من هذا الصدق؟ و لماذا صدقت؟

﴿56﴾ المأذون من الله و رسوله لا يميز بين نفسه و بين أفراد الطريق و لا يترفع على أحد منهم, و كلامه كلام من أذن له, فإذا تكلم كان كلامه مكسواً بالنور, و لا يرى ذلك إلا من كان قلبه منوراً و نفسه مستسلمة, و كلام غير المأذون يكون عارياً عن ذلك النور. و لا يصلح للإذن من كان فيه شائبة من حظ نفسه, و أنا لا آمن على رضا الله عز وجل لمن خالف شيخ الطريقة إذا كان سنده متصلاً برسول الله صلى الله عليه و سلم. لأن الحقيقة النبوية توجد في المرشد الكامل الصادق مع فارق المقام و منه ينتقل سر الطريق إلى الصادقين.

﴿57﴾ للمرشد شخصيتان, شخصية شبحية و شخصية إيمانية, أما الشبحية فهي قابلة للموت, و أما الشخصية الإيمانية فإنها ليست ملكاً للمرشد إنما هي من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلا تتعلق بالشخصية الشبحية, بل تعلق بالشخصية الإيمانية. فإذا ما متُ فلا تفعلوا بالذي يأتي من بعدي كما فعلتم معي و تقولون مات شيخي مات شيخي بل اتبعوه.

﴿58﴾ الشيخ الذي يجب أن نتأدب معه هو من كان عالماً بالكتاب و السنة, قائلاً بهما في ظاهره, و متحققاً بهما في سره, و يراعي حدود الله عز وجل, و لا تأخذه في الله لومة لائم, و يوفي بعهد الله الذي أخذ عليه من قِبَلِ أشياخه في حال حياتهم و بعد وفاتهم.

﴿59﴾ الإذن العام يكون أحياناً بلاء على الطريقة, لأن الناس يجتمعون على هذا المأذون و قد يكبر بنفسه, و هو لا يوجههم إلى الطريقة بل إلى نفسه, حتى إذا جاء شيخ الطريقة لا يتبعوه, فعليكم أيها المأذونون بتوجيه الناس إلى طريقهم, و ترك المخالفين و عدم التحدث عنهم, و ترك الحسد, و التخلق بالأخلاق المحمدية, و رمي الأخلاق الذميمة, وو الله إني أستحي من الله أن أقول عن نفسي أنا شيخ أنا مرشد. فكل شيء مع الله مفقود.

﴿60﴾ لا يجتمع أهل الحق إلا على رجل طرح نفسه, و لم تكن له حظوظ, و الناس كلهم لا يمكن أن يكونوا مرشدين, فلا بد من رجل واحد يجتمع الناس عليه ليدلهم على الله عز وجل, فما فات من أعمارنا من ضياع و اتباع للعصبية يكفي, فإن العمر لا عوض له, و ما حصل لنا من ذاك العمر لا قيمة له.

﴿61﴾ محبة المؤمن لنا جيدة و طيبة, و لكن من أحبنا يجب عليه أن يعمل بالطريق و يلتزم به, و لا بد له من الالتزام بباب الطريق حتى يصل إلى الجوهرة, هذا هو الحب الحقيقي و كلنا محتاج إلى هذا الطريق فنحن مع الإذن لا مع الأشباح. و الذي يتبع نفسه إذا وافقناه و اتبعناه كانت نفسه سيدة علينا, و هو مخالف لأمر الله عز وجل حيث يقول: ﴿ وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (سورة الكهف/28).

﴿62﴾ تطلبون منا الرضا و نحن نطلب منكم الصدق, و الصدق يستلزم الرضا, أما الرضا لا يستلزم الصدق. و إذا كان ما في قلوبكم موافقاً لما جرى على ألسنتكم تستفيدون في دينكم و دنياكم, و أما إذا كان لا قدر الله مخالفاً لما في قلوبكم فإنه يكون حجة عليكم يوم القيامة, و الله عز وجل يعامل العبد يوم القيامة على ما في قلبه من الصدق. و لا تنتظروا حكم الغير على صدقكم, لأنهم ليسوا واقفين على ما في قلوبكم, يكفيكم علمكم بما في نفوسكم, و ربكم أعلم منكم بما فيها.

﴿63﴾ المريد الصادق مع شيخه الواصل قد يستفيد منه في حال بعده أكثر من قربه, و الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف/19) . فالله يتولى هؤلاء الصادقين.

﴿64﴾ الانتفاع من المرشد في حال بعده يكون بشروط:

1- الاعتقاد بأن هذا المرشد متصل برسول الله صلى الله عليه وسلم, بالسند المتصل, شيخاً عن شيخ.

2- الاعتقاد بأن هذا المرشد ما جاء بنفسه, إنما جاء بإذن شيخه عن شيخه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم, و ليس داعياً
لنفسه, بل داعياً إلى الله عز وجل.

3- الاعتقاد بأن المرشد تقي نقي على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿65﴾ الشيخ المتوفى لا يتصرف في الظاهر بشيء لأن تصرفه في الظاهر انقطع بموته, و لو لم يكن كذلك لاكتفى البشر برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى و هو صلى الله عليه وسلم سيد البشر و الملائكة و لكن جاء بعده الصديق رضي الله عنه, فمن مات شيخه وجب عليه أن يتمم سيره و سلوكه على يد شيخ حي, و لا يجوز له أن يدعي أن شيخه في قبره يكمله, و مجالسة الوارث مجالسة لمورثه.

﴿66﴾ يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس/57).

الموعظة: هي ظاهر الشريعة, و فيها تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي.

و شفاء لما في الصدور: هو باطن الشريعة, و فيه إشارة إلى تطهير النفوس من العقائد الفاسدة, و الأخلاق الذميمة, هذا ما نسميه طريقة.

و هدى: هو الحقيقة, و فيه إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين.

و الرحمة: هي النبوة, و فيها إشارة إلى أنها بالغة في الكمال و الإشراق, حيث تصير مكملة للناقصين.

فالأولى: شريعة, لإصلاح الظاهر بالتقوى و التوبة و الاستقامة.

و الثانية: طريقة, لإصلاح الباطن بالإخلاص و الصدق و الطمأنينة.

و الثالثة: حقيقة, لإصلاح السرائر بالمراقبة و المشاهدة و المعرفة.

فالمريد لا ينتقل إلى عمل الطريقة إلا إذا حقق عمل الشريعة, و لا يصل إلى الحقيقة إلا إذا جمع بين الشريعة و الطريقة تحقيقاً. و لا يعتمد المريد في هذه الأمور على نفسه, بل على فضل ربه و توفيقه, فالله تعالى يقول:

﴿ وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ ﴾ (سورة القصص/68)و يقول: ﴿ وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ (سورة الأنعام/112) و في الحديث الشريف: [لن يُدخلَ أحدَكم الجنة عملُه] (رواه الشيخان) فالاعتماد على النفس من الشقاء و البؤس, و الاعتماد على الأعمال من عدم التحقق بالزوال, و الاعتماد على الكرامة و الأحوال من عدم صحبة الرجال, و الاعتماد على الله تعالى من تحقق المعرفة بالله عز وجل. اللهم حققنا بالمعرفة بك حتى نعتمد عليك يا أرحم الراحمين.

﴿67﴾ الطريق جوهرة يجب التعلق بها, و لا يجوز أن نتعلق بمن تعلق بها و لكن نحبه لتعلقه بهذه الجوهرة, و من تمسك بالجوهرة عليه بالصدق. و باب الدخول إلى تلك الجوهرة هو شيخ الطريقة كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلمهو باب الدخول إلى الله تعالى, قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (سورة الأحزاب /21) و قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ (سورة آل عمران/31). و هو ليس بغاية إنما وسيلة, و الوسيلة مقبولة عند أهل السنة, و في الحديث الشريف: [يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي, و كنتم متفرقين فألفكم الله بي, و عالة فأغناكم الله بي] (رواه الشيخان) فعليكم أن تتعلقوا بالله و رسوله و بآداب أسيادنا و بطريقة شيخنا رحمه الله, و لا تكونوا كالذين يتركون الطريق و يخرجون منه, و يذكرون اسم الشيخ رحمه الله و أقواله و هم يدْعون لأنفسهم, و لا تكونوا كالذين يتركون أمر الرسول

صلى الله عليه وسلمو يمدحون الشيخ رحمه الله, و لا تكونوا كالذين أخذوا بالشرك الخفي و تركوا الله تعالى, عليكم أن تكونوا عباداً لله و هذا حق الله عز وجل على عباده, فالله عز وجل يطلب منا أن نكون في مقام العبودية التي لا يوازيها شيء من حطام الدنيا, فمن تعلق بالعبودية كانت أعماله كلها في عبادة الله عز وجل, و لكن مع كل هذا فإنه يرى _ الذي تعلق بالعبودية_ عبادتَه غير لائقة بربه عز وجل, و كيف يراها لائقة و هو يشعر أن عجزه مختلط بطينته, و أن حقيقته العدم, و العدم تجاه الله تعالىلا يكون شيئاً, فمن كان أصله من العدم كيف يستطيع أن يؤدي عبادة لائقة بربه و بخالقه و موجده؟ و لكن مع عبادتنا و مجاهدتنا لأنفسنا نتضرع إليه تبارك و تعالى أن يوفقنا لطاعته كما يحب و يرضى, و أن يعيننا على أنفسنا و شيطاننا. و هذا هو علم التقوى, فعلينا بعد العبادة أن نستغفر و نرجع إلى فضل ربنا الذي وفقنا, و نتكل عليه لا على عبادتنا, و أن لا نرى فيها حظاً, بل نرى فضل الله تبارك و تعالى قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ (سورة البقرة/134) و لنا ما نكسب من أعمالنا. الإيمان ثابت للمؤمن بفضل الله عز وجل, و لكن النفوس فرعونية نمرودية, فلا بد من ركوبها و تذليلها, و بعد ذلك مراقبتها لأنها لا تخرج عن أصلها ﴿ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾.

﴿68﴾ من العجائب أن نصدق القواعد و لا نعمل بها, لأن التصديق بدون عمل لا يكفي كما أن الدلالة على التجارة بدون عمل لا تغني, فلا بد من معرفة القواعد أولاً و العمل بها ثانياً, قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الصف/10) دلالة أولاً و عمل ثانياً و إلا فالحجة قائمة علينا و الله تعالى يقول: ﴿ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً ۞ وَ إِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً ۞ وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ (سورة النساء/68).

﴿69﴾ الغاية من الدخول في الطريق تخليص القلب من الخلق. و الذي يقطع المريد عن الطريق أمران:

1ً – المال الحرام لأنه يتغذى به و إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

2ً– النظر إلى النساء لأنه سهم مسموم من سهام إبليس و العياذ بالله.

﴿70﴾ بعض الناس يعبد الله على حرف, و هذا لعدم صحة نيته و إخلاصه أثناء الدخول في دينه, فالواجب على العبد أن يكون صادقاً و مخلصاً في عبادته لله عز وجل. و كذلك الدخول في طريق القوم لا بد فيه من الصدق و الإخلاص. و إلا كشفته شواهد الامتحان و عندها ينقلب على وجهه فيخسر الدنيا و الآخرة و العياذ بالله تعالى, فالسالك الصادق لا يأمن على نفسه من إبليس ما دام حياً, فهو على حذر منه, و هذا الحذر لا يكون إلا بكثرة الذكر لله عز وجل, و وضع النفس تحت مراقبة الله عز وجل, فإذا كان كذلك خرج من الغفلة و دخل في حالة الحضور مع الله عز وجل, و من كان في حالة حضور مع الله, فإنه يعبد الله لله, و يخرج من دائرة الغافلين الذين وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة الحج/11)

﴿71﴾ غاية السلوك في طريق القوم رضي الله عنهم, الترقي الخلقي بالمجاهدة للنفس و إحلال الأخلاق المحمودة محل الأخلاق المذمومة, حتى يصل السالك إلى معرفة الله عز وجل, و ما دام العبد صادقاً في سلوكه في هذا الطريق فإنه يستفيد منها بإذن الله عز وجل. بمقدار ما قسم الله له منها, و أما إذا كان خائناً_ و هو لا يخفى على الله تبارك و تعالى_ فإنه لن يستفيد من هذا السلوك, لأن الله لا يحب الخائنين. و الصادق في سلوكه يعرف من حركاته و سكناته.

﴿72﴾ العبادة بدون معرفة المعبود و الدخولِ في مقام الإحسان ليست عبادة كاملة, و الغاية من سلوك المؤمنين في طريق القوم أن يصلوا إلى مقام الإحسان للحديث: [أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك]

(رواه مسلم) و من كان خارج طريق القوم فإنه لا يصل إلى مقام الإحسان, لأن الوصول إليه لا يكون إلا بمجاهدة النفس, و مخالفة الشيطان, و الإعراض عما سوى الله عز وجل, فمن جاهد و خالف و أعرض, هداه الله إلى سبل معرفته, و عبد ربه من مقام

الإحسان, قال تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت/69) فمن أسلم وجهه لله عز وجل, و انقاد له و أطاع أمره و هو في مقام الإحسان, فقد استمسك بالعروة الوثقى لقوله تعالى: ﴿ وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَ إِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (سورة لقمان/22), و من استمسك بالعروة الوثقى فلا يضل و لا يشقى. من وصل إلى هذا المقام, و صلى الصلاة المفروضة, فإن نور القرآن ينتشر في ذرات وجوده, كما تنتشر ذرات الكهرباء في جسد الإنسان إذا مسها بدون حاجب. و يتجلى الله عز وجل على عبده في تلك الصلاة. و عندها تحصل للمؤمن السالك لذة لا يوازيها شيء, و تزول مشقة الطاعة عنه, فلا يصبر بعدها عن طاعته لربه عز وجل, اللهم اجعلنا منهم.

﴿73﴾ كل حقيقة لا تصحبها شريعة لا عبرة بصاحبها, و كل شريعة لا تعضدها حقيقة لا كمال لها.

﴿74﴾ إن صحة الطريق ليست مرتبطة بكثرة العدد, بل بالحق, و الطريق يدور مع الحق أينما دار لأن الطريق من الدين و ليس شيئاً خارجاً عن الدين نعوذ بالله تعالى , و عليه تجري الأحكام الشرعية و آداب أسيادنا رضي الله عنهم, فمن ادعى علينا شيئاً عليه أن يدعي بالشريعة لأن النقد يجب أن يكون بفهم لا عن هوى, فمن ادعى شيئاً بغير دليل شرعي ثابت من الكتاب و السنة لا يُلتفت إليه, كما قال ربنا عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء/59) فالرجوع إلى شرع الله خير لنا و أحسن عاقبة. فعلينا أن لا تأخذنا في الله لومة لائم, بل علينا أن نتمسك بطريقتنا بالصدق و الإخلاص, و الصدق وحده لا يكفي بل لا بد من التبليغ مع الجرأة و عدم الخوف و المراعاة, و لا يجوز أن نرجح خاطر فلان على أمر الله عز وجل لأن أمر الله مقدس و هو الأعلى فلا يقدم عليه شيء, و الطريق يمشي و الصادقون متعلقون به, و الطريق أمامنا و نحن نسير خلفه, و من وقف على الحقيقة في الطريق لا يمكنه الانحراف و من لم يقف على الحقيقة في الطريق لا يمكنه الاتباع, و طلاب العلم إذا لم يفتح عليهم يكون علمهم بلاء على الطريق أحياناً, لأن النفس لا تخرج عن طبيعتها و الشيطان لا يخرج عن خبثه, فيا طلاب العلم:

استخدموا علمكم للوصول إلى الله عز وجل من خلال الوقوف على حقائق القرآن الكريم, و من خلال الوقوف على حقيقة الوراثة النبوية, و سر الطريق يسري من القلب إلى القلب, ففذا كان قلب الآخذ فارغاً سرى إليه سر الطريق و إن كان مغلقاً أو مملوءاً بالأغيار تحول السر إلى قلب فارغ مفتوح.

﴿75﴾ السالكون في طريق القوم على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: سلكوا الطريق, و انقادوا لأوامر الله عز وجل, و أسلموا وجوههم لله تعالى, و دخلوا في مقام الإحسان, بمجاهدتهم لأنفسهم, و إعراضهم عما سوى الله, فطلبهم من الطريق الوصول إلى الله تعالى.

الصنف الثاني: سلكوا الطريق, و خرجوا منه لضعف إرادتهم, و لتغلب الأهواء و الشهوات, و الحظوظ عليهم, و هم بذلك خالفوا الكتاب و السنة.

الصنف الثالث: سلكوا الطريق و لم يكن مطلبهم وجه الله عز وجل, بل أرادوا شيئاً من الطريق ـ حب شهرة و ظهور و تعالٍ على الخلق ـ و عندما لم يحصلوا على شيء من ذلك, أخذوا بالنقد على الطريقة و شيخ الطريقة,و بقوا صفر اليدين و العياذ بالله تعالى, مثل هؤلاء مثل الذين يعبدون الله على حرف قال تعالى: ﴿ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة الحج/11).

﴿76﴾ لا تنظر إلى الطريقة أنها غير الشريعة. بل هي جزء من الشريعة, و هي الواسطة للوصول إلى الحقيقة, و الطريقة اسم يدل على المسمى, و السلوك فيها يعني الالتزام بشرع الله من خلال قوله تعالى: ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(سورة الذاريات/56) فمن ادعى الطريقة و الالتزام بها بدون الالتزام بالقرآن و السنة, و اتباع العارفين الذين سلكوا الطريقة حتى وصلوا إلى الحقيقة, فدعواه باطلة مردودة, و يخشى عليه من الزندقة. و من خالف الشريعة فقد ضل طريق الوصول إلى الحقيقة. عليك بالاتباع لسيد المرسلين عليه الصلاة و السلام حتى تحصل لنا جميعاً محبة الله عز وجل, لأن محبة الله عز وجل لنا مترتبة و مربوطة و متعلقة باتباعه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (سورة آل عمران/31) فأعلى مراتب الولاية التمسك بالكتاب و السنة, و ليس فوقها ولاية, و من أخرج شيخه عن الطبيعة البشرية فقد أخطأ خطأً كبيراً.

﴿77﴾ فائدة الطريق و ثمرته هي التحاق المريدين الصادقين بتلك الجماعة المنورة الذين تنوروا بنور النبوة, في عالم البرزخ بعد وفاتهم, فمن فهم الطريق فإنه يرجح موته على خروجه من الطريق, لأن البيعة لله, فمن نكث في العهد فقد سقط من عناية الله عز وجل, و المسؤولية الشرعية لا تُرفع عن المؤمن إذا دخل الطريقة بل عليه الالتزام بالمسؤوليات الشرعية الظاهرة و الباطنة.

﴿78﴾ لا يمكن العثور على شيء في طريق القوم إلا بعد السير فيه, و لا يمكن السير الصحيح إلا بمساعدة من سلك الطريق قبله, و لو كان يمكن السير بدون دليل لما أرسل الله خاتم الأنبياء و المرسلين, و لما جعل النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه وراثاً بعد التحاقه بالرفيق الأعلى, فكل وارث تنور بنوره صلى الله عليه وسلم و هو بدوره ينور الطريق لمن سلك الطريق معه, و يكون حريصاً عليه حتى يوصله إلى المقصود, و المقصود أن يكون عبداً لله مجرداً من الحظوظ. و سير بدون مجاهدة لا يكون, و مجاهدة بدون عبادة موافقة للشرع لا تكون و مجاهدة بدون مخالفة للنفس الأمارة بالسوء وَهمٌ, و مجاهدة بدون بذل الغالي في سبيل الله لا تكون, و هذا لا يكون إلا بالمحبة, و محبة بلا طاعة لا تكون, سواء ثقلت العبادة و الطاعة على النفس أم خفت, فلابد من اتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم حتى تحصل المحبة منه إلينا قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (سورة آل عمران/31) هذا الخطاب الإلهي كل واحد يسمعه كثيراً, و لكنه صار عادة عندنا, و لم نتفكر في عظمة هذا الكلام, و في عظمة قائله سبحانه و تعالى, كلنا مخاطب بهذه الآية الكريمة, علينا أن نترك أنفسنا و نرجع إلى الله تعالى, من تعلقنا بحظوظنا, و نتعلق برسولنا صلى الله عليه وسلم, علينا أن نطرح التعب, و لا يمكن طرح التعب إلا بتذوقنا حلاوة العبادة الحاصلة من الطاعة, نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لذلك.

﴿79﴾ الإنسان بدون طريقة و دخول مع القوم _ مع سلامة الإيمان _ قد يدخل الجنة. و لكن لا يدخل الجنة بدون إيمان, و أغلى شيء على المؤمن إيمانه المستقر في قلبه, و كما أن أحدنا لا يحب أن يُؤذي محبوبه, كذلك يجب على المؤمن أن لا يؤذي إيمانه, و يتأذى الإيمان بحظوظ النفس, و حظوظها كثيرة, فلا تضروا إيمانكم بحظوظ أنفسكم, و لا تكونوا ضعفاء أمام أنفسكم, حتى يكون إيمانكم ضعيفاً, بل قوّوا هذا الإيمان بالتمسك بالكتاب و اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم, عندها يتولاكم الله, قال تعالى: ﴿ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف/196)

﴿80﴾ سلوك هذا الطريق المبارك لا يكون إلا بالمجاهدة للنفس, و قطع شهواتها, و قتل هواها, بالتكاليف الشرعية. و التكاليف الشرعية فوق رقابنا كالسيف الحاد, فإذا ما خالف العبد فقد عرض نفسه لقطع رقبته بسخط ربه عز وجل عليه, و العياذ بالله تعالى. و تلك المجاهدة و إن كان فيها مشقة على النفس, فإنها تزول بحلاوة الطاعة و القرب من الله تعالى,. كمن تزول أتعابه في الدنيا برؤية الدراهم و الدنانير في نهاية عمله.

﴿81﴾ حظ المريد في الطريق الشاذلي الوصول إلى الله تعالى بالقلب و الروح و البصيرة, و هذا لا يكون إلا بالتمسك بالشرع الشريف ظاهراً و باطناً, و في الحديث : [أعط كل ذي حق حقه](رواه البخاري و الترمذي) فيجب علينا أن نعطي الطريق حقه من التمسك بالكتاب و السنة, و إلا فيكون الإنسان ظالماً إن لم يعط كل ذي حق حقه.

﴿82﴾ من خدم الطريقة لله عز وجل مع الإخلاص نال عز الطريقة, و من خدم نفسه من خلال الطريقة لم يحظ بشيء (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام) هذا عندما أخلصوا دينهم, و لم يأكلوا الدنيا بدينهم.

﴿83﴾ لا تصوف إلا بفقه, إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا به, و لا فقه إلا بتصوف, إذ لا عمل إلا بصدق توجه. و لا هما إلا بالإيمان إذ لا يصح واحد منهما بدون إيمان. فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد إذ لا وجود لها إلا بها.

و التصوف أربعة أحرف: تاء و صاد و واو و فاء.

فالتاء: ترك و توبة و تقى.

والصاد: صبر و صدق و صفاء.

و الواو: ود و ورد و وفاء.

و الفاء: فرد و فقر و فناء.

فمن فهم التصوف فإنه لا يتركه و خاصة إذا ذاق الأمور المعنوية, أما من لم يفهم التصوف فليس بغريب عليه تركه ثم محاربته.

﴿84﴾ بمجرد الإيمان لا يكون المؤمن صادقاً, فلابد له من أن يعمل بمقتضى الإيمان, و من مقتضيات الإيمان الصدق, يقول الله تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ (سورة الحديد/19)

فالآية تدل على أن الإيمان بالله و رسله تجعل الإنسان من الصديقين, و لكن لا بد من العمل بمقتضى الإيمان,و إلا فكيف يكذب و هو من الصديقين؟ كيف يأكل الربا و هو من الصديقين؟ إذاً فلابد من العمل بمقتضى الإيمان. و المقبول عند الله هو الصادق, و الصادق له أوصاف:

1- أن يكون صادق بلسانه, و يكون باستواء السريرة مع العلانية.

2- أن يكون صادقاً في نيته, لا يبتغي إلا مرضاة الله تعالى.

3- أن يكون صادقاً في الوفاء بالعزم, و يكون توكله على الله تعالى.

4- أن يكون صادقاً في عزمه على خيرٍ نواه, فلا يسول و لا يسوف.

5- أن يكون صادقاً في مقاماته, من خوف و رجاء و حب و شوق...

6- أن يكون صادقاً في مناجاته لربه تبارك و تعالى.و الإنسان يعرف نفسه. بعد الله تبارك و تعالى. هل هو صادق أم لا ؟ فيجب عليه أن لا يغتر بمدح الناس و باجتماعهم عليه, و يكتفي بعلم الله عز وجل و بوجوده, و أنه يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور. و من لم يحب أن يكثر وراثُ رسول الله صلى الله عليه و سلم, فليس بصادق في محبة الله و رسوله صلى الله عليه و سلم. اللهم اجعلنا من الصادقين آمين.

﴿85﴾ يجب أن نأخذ ديننا من الصدِّيقين الذين استقاموا على العهد و ما عرف منهم التقلب. فإنا نرى أهل الدنيا يتعاملون في دنياهم مع الصادقين الذين ينصحون في الثمن و المبيع و إذا تيقنوا من غش أحدهم فإنهم لا يعودون إليه بل يحذرون منه, و يرغبون في الصادق و يوصون بذلك لذرياتهم.

﴿86﴾ الصادق مع الحق بالضرورة صادق مع الخلق, ما كان ليذر الكذب على الله و يكذب على الناس. و الحق مرٌ و لا يقبل به إلا من كان عنده دُرٌ لأن الحق من الله تعالى, قال تعالى: ﴿ وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (سورة الكهف/29).

﴿87﴾ إذا تكلمت فلا تتكلم إلا بالحق, و الحق مُرٌ و صعب على النفوس, إلا من كان عنده الدُرُّ, و كل من يتكلم بالحق هو الأقوى و الأعلى, و كلام الحق من الحق وليس منك لذلك يجب التنبه أثناء التكلم بالحق من دخول النفس فإذا تدخلت أبطلت

العمل, و هذا لا يكون إلا بسبب الغفلة. و من التزم قول الحق قلَّ أولياؤه, لأن الغالب على الناس اتباع الأهواء(ما ترك الحق لعمر من صديق).

و الحق لا يقال في كل وقت فلابد من الحكمة, و تكلم بحيث لا تضر نفسك و لا تضر مخاطبك. على سبيل المثال: المدح لأخيك فإنه قد يضره. و إذا نصحت و تضرر المخاطب من قولك فانصحه: بأن ذاك الحق تضررت منه نفسه التي هي منبع الشرور, لا القلب لأنه مركز الإيمان و هو محط نظر الرب تبارك و تعالى و الحق ينفع القلب, و ثمرة محبتك لأخيك إذا كانت في الله تظهر بإعانتك له على ترك الهوى, و من وعظ الناس بالعنف فهو محروم, و القاعدة الأساسية في الوعظ: اللين لقوله تعالى ﴿ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران/159).

﴿ 88﴾كل حادثة في الكون إنما هي بقضاء الله و قدره, و المؤمن الصادق هو الذي يفوض أمره إلى الله عز وجل, و يرضى بقدر الله تعالى, و إذا أصابته مصيبة, فإنه يكتفي بعلم الله تعالى الذي يعلم السر و أخفى, و لا يتكلم إلا بما يرضي الله عز وجل, و يخرج من علمه الجزئي إن وجد إلى علم الله, و إلا كان علمه الجزئي حجة عليه يوم القيامة يقول تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة التغابن/11)

و هداية الله للمؤمن المصاب, أنه يهديه إلى الرضا و الصبر و اليقين.

﴿89﴾ الصادق في العهد : هو من كان عازماً على الوفاء منذ إعطائه العهد, ويظل حريصا على ذلك حتى يلقى الله عز وجل, والصادق في العهد أفعاله تدل على صدقه, فمن أسر سريرة ألبسه الله رداءها, والصادقون قلة لقوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ (سورة الأحزاب/23) وأما نقض العهد فهذا شأن المرأة الحمقاء التي أشير إليها في قوله تعالى :﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (سورة النحل/91-92) فخذوا بوصية ربكم ولا تتركوا رضا الرحمن, اصرفوا همتكم في القرآن الكريم تجدوا بغيتكم فيه, فمن أراد الدر الثمين فعليه بالقرآن الكريم .

﴿90﴾ صدق الصادقين وكذب الكاذبين لا يظهر إلا إذا طرح في نار البلاء, قال تعالى :﴿ الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (سورة العنكبوت/2) فإذا طرح في نار البلاء, خرجت روائح الصبر من جوهر الصادقين. وروائح كفران النعم من الكاذبين. فيجب على المؤمن أن يعلم أن الابتلاء له كاللهب للذهب, وأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

﴿91﴾ من كان عارفا بالله عز وجل فإنه لا ينظر إلى الأشباح, ولا يلتفت إلى حظوظ نفسه وإلا فهو مريد , والمريد عليه الالتزام بقواعد الطريق وعدم الاعتراض على شيخ الطريق لأن الاعتراض سم قاتل, ويخشى عليه من سوء الخاتمة و العياذ بالله من ذلك, وخدمة الطريق بدون حظوظ نفسية صعبة جداً, وهي لا تسهل إلا على من شم رائحة التوحيد ورائحة الإيمان بسيدنا رسول الله صل الله عليه وسلم. فلا تأمن مكر نفسك مهما بلغت من المراتب, لأن استعدادها للانحراف قائم فيها قال تعالى :﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (سورة يوسف/53) ونحن لا نتهم المؤمن حاشا لله, وإنما نتهم النفوس لأن الله أخبرنا عنها, فإذا غلبت نفسك يوماً ما فلا تغفل عن حقيقتها, ولا تغض طرفك عن خداعها ومكرها, لأن الله عز وجل لا يأمرنا إلا بما فيه مصلحتنا, ولا ينهانا إلا عن ما فيه ضرر لنا. قال تعالى :﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى ﴾ , وهذا أثقل من السموات والأرض على من لا يفهم. خذوا بوصية الله لكم حيث قال تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ سورة النساء/135) .

﴿92﴾ تقوية الهمة تكون بكثرة الذكر لله تعالى بعد التمسك بظاهر الشريعة هذا في الظاهر, وبسجن النفس تحت مراقبة الله تعالى عز وجل والتخلق بالأخلاق القرآنية في الباطن. ورأس الأمر كله الصدق ومداره على أمرين :

1- صدق مع الرب تبارك وتعالى.

2- خلق حسن مع الخلق لوجه الله تبارك وتعالى وبدون مداهنة و تملق.

﴿93﴾ ما دام العبد صادقاً في طلبه من الله عز وجل أن يخلصه من أهوائه ومن رعونات نفسه, فإن الله تعالى لا يخيب ظنه, لأن هذا التغيير بمقدور الله عز وجل قال تعالى :﴿ وَ كَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ (سورة الكهف/45) فالأهواء وحظوظ النفس, والشهوات كلها بيد الله عز وجل, وهو القادر سبحانه وتعالى أن يخلص العبد منها إذا صدق في طلبه, ومن ظن أنه لن يخرج منها, فهو يستعجز قدرة الله عز وجل.

﴿94﴾ المريد الصادق في هذا الطريق المبارك تموت نفسه, ويحيا قلبه بربه فإنه لا يلتفت إلى الخلق , مهما كانت انتقاداتهم ومواقفهم, لأن هذا ليس همه, بل همه رضا الرحمن, أما الخلق فإنهم قواطع عن الله عز وجل إن مدحوا قصموا الظهر, وإن ذموا قنطوا السالك, فوجب علينا أن لا نلتفت إلى الخلق, ويكفينا علم الله فينا حيث يقول : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (سورةغافر/19).

﴿95﴾ أغلى شيء على المريد الصادق قلبه, لأنه مرآة لصفات الله عز وجل فإذا دخل القلب بعض الآلهة المزيفة, وأعظمها الهوى, فإنها تكسره, ويبقى بدون قلب والعياذ بالله تعالى فلا بد أن نعمل بما نعلم وإلا فالعلم بلا عمل جنون, كما أن العمل بلا علم لا يكون. وما ترك الناس العمل إلا لأن الدنيا تلعب بهم, كما يلعب الأطفال بالكرة, فالمؤمن الصادق لا تلعب به الدنيا ولا تغشه, فلا يخدع بعلم ولا جاه, ولا مشيخة ولا ظهور, ولا كشف, ولا خوارق عادات, لأنها مخلوقة, وهو لا يعتمد على مخلوق بل على الخالق امتثالا لأمره تعالى حيث قال :﴿ وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (سورة الفرقان /58).

﴿96﴾ من الأخلاق المحمدية مناصرة الصادق, ولو كان ضعيفاً و فقيراً, والدافع لهذه المناصرة والدعم للصادق موجود في قلب كل مؤمن, ما لم يفسد الإيمان.

﴿97﴾ الصدق إذا دخل عليه شائبة تشوب الإخلاص, من عجب وغرور, وحب ظهور وتعالٍ على الخلق, فإنه يذهب به, و بمقدار ذهاب الصدق يضعف الإيمان, لأن صاحب الإيمان القوي لا يترك الصدق بحال من الأحوال ,فهو لا تأخذه في الله لومة لائم , ولا يخشى أحد إلا الله , والله أحق أن يخشاه , كيف يترك الصدق خشية الناس ؟ ولا يترك الكذب خشية الله ؟

صاحب الصدق لا يلتفت إلى أحد من المخلوقين, ولا يلتفت إلى أي حظ من الحظوظ الدنيويةو الأخروية, لا يهمه حديث الناس مهما قالوا عنه, ولو قالوا عنه جميعاً كاذب فإن قولهم لا ينقص من صدقه ذرة واحدة, كما لو أن الناس جميعاً قالوا عن فلان أنه صادق وهو كاذب,فإنهم لا يجعلون فيه ذرة واحدة من الصدق, الصادق من كان صادقاً عند الله و الكاذب من كان كاذباً عند الله قال تعالى: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب/8) هذا الصادق الذي خرج عن كل حظوظه الدنيوية و الأخروية هو الذي ينفعه الله بصدقه يوم القيامة, لقوله تعالى: ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة المائدة/ 119) عندما خرجوا من حظوظهم نالوا جنات عدن, و تُوجوا بعد ذالك برضا الله

عز وجل عنهم بموافقَتهم لمولاهم, و رضوا عن الله عز وجل بما حباهم من نعم, و أكرمهم بالنظر إلى وجهه الكريم حيث قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (سورة القيامة/23) و إن لم يكن الصادقون . الذين خرجوا عن جميع حظوظهم . أصحابَ هذا المقام, فمن هم أهل هذا المقام؟ جعلنا الله تعالى منهم. آمين.

﴿98﴾ المؤمن الصادق الذي خرج من جميع حظوظه يكرمه الله عز وجل بملكة دينية, و بها تصبح فراسته قوية, فيفرق بفراسته بين الموافق و المخالف, لأن ظاهر الناس يدل على باطنهم و في الحديث الشريف: [اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله] (رواه الطبراني و الترمذي) و لا يمكن أن ينظر بنور الله إلا إذا صفت سريرته, و من صفت سريرته جرى الصدق على لسانه بدون

تكلف. هذا الصادق لا يغتر بمدح المادحين, و لا يتأثر بذم الذّامّين, لأن كل شيء مع الله مفقود, سواء كان مدحاً أم ذماً, و الله عز وجل أعلم بأحوال عباده.

﴿99﴾ المؤمن الصادق لا يأمن على نفسه من أن تدخل عليه شائبة تشوب الإخلاص, فهو على حذر و خوف, و كلما كملت شخصيته كلما عظم خوفه من الله, و خشي على نفسه أن يحبط عمله من حيث لا يدري, لذلك كان سيدنا عمر رضي الله عنه, يسأل سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه و سلم, يا حذيفة: أسألك بالله هل تجد لي اسماً مع أسماء المنافقين؟ إذا كان حال الفاروق رضي الله عنه هكذا, فكيف يجب أن يكون حالنا؟ كأن الواحد منا أخذ الضمان لنفسه من ربه بأنه من أهل الصدق و الاستقامة و الله تعالى يقول: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف/99).

﴿100﴾ الصدق صفة كسبية و ليست وهبية, لأنه داخل في دائرة التكليف حيث قال صلى الله عليه و سلم: [عليكم بصدق فإن الصدق يهدي إلى البر, و البر يهدي إلى الجنة, و ما يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً] (رواه البخاري و مسلم), و الله تعالى أمر المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين حتى يكتسبوا هذه الصفة منهم فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة التوبة/119)و لما كان الصدق كسبياً, و بإرادة المؤمن, أمر الله به عباده, و بالكينونة مع أهله, و وعدهم بالجنة و برضاه عليهم حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة المائدة/ 119).

﴿101﴾ رأس كل العبادات الإخلاص, والبناء على الصحيح صحيح, والبناء على الفاسد فاسد, والإخلاص محله القلب, فلا بد من تفتيش القلب عن إراداته كلها, فإن وجد فيه خلاف الإخلاص وجب رميه, لأن العبد قد يقوم بالعبادات وتكون في شبحها موافقة للشرع. ونحن نقول : صلى وصام وذكر وأمر ونهى .....ولكن إذا فقد منها الإخلاص فلا قيمة لها, وبالتالي لا تقوى جنود القلب على جنود النفس, وجنود النفس تفسد الأعمال الصالحة, فلا بد من الإخلاص في كل العبادات, وبعد ذلك نستغفر و نتضرع إلى الله عز وجل في أن يتقبل منا تلك الإعمال وألا يضرب بها وجوهنا إنه المستعان .

﴿102﴾ صاحب العلم ينظر إلى الأعلى و صاحب الإخلاص ينظر إلى الأسفل أي ينظر إلى أصله, و أصله العدم, و المخلص بإخلاصه يصل إلى العلم, و صاحب العلم ينزل إلى الأسفل إذا لم يقترن عمله و علمه بالإخلاص.

فمن وقف على هذه الحقيقة خرج من البين و عندها يرفع إلى أعلى عليين, و إلا فقد ينزل إلى أسفل السافلين بسبب غروره بما آتاه الله من النعم و حُجب بها عن المنعم. فالإنسان لا يكبر و تعظم مكانته إلا بالقرآن الكريم و باتباعه لرسول الله صلى الله عليه و سلم, فإذا تمسك بالكتاب ظاهراً و باطناً و اتبع الرسول صلى الله عليه وسلمفي ظاهره و باطنه كان محبوباً عند الله عز وجل, و عندها يُلقى له القبولُ بين المؤمنين, فيجب علينا أن لا نعطي الإنسان فوق طاقته و لا فوق قامته لأن ذلك يوقعه في الغرور.

﴿103﴾ من كان من أهل الدنيا و كان مخلصاً لها فإنه لا يفرط فيها, و الدنيا كلها لا تعدل عند الله جناح بعوضة, فوجب على أهل الين الإخلاصُ لدينهم و أن لا يفرطوا فيه, و الغيرة على أولياء الله من الدين, و و الله غيرتي على أولياء الله تعالى كغيرتي على ديني و إيماني.

﴿104﴾ العبودية الحقة لله عز وجل هي الغاية, و ليس فوقها شيء حتى يطلبه السالك في طريق القوم, و هذا من حق الطريق الشاذلي على مريديه, فالعبد الصادق المخلص لا يطلب شيئاً من الكشف و الكرامات و خوارق العادات أو الحظوظ النفسية من هذا الطريق, بل يطلب أن يصل إلى مقام العبودية لله تعالى, و لكن قد يعطي الله عز وجل بعض الذين يدخلون في هذا الطريق شيئاً مما

ذكر رحمةً منه بهم و اختباراً لهم فإذا تعلق العبد بشيء من تلك الكرامات و الخوارق سقط من عناية الله عز وجل, و أما من اطمأن للمعبود و عرف المقصود فإنه لا يغتر بذلك و لا ينحرف عن مقصوده.

﴿105﴾ الشيطان ليس له طريق على المخلصين لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (سورة الحجر/42) و من أثبت إخلاصه بنفسه فهو ليس بمخلص لأن حقيقة الإخلاص لا تكون إلا بخروج النفس من الفعل لذا نخاف على إخلاص المخلصين.

﴿106﴾ العمل المقبول عند الله عز وجل ما كان خالصاً له تبارك و تعالى, و لكن إذا دخل على العمل حظ من حظوظ النفس, فإنه لا يُقبل عند الله عز وجل, و يقال لصاحبه يوم القيامة كما جاء في الحديث: [عملت ليُقال و قد قيل] (رواه الترمذي) فعلى المؤمن أن لا يكون حريصاً على كثرة العمل, بل عليه أن يكون حريصاً على الإخلاص في العمل, قليل من العمل مع الإخلاص, مرجح على عمل كثير بدون إخلاص, و الإخلاص بمقدور العبد, لأن الله عز وجل لا يكلف عبداً بشيء إلا إذا كان بوسعه, فإذا ترك مراد الله عز وجل لمراد نفسه, خسر الدنيا و الآخرة, و أما من عمل بمراد الله عز وجل و ترك مراد نفسه, سعد سعادة لا شقاوة فيها في الدارين, اللهم اجعلنا منهم. آمين.

﴿107﴾ إذا حدثتك نفسك بالرياء, في عبادة من العبادات, أو فيما أسبغ الله عليك من نعم, فقل لها: إن الذي خلقك, و خلق لك هذه النعم, و وفقك للطاعة و الفضائل إنما هو الله عز وجل, لأن الله تعالى مصدر كل النعم, الظاهرة و الباطنة, الحسية و المعنوية حيث قال تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (سورة النحل/53) و طالما أن الله هو مصدر النعم, و هو الموفق لكل طاعة, فإذا نسب العبد النعم و الطاعة و الفضائل لنفسه و أنها بحوله و قوته فقد عرض تلك النعم إلى الزوال, لذلك قال ربنا عز وجل: ﴿ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (سورة آل عمران/140), إذا قلت ذلك لنفسك يكون القدر أمامك, و كأنه يقول لك: إن الله هو الذي أعطاك هذه النعم, و وفقك للطاعة و الفضائل, فلا تعرضها للزوال بغرورك و ريائك و احذر أن تكون من الفراعنة, عند ذلك تذهب فرعونيتك بإذن الله, و يحل محلها العبودية المحضة لله عز وجل, و ترى عبادتك غير لائقة بربك عز وجل, فتستغفر الله عز وجل, و ترجوه القبول.

﴿108﴾ العبادة لله عز وجل, حتى تكون مقبولة عند الله لا بد من تحقيق شروطها:

1- الإيمان بالله عز وجل و الإيمان برسوله صلى الله عليه و سلم.

2- أن تكون موافقة للشرع الشريف, و لسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم.

3- أن تكون خالصة لوجه الله, و ليس فيها شائبة تشوب الإخلاص.

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (سورة الكهف/ 110) و من عرف فضل العبادة و قيمتها يجب عليه أن يتقنها و لا يسرع فيها, حتى لا يلعب به الشيطان و يكون زمامه بيده, لأن الشيطان إذا لم يستطع أن يفوت على السالك العبادات والأذكار وجهه إلى السرعة فيها, حتى لا يتذوق حلاوة العبادة و الذكر, و بالتالي تفوته فائدة العبادة و الذكر, فعلى السالك أن يقوم بالعبادة و الذكر بالشروط السالفة, في أوقاتها و أن لا يسرع في العبادة و الذكر, حتى يتذوق حلاوة العبادة و الذكر, و يجني ثمراتها.

﴿109﴾أسباب سعادة المرء في الدارين أربعة أمور :

أولاً: تنزيه القلب بتوجيه إبرته إلى حضرة ربه تبارك وتعالى .

ثانياً: اتباع الرسول صل الله عليه وسلم قولاً وعملاً بالتمسك بالكتاب والسنة .

ثالثاً: معاملة الأحباب والأصدقاء بالمودة .

رابعاً: معاملة الأعداء بالعدل .

﴿110﴾ سعادة الدنيا بثلاثة :

1- لقاء الأحباب للتعاون من أجل طاعة الله لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (سورة المائدة /20).

2- تلاوة القرآن الكريم في التهجد امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾ (سورة الإسراء/79).

3- ذكرك لمولاك في مكان خالٍ لقوله عليه الصلاة والسلام :[ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه] (رواه الشيخان).

﴿111﴾ إن العبد محجوب بنفسه عن الله تبارك وتعالى , فهو لا يراه ببصيرته, مع أنه مؤمن بوجوده, ويعلم أن وراء المتغيرات والمتحيزات موجوداً خالقاً لها, لا يمكن أن ينكره, لأن دلائل وجوده أكثر من أن تحصى وتعد, ولكن هذا الإيمان إيمان اعتقادي عقلي وهو إيمان عوام المؤمنين. وهذا العبد بسبب حجابه يقع في الغفلة وبعض المخالفات الشرعية, والله تعالى موجود قريب منه, بل هو أقرب إليه من حبل الوريد, ظاهر في خفائه, خفي في ظهوره, هو الظاهر والباطن.

ولكن العبد لم يصل بعد إلى الإيمان الشهودي حتى يقول كيف أخالفه؟ أو كيف أعصيه؟كيف أخون وهو تبارك وتعالى معي؟ .. لذلك حذرنا الله تعالى نفسه بقوله ﴿ وَ يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة آل عمران /28)

وبقوله تعالى ﴿وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة الحديد / 4) وقوله تبارك تعالى: ﴿ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (سورة ق /16) كل هذا ليخرج العبد من غفلته عن وجود ربه تعالى معه, ولينتقل من الإيمان الاعتقادي العقلي, إلى الإيمان الشهودي, و حتى يخرج العبد من غفلته, و ينتقل إلى الإيمان الشهودي لا بد له من خمسة أمور:

1- التمسك بظاهر الشريعة و باطنها.

2- التمسك بسنة الرسول صلى الله عليه و سلم.

3- كثرة الذكر لله تبارك و تعالى مع الحضور التام الدائم.

4- رمي الأخلاق الذميمة و التحلي بالأخلاق الكريمة.

5- تفتيش القلب عن نيته, في إراداته و أفعاله و أقواله ماذا يريد منها؟ فإن وجد فيه ما يخالف الإخلاص الذي هو سر من أسرار الله يستودعه الله قلب من أحب من عباده وجب عليه أن يزيله و يرميه حتى يكون عبداً مجرداً لله تبارك و تعالى. فإذا ثبت له الإيمان الشهودي فلا يمكن أن يخالفه و هو حاضر معه, يراه ببصيرته يقيناً بدون تشبيه و لا كيف, لأنه تعالى قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى/11) فإذا حصلت له تلك المعية و هو ينظر إلى ربه بأنه أقرب إليه من نفسه, و هو صادق مع الطريقة المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلمو متجرد من حظوظه النفسانية يتجلى الله عليه بالتجليات الذاتية و الصفاتية, أما تجليات الذات: عندها يذوب عن نفسه و ما كان متعلقاً بها, و تمام هذا في الآخرة لأن دار الدنيا ضيقة قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (سورة القيامة/23). و أما تجليات الصفات: ثمرتها في الدنيا من واردات و أنوار و استقامة ... كلامنا هذا مع السالكين الذين يريدون وجه الله تعالى و رضاه فقط, لا حباً في زخارف الجنة و لا هرباً من نار جهنم.

﴿112﴾ التخلص من الذنوب بثلاثة:

1- التوبة, للحديث الشريف: [التائب من الذنب كمن لا ذنب له] (رواه ابن ماجه و الطبراني) و التوبة يجب أن تكون صادقة, و قد وصف الله تعالى حال الصادقين في توبتهم في القرآن حيث قال: ﴿ وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ (سورة التوبة/118).

2- عمل الحسنات, قال تعالى ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (سورة هود/114)و في الحديث الشريف: [و أتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها] (رواه الترمذي).

3- الصدقات, لقوله صلى الله عليه و سلم: [الصدقة تطفىء غضب الرب] (رواه الطبراني).

﴿113﴾ الفرق بين التوبة و الإنابة:

التوبة: هي رجوع العبد إلى الله تعالى خوفاً من العقوبة.

و الإنابة: هي رجوع العبد إلى الله تعالى حياء منه و شوقاً إليه تبارك و تعالى. و الفارق كبير بين الرجوعين.

﴿114﴾ العبد تحت مراقبة الله عز وجل, و هو تبارك و تعالى يتولاه و يرعاه قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء/1) و مقام المراقبة هو مقام تجليات الذات, و هذا المقام يورث الخوف أكثر من الفرح, أما مقام المشاهدة أكثر تجلياته تجليات الصفات, و هذا المقام يورث الفرح, و هو نزهة العارفين بالله تعالى.

و على كل حال طرق الولاية لله عز وجل متعددة و كل واحد من أسيادنا رضي الله عنهم, يتكلم حسب خصوصيته.

﴿115﴾ الذي يرى المعصية خير من الطاعة. من حيث أثرُها على القلب. هذا من الشيطان فإنه يزين له المعصية و العياذ بالله تعالى حتى يقع فيها, و لكن إذا انكسر القلب بعد المخالفة و ضاقت عليه نفسه و ضاقت عليه الأرض بما رحبت كما قال تعالى: ﴿ وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ (سورة التوبة/118). فإن تلك الذلة بعد المعصية خير من الغرور بالعبادة و بشرط ألا يرجع إلى المعصية.

﴿116﴾ القبض و البسط كلاهما من طبيعة البشر, و العبد بينهما, و أحياناً يكون القبض أفضل من البسط, و العبد في كلا الحالين عليه أن يراقب الله تعالى في عبوديته, و أنه تحت مراقبة الله جل و علا, و بهذه المراقبة يستنكف عن المعاصي.

﴿117﴾ الأنس بالله تعالى لا يكون إلا لمن:

1- كملت طهارته الظاهرة و الباطنة قال تعالى: ﴿ وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (سورة المدثر/5) .

2- صفا ذكره, و الذكر ليس مقصوداً لذاته بل هو وسيلة إلى المذكور جل و علا.

3- استوحش من كل شيء.

﴿ 118﴾ كمال سعادة الإنسان في أمرين:

1- تعظيم أمر الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (سورة الحج/32).

2- الشفقة على خلق الله عز وجل و النظر إلى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلمبالشفقة و الرحمة بدون مداهنة و خاصة مع من تمسك بنفسه. و كمال الطريق صدق مع الحق و خلُق مع الخلق.

﴿119﴾ الاستقرار والاطمئنان لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب والسنة, لأن الاستقرار والاطمئنان من الله عز وجل, وليس من الإنسان, لذا إذا حاول أن يوجد العبد هذا الاستقرار من نفسه بنفسه, فإنه يكون عاجزا عن ذلك, أما من الله فهو ممكن, والله رتب هذا الاستقرار والاطمئنان على الاستقامة الشرعية.

﴿120﴾ كلما أدرك الإنسان عجزه وضعفه وجهله أدرك عظمة ربه تبارك وتعالى فإذا أدرك عظمة ربه عز وجل فإن قلبه لا يرضى إلا بمولاه ولا يتعلق إلا به, ولا يتعلق بالفاني لأن من تعلق بالفاني فهو إلى فناء, قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة القصص/88) .

﴿121﴾ إذا كان القلب صافياً فإن الجوارح لا تخون, لأن القلب هو السلطان على الجوارح كلها, فإذا فسد فسدت الجوارح كلها ووقعت في المعصية, وإذا صلح صلحت الجوارح, وصلاحه بذكر الله عز وجل, وإذا استشعر القلب معية الله تعالى فإنه لا يأنس إلا به, فإذا حصلت منه الغفلة فإنه يتألم, فلا بد من كثرة الذكر مع الحضور. اللهم ارزقنا الحضور التام الدائم.

﴿122﴾ عظمة الله عز وجل وقربه من العبد لا يمكن إنكاره إلا من غافل, فإذا استشعر عظمة الله وقربه منه, ف, فإذا استشعر عظمة الله وقربه منه, فإن قلبه لا يسكن إلا له, ويتذوق طعم الإيمان, وهذا لا يكون إلا لأهل السير و السلوك, وحديث هؤلاء عن هذا المقام تجد فبه الحيوية, لأنهم يتكلمون عن ذلك ذوقاً وشهوداً, جعلنا الله منهم آمين.

﴿123﴾ إذا باشر الإيمان بشاشة القلوب, وتيقن العبد قربه من الله, وقرب ربه منه, حين ذلك تفرح روح الإنسان بخلاصها من شر النفس الأمارة بالسوء, وبوصولها وقربها من ربها عز وجل, أما إذا ضعف الإيمان ولم يصل إلى بشاشة القلوب, عندها تتغلب النفس الأمارة بالسوء على صاحبها, وتغلبه الطبيعة البشرية, ويكون في حال قبض وحزن. وفي كلا الحالين على العبد أن لا يغتر بالفرح ولا يقنط بالحزن, فإن الله تبارك وتعالى يقول:﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ .(سورة غافر/3)

﴿124﴾ النفس من طبيعتها أنها أمارة بالسوء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (سورة يوسف/53) هذه النفس لا تخرج عن طبيعتها وخبثها بالكلية, ما دامت الروح في الجسد ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ فالرحمة من الله عز وجل, والإرادة بيد العبد, فإذا استعمل العبد إرادته, بسجن نفسه تحت مراقبة الله عز وجل, ووقف عليها تناله رحمة الله عز وجل ويترقى حتى يصل إلى النفس المطمئنة ولا يغفل عن نفسه الأمارة. أما الإنسان إذا كان غافلاً عنها, وجاهلا بمكرها وخداعها فإنها تتكبر وتتعالى وهو لا يشعر, كمثل الإنسان إذا غفل عن قص أظافره فإنها تنمو من حيث لا يشعر, لذلك يجب على المؤمن أن يراقب نفسه ويبقيها مسجونة تحت مراقبة الله الذي لا يغفل قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء /1)

﴿125﴾ إن الله تبارك وتعالى أمرنا أن نجاهد أنفسنا, ونقطع شهواتنا, ونقتلها بالاستقامة الشرعية, حتى تكون الجنة هي المأوى, فقال الله تعالى:﴿ وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (سورة النازعات/40–41). ومن أهملها ولم يقتلها بالاستقامة الشرعية زادت في غيها حتى تصبح نفسه نفساً فرعونية نمرودية وكان من أتباع الشيطان. والصديق رضي الله عنه ما أصبح صديقاً إلا برمي نفسه ومخالفتها وقتلها بالاستقامة الشرعية. كما أمر الله عز وجل النبي صل الله عليه وسلم ومن تاب معه قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ وَ لَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.(سورة هود/112)

﴿126﴾ كن حريصًا على الوقت وأحدث الطاعة في وقتها ولا تؤخرها, لأنها إذا تأخرت عن وقتها كانت على حساب عبادة أخرى, فمن لم يحافظ على الوقت, أدركه المقت, والصوفي ابن وقته.

﴿127﴾ النفس الأمارة بالسوء أقوى حواس الإنسان الداخلية, وهي تحارب الله ورسوله بارتكاب المخالفات الشرعية, ولا تخاف هذه النفس إلا من الموت. لذا إذا غلبت عليك نفسك, هددها بقوله تبارك وتعالى:﴿ وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمد/38) وبقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (سورة الفتح/16). وبقوله تعالى:﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ﴾ (سورة المائدة/54). ...هذا أولاً. وثانياً:قلل لها الطعام والشراب والنوم, لأن النفس الأمارة تكفر بنعمة الله عز وجل بسبب عنادها. لذلك هي تقوى وتضعف من خلال جنودها, والطعام والشراب والنوم من جنودها, والله عار علينا أن ننشغل بالنعمة عن المنعم.

﴿128﴾ التقصير في المجاهدة سبب لعدم المعرفة, لأن الله تبارك وتعالى رتب الوصول إلى سبل معرفته على مجاهدة النفس, فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت/69).

والله لا يخلف الميعاد, وإذا لم يكن الإنسان في مجاهدته لنفسه قائماً, كان في معصية الله واقعاً, والوقوع في المعصية بسبب الغفلة, وهي مفتاح باب جهنم, كما أن الحضور مع الله تعالى هو مفتاح باب الجنة.

﴿129﴾ الإنسان الفاسق يمكن أن يذهب فسقه بإيمانه, وإذا ذهب عنه الفسق ثبت عنده مقتضى الإيمان, والفسق فسقان:

1- فسق يخرج صاحبه عن الإيمان.

2- فسق يوقع صاحبه في معصية الله ويتعدى حدود الله ولكن إيمانه موجود معه. وهذا المؤمن أتى بأفضل الخيرات على الإطلاق و هو الإيمان, و خلص من أقبح القبائح و هو الكفر. و حق المؤمن أن يعمل عملاً صالحاً حتى يكون عمله موافقاً لمقتضى الإيمان و أن يترك المعاصي التي يكون بها فاسقاً, لأنه قد يحبط عقابُ معصيته ثوابَ طاعته, فلابد للمؤمن أن يعتدل عنده خوفه و رجاؤه كما قال عليه الصلاة و السلام: [لو وزن خوف المؤمن و رجاؤه لاعتدلا] (أخرجه البيهقي و قال إنه قول مأثور عن بعض السلف و معناه صحيح).

﴿130﴾ من أراد أن يُرجّح آخرته على دنياه فعليه بالتهجد و الذكر بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس, و قبيل المغرب بربع ساعة. و هذا واجب على أهل السير و السلوك, و من وصل إلى ما وصل إليه من أهل السير و السلوك هو مثلنا يعيش في الدنيا فلا يجوز أن نبرر لأنفسنا تقصيرها.

و كل مؤمن يقر بصفات الله عز وجل و لكن هذا في مضمار العلم فقط, أما في مجال التطبيق العملي لمستلزمات الإيمان فإنه غير موجود إلا من رحم الله. فلابد من الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين ثم إلى حق اليقين.

﴿131﴾ من حمل أخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو السيد, لذا لاتقل للمخالف (سيدي) و الأخلاق الحسنة هي من جنود القلب, بها يقوى الإيمان, كما أن الأخلاق السيئة من جنود النفس بها تقوى النفس, فوجب على السالك أن يقوّي جنود قلبه على جنود نفسه. و قلبك بين جنبيك و هو مهيأ لنظر الله عز وجل, فحافظ عليه حتى لا يقع فيه خلافُ رضاه, فكن حارساً على باب قلبك. و كذلك نفسك التي تنبت منها الشرور فخالفها و لا تتبع هواها سواء في الطاعة, أو في الشهوات الدنيوية أو الأخروية لأن من خلقك يقوم بلوازمك كلها في العوالم, فإذا سجنت نفسك تحت مراقبة الله و أقللت لها شهواتها عند ذلك تقوى جنود القلب على جنود النفس و لا تتغلب نفسك عليك. فعليك أن تتمسك بقلبك, و قلبك لا يرضى إلا بمولاك, و لا تعطي الفرصة لنفسك حتى تستولي على قلبك, و هذا لا يكون إلا:

_ بالتهجد لقوله تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (سورة الذاريات/17).

_ و قراءة القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ وَ رَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (سورة المزمل/4).

_ و ذكر كلمة التوحيد لقوله تعالى: ﴿ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (سورة الأحزاب/70).

_ و يقلة الكلام للحديث الشريف: [كف عليك هذا] (أخرجه الترمذي).

_ و بقلة الطعام للحديث الشريف: [ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه] (رواه الترمذي).

_ و بالخفاء لقوله صلى الله عليه و سلم: [رب أشعث أغبر ...] (رواه أحمد و مسلم).

و من عرف عدوه بالعداوة الأبدية, فإنه يخالفه بالمخالفة الاستمرارية حتى لا يُخدع.

﴿132﴾ واجب على كل مؤمن أن يحافظ على قلبه, لأنه محل نظر ربه عز وجل, و أن يلزم قلبه ذكره, و الحضور معه تبارك و تعالى, حتى لا يتمكن الشيطان من الدخول فيه, و إلقاء الوسوسة, و كذلك يجب أن نضيق مجاريه فينا, و ذلك بالجوع, لأنه إذا أكثر العبد من الطعام و الشراب, و قلة الذكر لله تعالى, فإنه يقوي شيطانه على قلبه و روحه و يكون قلبه محطة لتنزل الشياطين عليه و العياذ بالله تعالى, عندها يسوف الإنسان و يسول, و هذا من الصفات الناقصة, و خاصة إذا كان التسويف في العبادة والذكر والتوبة وفعل الطاعات, وترك المنكرات.

﴿133﴾ من عرف الله تعالى في الدنيا حق المعرفة فإنه يستريح بالموت, لأنه يكون مع الله تعالى وحيداً بقلبه و قالبه, و أما الجاهل بربه و العياذ بالله تعالى فإن موته يكون بلاء عليه لأن القبر يكون سجناً عليه. العارف بالله تعالى في الدنيا يكون قلبه مع الله تعالى و قالبه مع الخلق, أما الجاهل بالله تعالى فإنه في الدنيا مع الناس بقلبه و قالبه و هذا هو الخسران المبين. فعلينا أن نكثر من حضور مجالس

الذكر لأنها رياض الجنة قال صلى الله عليه و سلم: [إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا, قالوا: و ما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلق الذكر] (أخرجه الترمذي).

فكثرة الذكر سبب لمعرفة الله تعالى, و الاختلاط مع المؤمنين في مجالس الذكر مطلوب لأنه يقوي الاعتقاد و السلوك و خاصة لأهل الغفلة و من عنده شكوك.

و أثقل شيء على نفوس السالكين ثلاثة:

1- ذكر الاسم المفرد بقلب حاضر و هذا لأهل الخلوة, و ذكر كلمة التوحيد ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴾ لبقية السالكين.

2- تلاوة جزء من القرآن الكريم في كل يوم.

3- دوام التهجد و البقاء في مصلاه ذاكراً الله تعالى إلى صلاة الضحى. و الله تعالى طلب من عبده أن يصل إليه بالعبودية حتى يعرفه حق المعرفة, بل يريد منه أن لا يتعلق بالمعرفة ليكون عبداً خالصاً لله عز وجل.

﴿134﴾ من تعلق بأسماء الله عز وجل و بصفاته, فإنه يرمي الأخلاق الذميمة و يتحلى بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها يكون بشراً في الظاهر, و ملكاً في الباطن, و من لم يتعلق بأسماء الله و بصفاته فهو أبله أحمق.

﴿135﴾ الكشف كشفان, رباني حقيقي, و كسف مادي متعلق بالدنيا.

أما الكشف الرباني: فثمرته عبودية لله عز وجل مع المشاهدة.

و أما الكشف المادي: فتعلق بالكشف و الكرامات و خوارق العادات.

و على المؤمن الصادق أن يتحقق بالعبودية لله عز وجل, و يعلو بهمته حتى يصل إلى مقصوده, و قصده العبودية لله تعالى, فهذا لا يكون إلا بكثرة الذكر لله مع التمسك بالشريعة و القيام بما كُلف به. أما من تعلق بالكشف المادي فهذا يخشى عليه أن يشتغل به عن العبودية, و قد ينقلب عليه و يكون استدراجاً له و العياذ بالله تعالى, لأنه من تعلق بهذا الكشف, كان كمن تعلق بالزراعة و الصناعة و التجارة, و بذلك التعلق ينسى عبوديته لله تعالى.

﴿136﴾ قيمة الإنسان بروحه لا بجسده, و جسم الإنسان مَرْكَب لروحه, فكن مراقباً لروحك التي دخلت جسدك و هي عارفة بالله مؤمنة, مقرة بالربوبية لخالقها يوم خلقها و أشهدها على الحقيقة كما قال تعالى: ﴿ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ (سورة الأعراف/172). و في الحديث الشريف: [كل مولود يولد على الفطرة] (رواه الشيخان), حتى تخرج من ذلك الجسد و ترجع إلى موطنها الأصلي في جوار ربها, بدون تلوث, و تلوثها من شؤم النفوس و العياذ بالله تعالى, و العاقل الذي تنور عقله من نور قلبه هو الذي يحافظ على طهارة هذه الروح و قداستها, بل بل يغذيها بكثرة الذكر حتى لا تنسى موطنها, و تبقى لها الصلة مع ذلك العالم الذي أُخِذَ فيه العهد منها, و ربما تذْكُر ذلك العهد إذا خفت جنود النفس و أُضعفت. أما اتباع الهوى و العياذ بالله فإنه ينسي الروح تلك الحقيقة حتى تكفر بالله تبارك و تعالى, و تخرج من الجسد و هي كافرة. نسأل الله أن يحفظنا من شر أنفسنا. آمين.

﴿137﴾ كن صاحب جد, حتى تكون لمن بعدك قدوة صالحة, و لا تكن من أهل الهزل و اللهو و اللعب, لأن هذا ليس من شأن الكمل من الرجال, و رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: [لست من دَدٍ, و لا الدَّدُ مني] (رواه البخاري في الأدب, و البيهقي في شعب الإيمان) أي لست من أهل اللعب و اللهو, و لا هما مني, و احذر المداهنة, فإنها تذهب بالدين و العياذ بالله.

﴿138﴾ نور الله جل جلاله لائح غير زائل البتة, و الأرواح البشرية لا تكون محرومة تلك الأنوار إلا بسبب الحجاب, و ذلك الحجاب ليس إلا الاشتغال بغير الله عز وجل, فبمقدار ما يزول الحجاب يكون التجلي. فالأمر متوقف على طلب العبد, فإذا لم يطلب العبد لا يُعطى شيئاً, و بعضهم لا يطلب ربه لأنه تمسك بنفسه, و اجتمع شيطانه مع نفسه, فهذا الصنف لا يترقى.

﴿139﴾ من قرأ كتاب أعماله في الدنيا قبل الآخرة, تاب و رجع و استغفر الله تعالى من كل مخالفة و شكر الله عز وجل على ما كان موافقاً لرضاه. فإنه ينقلب يوم القيامة بوجه أبيض يقول تعالى: ﴿ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة آل عمران/107). و أما من أهمل قراءة كتابه, و محاسبة نفسه فإنه سندم عندما يسمع يوم القيامة قول الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (سورة الاسراء/14).

﴿140﴾ أسباب قسوة القلب: المعاصي, و قلة الذكر, و التعلق بالدنيا, و كثرة الضحك, و الغفلة, و من كانت غفلته عن الله أكثر فهو من جهنم أقرب و العياذ بالله من ذلك, فلابد من المجاهدة. و ليس المعول عليه كثرة العمل, و إنما المعول عليه قبوله عند الله عز وجل, و هذا القبول غائب عن الإنسان كلياً.

﴿141﴾ الخلاف قائم بين الناس من قديم, و رفع الخلاف يصعب بسبب النفوس الأمارة بالسوء, و هل يستطيع أحد أن يرفع هذا الخلاف؟ علينا أن نقوي جانب الحق, و أن نكون في نصرته, و أن لا تكون العصبية قائمة بيننا, لأن العصبية من طبيعة النفوس الخبيثة, فإذا وجد الخلاف نأخذ بوصية ربنا عز وجل حيث يقول: ﴿ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فِاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الحجرات /10) و الإصلاح يكون بنصرة الحق, يُعطى المظلوم حقه, و يؤخذ على يد الظالم, هذا هو الإصلاح, و أما العصبية فهي إفساد و العياذ بالله تعالى.

﴿142﴾ حب أكثر الناس لبعضهم البعض معلول, و كذلك بغضهم لبعضهم البعض, الحب و البغض يجب أن لا يكون تبعاً للنفوس, لأن النفوس أمارة بالسوء, بل يجب أن يكون الحب و البغض في الله, و ميزان ذلك شرع الله عز وجل, و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم, و الله عز وجل لا ينظر إلى كثرة العمل, و لا إلى ظاهره فحسب, بل ينظر إلى لب العمل, فالله تعالى ينظر إلى لب حبك و بغضك إن وجد فيه الصدق و الإخلاص و أنه لله, قبله, و إلا فلا.

﴿143﴾ من أحب أن يطيعه الناس جميعاً فهو أحمق, لذلك ترى أهل الحق و الحقيقة ينصحون من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يبغضون من خالفهم, بل يحولون أمرهم إلى الله عز وجل, و يدعون لهم بظهر الغيب, تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعو لقومه فيقول: [اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون] (رواه الطبراني) كيف يحقدون عليهم و يبغضونهم؟ و هم يعلمون أن البغض إذا وجد في القلب فإنه يذهب بالإيمان لقوله صلى الله عليه و سلم: [دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد و البغضاء, و البغضة هي الحالقة, لا أقول حالقة الشعر و لكن حالقة الدين] (رواه الترمذي و أحمد).

﴿144﴾ كن محافظاً على محبة المؤمنين لك, لأن هذا مرغوب فيه و إياك و الغرور, فالله عز وجل خلقك و جعلك خادماً للمؤمنين, و احذر أن تفكر في نفسك أنك سيد و أنك مقصود, بل تفكر بأنك خادم, و الخادم لا يكون مخدوماً, و على كل حال لولا وجود المؤمنين لما وجدت منك خدمة, كيف تكون خادماً بدون مخدوم, فحافظ على محبة من أحبك, لأن محبة المؤمن للمؤمن ليست خالية من الإكرام الإلهي, و احذر أن تهجم على من تهجّم عليك بالشدة, عليك بالسكوت, و فوض أمرك إلى الله عز وجل, و احذر أن تؤدي أحداً.

﴿145﴾ إذا خالفك أحد من إخوانك, فلا تصد عنه بوجهك, عامله كما تحب أن تعامل, كم خالفت الله عز وجل؟ و هو ما صدَّ عنك قال تعالى: ﴿ وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ (سورة الشورى/25). و كم خالفت النبي صلى الله عليه و سلم؟ و هو يشفع لك صلى الله عليه وسلم باستغفاره لك في قبره الشريف, عليك أن تستحي من الله عز وجل, و من رسوله صلى الله عليه و سلم, فلا تصد بوجهك عن أخيك المؤمن, و إن خالفك الرأي, لأن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط, ماذا تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إذا قال لك هذا من أمتي, فلم صددت عنه؟

﴿146﴾ إنزال الناس منازلَهم, على جهتين:

الأولى: من حيث المراتب الدنيوية.

الثانية: من حيث الإيمان, و هذا أهم, انظر في قوله تبارك و تعالى: ﴿ عَبَسَ وَ تَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ (سورة عبس/1).

﴿147﴾ من أراد أن يتكلم بشيء, أو يفعل شيئاً, عليه أن يفكر برضا الله عز وجل عن هذا القول أو الفعل, لا عن رضا الناس, لأنه إن رضي واحد, غضب الآخر, و لكن إن فوض أمره إلى الله عز وجل و فكر في رضاه فإنه يستريح, و يخرج من مراقبة الناس.

﴿148﴾ الإنسان على ثلاثة أصناف في حديثه:

الأول: يتكلم مع الخلق و لا يراقب إلا الله عز وجل, و لا ينظر إلا إلى الشرع الشريف ظاهراً و باطناً و هذا يكون على قدم سيدنا عمر رضي الله عنه (ما ترك الحق صاحباً لعمر).

الثاني: يتكلم مع الخلق و يمتنع عن الكذب, و لكن امتناعه عن الكذب ليس لله و إنما لعزته, فيستحي أن يُعرف أنه كذاب, و هذا كأبي سفيان عندما كان مشركاً, و سأله هرقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (و الله لولا يؤثروا عني كذباً لكذبت عن محمد) فهذا صدق و لكن ليس لله إنما لعزته.

الثالث: يتكلم مع الخلق و هو يكذب و لا يبالي, فلا يراقب الله و لا يستحي منه و لا يخشاه, و هذا ضرره يسري لغيره لقوله صلى الله عليه و سلم: [إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت] (رواه البخاري).

﴿149﴾ صاحب الإيمان عليه أن يستحي من الله عز وجل, و أن لا يتكلم كلاماً يجري على لسانه و الله عز وجل مطلع على قلبه و يرى فيه خلاف ما يقول, عليكم أن تعملوا بمستلزمات الإيمان, من آمن بالله أنه سميع بصير, عليه أن تستوي سريرته مع علانيته, حتى لا يسمع الله منه قولاً, و يرى في قلبه خلاف ما يقول, لأن من قال خلاف ما يعتقد فقد اتصف بصفة من صفات المنافقين و العياذ بالله تعالى. و هذا لا يليق بالمؤمن.

﴿150﴾ مخالطة الناس لا تخلوا من أحد أمرين:

1- المداهنة: و هي حرام.

2- النصيحة: و هي تحتاج إلى صبر, لأن من نصح هوجم و أوذي من قبل المنصوح إن كانت نفسه لا تقبل الحق, فلابد من الصبر و المصابرة لقوله صلى الله عليه و سلم: [المسلم الذي يخالط الناس و يصبرُ على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم و لا يصبر على أذاهم] (أخرجه الترمذي) و لقوله تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ (سورة لقمان/17). فكن ناصحاً في مخالطتك للناس و لا تكن مداهناً لتأكل دنياك بدينك.

﴿151﴾ الحق لا يقاس بالرجال بل لعكس, و الطريق لا يعرف بالرجال بل العكس. و المجالس التي تقام ليست مجالس أشخاص, و إنما مجالس الطريق فيجب الحضور فيها جميعاً, و لا يجوز أن نبرر لأنفسنا غيابها, لأنها مجالس يباهي الله بها ملائكته و الناس يتركون هذه المجالس اشتغالاً منهم في الدنيا و الله تعالى يقول: ﴿ وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ (سورة هود/6).

﴿152﴾ لا تترك الأدب مع غير المتأدبين, لأن هذا شأن المخلصين في أدبهم. اصنع المعروف في أهله و في غير أهله فإن صادف المعروف أهله فهم أهل للمعروف و إن لم يصادف المعروف أهله فأنت أهل للمعروف.

﴿ 153﴾ انظر لإخوانك بإيمانك لا بنفسك, و عاملهم بمقتضى الإيمان, لا بما تمليه عليك نفسك الأمارة بالسوء, فاحذر نفسك لأنها عدوة لك و هي تحاول أن تبرر لك كل أخطائها و تصرفاتها, فلا تصدقها, و انظر إلى ما يرضي الله عز وجل عنك, و رضاه عنك في مخالفتك لنفسك.

﴿154﴾ لا بد للمؤمن أن يكون عاقلاً, فلو رضي الناس جميعاً عنه و لم يرضَ عنه ربه تبارك و تعالى, هل ينفعه ذلك؟ فعلى المؤمن أن يتمسك بالله حتى تتم عبوديته لله تعالى, و تلك العبودية لا تكون إلا بالاتباع للنبي صلى الله عليه و سلم, لأنه صلى الله عليه وسلم حقق العبودية لله عز وجل كما أراد الله تعالى, لذا أمرنا باتباعه فقال: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (سورة آل عمران/31) و المؤمن و المؤمن ذا لم يجرِ أحكام الشرع على جوارحه الظاهرة و الباطنة فهذا دليل على فساده, و أنه خارج عن العبودية الحقيقية لله عز وجل.

﴿155﴾ خط الطريق يقوي خط القرابة, أما خط القرابة فلا يقوي خط الطريق, إذا ذهب الطريق لا تذهب القرابة و لكن ماذا ينفع. فالاعتبار بالوصل لا بالأصل لأن الأصل من الجرم و الوصل من القرب.

﴿156﴾ إذا ظُلمت خذ بوصية الله عز وجل حيث يقول: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة/153), و يقول: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة الزمر/10). فلابد من الصبر لأن هذا الظلم ابتلاء من الله تعلى في الدنيا للظالم و للمظلوم, فالأول أخذ حظه من الظلم و هو ظلمات يوم القيامة, و الثاني أخذ حظه من الصبر, فإذا كان إيمانه قوياً علم أنه لا توجد ذرة في الكون تتحرك إلا بقضاء و قدر فهو ينظر بقلبه و بعين بصيرته إلى الله تعالى, فيرى فعل الله و عظمته و قدرته أعظم من فعل الناس و ليسوا أكثر من حجر, و كل ذلك امتحان قال تعالى: ﴿ وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (سورة ابراهيم/42) نسأل الله الثبات و السلامة و نرجو الله تعالى أن يعاملنا بفضله لا بعدله. فإذا ما ظُلمت فاصبر و لا يدفعنك ذلك لأن تخرج عن دينك من داخلك.

﴿ 157﴾ من عاملك معاملة و في نظرك أنه قد أساء إليك, فاعرض معاملته على الشرع الشريف, فإن كانت موافقة للشرع و كرهتها, فاعلم أنك تكره الحق, و هذا من نفسك و من الشيطان, و واجبك أن تقبل منه و لو نفرت نفسك منه, هذا النفور لا يضر, و يجب عليك أن لا تقابله بالسيئة, و القلوب بيد الله عز وجل.

﴿ 158﴾ المؤمنون مأمورون بحسن الظن تجاه بعضهم البعض, و سوء الظن ببعضهم البعض حرام لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (سورة الحجرات/12) و المؤمن الممدوح و المثنى عليه عليه أن لا ينحرف و لا يغتر, و أن يكتفي بعلم الله فيه, و بما يعلم هو من نفسه, و لئنْ كان المؤمنون مأمورين بحسن الظن ببعضهم البعض, لكن ليسوا مأمورين بحسن الظن بأنفسهم قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران/188) فصاحب الإيمان الكامل يستحي من الله تعالى أن يتكلم خلاف ما يوجد في قلبه, لأنه يعلم أن الله تعالى مطلع على قلبه و هو مراقبه, و الناس يراقبون ظاهره, فلابد من استواء السريرة مع العلانية, و لا تتركوا رضا الرحمن من أجل خلق الرحمن.

﴿159﴾ كن مع الله صادقاً, و مع الناس منصفاً, و مع العلماء متواضعاً, و مع الجهال ساكتاً, و مع الفقر سخياً, و مع الأطفال شفوقاً, و مع النفس مخالفاً, و مع الشيخ خادماً, و مع الوالدين باراً, و مع الإخوان متعاوناً, و اجعل جوارب الأحمق السكوت. و كن مع طريقتك مخلصاً و داعياً, و لا بد لمن أراد نقل الطريق للغير من أربعة أشياء:

1- العلم 2- العبادة 3- الإخلاص 4- الأخلاق

﴿160﴾ بركة الجماعة تجعل الضعيف قوياً, و القوي أقوى, لقوله صلى الله عليه و سلم: [يد الله مع الجماعة] (رواه الترمذي) و النفس تسول لصاحبها أن يترك مجالس الأحباب و الطريقة, فليكن الإنسان على حذر من نفسه, لأنها لا تريد له الخير. و من صفاتها الحقد و الحسد على من خالفها, فإذا خالفك أحد. فانظر إلى مخالفته, إن كانت مخالفته للشرع فعليك بالنصح له باللين, و إن كانت مخالفته لنفسك, فاعلم أنه على الحق و نفسك الأمارة بالسوء لا تقبل ذلك, فلا يليق بك أن توافقها, بل عليك باتباع الحق. و أقبح القبائح الرضا عن النفس, لأنه من رضي عنها لا يحاربها, و الله نهانا عن اتباعها, و من أحيا نفسه بنفسه فهو ميت, و من مات عن نفسه فهو حي. و مصيبتنا كلها بسبب حياة أنفسنا بأنفسنا. و تعلق عقولنا بأنفسنا, حتى أصبحت نفوسنا دستوراً لنا, عوضاً عن القانون الإلهي. اعرضوا أموركم كلها على الشرع الشريف, تسعدوا في الدارين.

﴿ 161﴾ من فرح بالمدح و تأثر بالذم ما عرف نفسه, بأنه كان عدماً, و من كان عدماً سابقاً, فهو عدم لاحقاً, و المؤمن يفرح بمدح المؤمنين له ليس من أجل نفسه إنما من أجلهم لأنهم سيؤجرون على حسن ظنهم و مدحهم لأخيهم.

﴿162﴾ إذا مُدحتَ, راقب نفسك و حاسبها, فإن كان ما يقولون حقاً, فاحمد الله عز وجل على تلك النعمة, و اعلم أنها ليست منك و إنما من الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله ﴾ (سورة النحل/53) إذا عرفت هذا فإنك لا تغتر بمدحهم إياك, ولكن تفرح لهم لأنهم سيؤجرون على حسن ظنهم ومدحهم لأخيهم المؤمن, وإن لم يكن فيك ما يقولون استغفر الله عز وجل, وسل الله أن يوفقك لمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

﴿163﴾ مصيبة الإنسان أن يراقب الناس, ويبحث عن نقائصهم, ويخفي كمالاتهم, ولا يطلع على نقائصه, ويحاول أن يظهر كمالاته, وهذا كله مخالف للشريعة, علينا أن ننظر في أنفسنا وما يظهر منها, هل هي موافقة للشرع أم لا ؟ ثم ننظر إلى عباداتنا هل هي لائقة بربنا عز وجل أم لا ؟ نفرح بما ينسب إلينا من الفضائل مع عدم وجودها فينا. ونسينا قول الله عز وجل: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران/188) على الإنسان أن يكتفي بعلم الله عز وجل فيه, ومراقبته له حيث يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء/1) .

﴿164﴾ ثبت عندي عجزي وعجز الناس جميعاً, ومن وقف على عجزه وعجز الخلق باليقين القلبي لا بالكلام عرف قدرة ربه تبارك وتعالى وأنه فعّال لما يريد, عندها يسقط الخلق جميعاً من عينه ويتعلق بالخالق جل وعلا, ويستريح من جميع الأمور.

﴿165﴾ لولا الخالق لما وجد المخلوق, ولولا المخلوق ما عرف الخالق. خلق الله الخلق من أجل أن يعرف الخالق, وكل مخلوق موجود بفعل الله وعلمه, فلا تقف مع الخلق بل انتقل إلى الأفعال ومن الأفعال إلى الصفات.

﴿166﴾ نحن قوم لا نتكلف بالمفقود و لا نبخل بالموجود, و اجتماعنا ليس من أجل الطعام, و لكن اجتماعنا على ذكر الله تعالى و ذكر الله تعالى محله القلب, فانظر إلى نيتك إذا اجتمعت مع إخوانك, و في الحديث: [إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى] (رواه الشيخان). فواحد يأتي لبطنه و آخر يأتي لقلبه, و فلاحك يوم القيامة بسلامة قلبك كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (سورة الشعراء/89) و كيف يكون القلب سليماً إذا لم يتغذ بذكر الله عز وجل, فكونوا حريصين على مجالس الذكر و ليكن همَّكم تخليصُ قلوبكم من و سوسة الشيطان و تسويلات النفوس الأمارة بالسوء بكثرة الذكر لله عز وجل مع الحضور التام الدائم, اللهم وفقنا لذلك. آمين.

﴿ 167﴾ المؤمنون بالنسبة للغفلة على نوعين:

الأول: مؤمن بصفات الله عز وجل, و هو يحاول أن يعبد و يتقرب و لكن لعجزه قد يقع في الغفلة و مخالفة الشريعة, و هو يعلم أن عبادته غير لائقة بربه, هذا يرجى له القبول قال تعالى: ﴿ وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة/102).

يحاول هذا الصنف الحضور مع الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً, و إذا حصلت معه غفلة بدون اختياره لضعفه فتوبته مقبولة بوعد الله عز وجل, و تلك التوبة لا تدل على خلاصه من هذه الغفلة فعليه أن يرجع عن هذا الاختلاط, و يقوي جنود قلبه و روحه على جنود نفسه و شيطانه حتى يخرج عن هذا و يبقى معه لّمة, و نرجو الله أن يذهب عنه بالكلية.

الثاني: مؤمن بصفات الله عز وجل, و لكنه انغمس في الدنيا كلياً و العياذ بالله تعالى, و يقبل الله توبته إن تاب, و ذلك بخروجه من غفلته التي كانت بسبب انغماسه في الدنيا. و الفارق كبير بين الغفلتين.

أما الذين فوق هذين الصنفين, فقد وصفهم الله في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة/100).

و الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه, و و الله عمل الواحد من هؤلاء يوازي عبادة الثقلين. و انظر إلى خواتيم هاتين الآيتين كم هو الفارق كبير بينهما, الأولى حتمت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ و الثانية ختمت بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ و كذلك الفارق كبير بين أهل الإحسان و بين الذين خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً, اللهم اجعلنا من أهل الإحسان بفضلك و إحسانك و تجاوز عن تقصيرنا. آمين.

﴿168﴾ لا تفتخر بسلام أهل المراتب الدنيوية عليك, لأنك قد تغتر بذلك فيذهب عزك الحقيقي من حيث لا تشعر, و عزنا الحقيقي بالإسلام, و نحن ننظر إلى الناس من خلال استقامتهم, لا من حيث مراتبُهم الدنيوية. فمن لم يكن مستقيماً ننصحه, فإن استجاب فبها و نعمت, و إلا ندعه و بيننا و بينه الله تعالى.

﴿169﴾ هذه السفينة لا بد يوماً أن ننزل منها إلى القبر, و علامة الصادق في حبه لله عز وجل أن يكون لقاء ربه عز وجل عنده أفضل من الدنيا بما فيها, و يرجح هذا اللقاء على حياته, نرجو الله عز وجل أن ينفعنا و المسلمين و خصوصاً أهل الطريق الشاذلي رضي الله عنهم. و و الله إني أرجو و أتمنى أن يتوجه كل الناس إلى الله عز وجل, و لو أنهم في ذهابهم يمرون على رأسي و ظهري و بطني المهم هو وصولهم إلى الله عز وجل, و لكن ماذا أفعل؟ الأوصاف المذمومة قد تعلّق بها أكثر الناس و لا يمكن لهم بوجودها أن يذوقوا حلاوة الإيمان و لا يشعروا بأنوار رسول الله صلى الله عليه و سلم, و لا بأنوار الطريقة و أنوار الوارث.

و شر تلك الأوصاف المذمومة التعلق بالنفس الأمارة التي لا تخرج عن طبيعتها_ من الخبث و المكر و الخداع و الكذب و التسويل و التسويف_ فاجعلوا همكم معرفة الله عز وجل حتى تستريحوا بقلوبكم, أما راحة الجسد فاتركوها حتى تدخلوا قبوركم. انظروا فيمن أراد السفر في الدنيا فإنه لا يطلب الراحة و لا يجدها حتى يصل إلى وطنه, فهو يتحمل المشاق و المصاعب في سفره و أمله متعلق بوصوله, و كذلك نحن علينا أن نبذل كل جهدنا في الطاعات حتى نصل إلى وطننا قال تعالى: ﴿ وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة المزمل/20)

﴿170﴾ من دخل في الدنيا وجب عليه أن يصبر على أذى أهلها, و لكن ليس على حساب دينه لأن دينه ليس ملكاً له.

﴿171﴾ الله عز وجل خلقنا و نحن لا نعرفه, و اللهِ هذا عجيب, و الأعجب من ذلك أنّا لا نسعى إلى معرفته بسبب اشتغالنا في الدنيا ليلاً و نهاراً, و قلة ذكرنا, و اللهِ هذا عار علينا, و استعمال الشيء في غير ما خلق له جرم, و قلبنا خلق لمعرفة ربنا عز وجل لا لحب الدنيا.

﴿172﴾ خير المال ما استعملته في الحلال, و أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فهو لك, و أحلُّ المال ما أتاك من غير مسألة. و الواحد من الخلق يتفكر في الدنيا حتى لا يكون محتاجاً لأحد من الناس فيعمل ليلاً و نهاراً حتى لا يكون فقيراً, و هذا الصنف كثير, أما من يتفكر في آخرته حتى لا يكون فقيراً فيها هؤلاء قلة في الناس, مع أن الدنيا مضمونة لأهلها كل حسب ما قدر الله له من الرزق, و أما الآخرة فليست بمضمونة لأحد إلا لمن ضمن الله لهم حسن الخاتمة كالأنبياء و المبشرين بالجنة و هؤلاء كانوا يعملون عمل الخائف من ربه تبارك و تعالى. فكل الذين دخلوا في الولاية لله عز وجل دخلوا من باب مخالفتهم لأنفسهم لأن كل خبث مصدره من النفس الأمارة, فلا بد من معرفة خفاياها و محاسبتها في الأنفاس حتى لا نُخدَع.

﴿173﴾ إنفاق المال المحبوب صعب على النفس, كأنه يقطع قطعة من الجسم, لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّاً جَمًّاً ﴾ (سورة الفجر/20) و من هنا رتب الحق تبارك و تعالى دخول الجنة على بذل المال المحبوب فقال: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران/92) فلو لم يكن المال محبوباً لكان الإنفاق يسيراً و سهلاً, و هذا هو الابتلاء الذي يميز بين الصادق و الكاذب, فأنفق المال المحبوب لمحبوب أكبر.

﴿174﴾ اشتغالنا في الدنيا ليس فيه ضرر. و لكن تعلق القلب بالدنيا هو الضرر, و إذا كان الواحد يزعم أنه يعمل لأولاده فلينظر: إن كان أولاده صلحاء فالله عز وجل هو يتولاهم قال تعالى: ﴿ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف/196)

فأين ولايتك من ولايته؟

و إن كانوا أشقياء لا قدر الله فلمَ تكون سبباً في عونهم في الشقاء؟ فهم يعذبون بسبب عصيانهم و أنت تتعذب بسبب اشتغالك في الدنيا عن ذكر الله عز وجل قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة المنافقون/9).

لذا أقول: رزقك و رزقهم على الله تعلى, فخذ بالسبب و لا يكن ذلك على حساب دينك, و اعلم: أن نقصان الدنيا في يد المرء لا يضر بدينه, لأنه قد يكون خيراً له. أما نقصان الدين فإنه يضر بالإيمان و هذا يكون من الغفلة التي هي مفتاح جهنم و العياذ بالله تعالى.

﴿175﴾ العقل يتفكر في شؤون الدنيا من أهل و مال و ولد, و لكن إذا نُوِّر بنور القلب فإنه ينتقل بواسطته إلى التفكر بالآخرة, و يقول أنا أسعى آخذاً بالسبب و أتوكل على الله لأنه هو الرزاق, لذا ترى هذا الصنف من الناس يأخذون بالسبب و قلوبهم متعلقة بالله عز وجل, قال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ (سورة النور/27). و أما صاحب القلب غير المنور فإنه يضيِّع نفسه و عمره و لا يحصِّل إلا ما قسم الله له و قدر, فالرزق مقسوم و هو لا يحتاج إلى حرص لأن الحرص لا يزيد في الرزق فضلاً عن التأثر و الحزن, كما أن الزهد لا ينقص من الرزق شيئاً, فما قسمه الله و أعطاه للعبد لا يزيله و لا ينقصه حسد الناس و نقدهم, فالواجب على العبد أن يلتفت إلى من بيده الخير كله و هو على كل شيء قدير قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ

الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة آل عمران/26) و أن يهتم بأمور الآخرة لأنها ليست بمضمونة له قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ ﴾ (سورة ق/37).

﴿176﴾ مصيبة المؤمن جهالته, و لجهالته انغمس في الدنيا, و تلك الجهالة تزول بواسطة العلماء ما داموا متحرزين من الدنيا و من حظوظهم و شهود أنفسهم, و لكن إذا توجهوا إلى الدنيا و حظوظهم و شهود أنفسهم من خلال تعليمهم فكيف يخلصون غيرهم من الدنيا التي وقعوا فيها؟ و أعظم الجهل و أشده أن يكون الإنسان جاهلاً بالله و بأسمائه و صفاته.

﴿177﴾ السفر سفران, سفر في الدنيا و سفر من الدنيا, و السفر في الدنيا لا بد له من زاد, و زاده الطعام و الشراب و المال و المركب, و السفر من الدنيا لا بد له من زاد, و زاده معرفة الله جل جلاله و محبته و طاعته, و حتى تكون الطاعة مقبولة عند الله عز وجل لا بد لها من ركنين:

الأول: أن تكون موافقة للشريعة في ظاهرها.

الثاني: أن تكون خالصة من الشرك الخفي في باطنها.

و أما المعرفة فهي نوعان:

الأولى: معرفة صفات الله عز وجل.

الثانية: معرفة ذات الله عز وجل.

أما معرفة صفات الله عز وجل فهي حظ القلب في الدارين, و معرفة الذات تكون حظ الروح في الآخرة, و هاتان المعرفتان لا تحصلان إلا بالعلمين, علم الظاهر و علم الباطن, و في الحديث الشريف: [العلم علمان علم باللسان و ذلك حجة الله تعالى على خلقه, و علم بالجنان فذلك العلم النافع] (رواه الحافظ أبو بكر الخطيب).

و المعرفة تحصل بكشف حجاب النفس عن مرآة القلب.

﴿178﴾ الكثير يطلب الزيادة من الدنيا, و نحن نترك الدنيا بما فيها لمن بعدنا, فما جمعناه إما أن يكون وبالاً علينا و العياذ بالله, و إما أن يكون وبالاً على من بعدنا بسبب معصية الله عز وجل فيه, فلنكن على حذر من فتنتها.

﴿179﴾ اتركوا هذه الغفلة التي انغمس فيها أكثر الناس مع وجود إيمانهم, و الله لو أمكن لي أن يبلغ صوتي من الشرق إلى الغرب و من الشمال إلى الجنوب لقلت للخلق جميعاً: من لم يعرف الله لا شيء له و لو جمع حطام الدنيا, و من عرف الله لا يضيع شيء منه. إلهي ماذا فقد من وجدك و ماذا وجد من فقدك؟

﴿180﴾ العلوم الكونية ليست فرضاً على مكلف, بل فرض كفاية, علموا أولادكم علوم التوحيد, و علوم الصلاة, و علوم الأخلاق. و الشهادات الكونية ليست ركناً من أركان الإسلام, و الرزق مقيد بالرازق و هو الكفيل له, و ليست الشهادات كفيلة بأرزاقكم, لا تقطعوا زمام الشريعة بسيف الشهوة, فتصبح حياتكم حياة شقاء و تعب, عافانا الله و إياكم.

﴿181﴾ الحكمة و تكرار الأكل أن تكرر الطاعات, فلا بد لمن يأكل تكراراً أن يجاهد في العبادات تكراراً, حتى يمتاز عن الحيوانات, فكما أن الطعام غذاء للجسد فكذلك العبادات غذاء للروح, و الأكل بلا طاعات يقوي الجسد و يميت القلب و الروح, و ربنا تبارك و تعالى أمر بأكل الطيبات_ أي الحلال_ لفائدتين:

الأولى: أن يكون أكلنا بالأمر لا بالطبع, حتى نمتاز عن الحيوانات, و نخرج من حجاب ظلمة الطبع بنور الشرع إلى العبادة.

الثانية: حتى يثيبنا ربنا تبارك و تعالى باتباع الأمر بالأكل.

﴿182﴾ يتخلص المريد من صفاته الذميمة بأربعة أمور:

1- بالتسليم ظاهراً للشرع و تطبيقه على الجوارح.

2- بالتسليم باطناً لأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم.

3- بالتمسك بالطريق المتصل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند المتصل.

4- بمخالفة الهوى و محاربة الشيطان.

حين ذاك يضع الله بفضله و كرمه و رحمته حارساً في قلب ذلك المريد, فإذا تحرك تحرك بالله, و إذا تكلم تكلم بالله بالحكمة قال تعالى: ﴿ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (سورة البقرة/269).و إذا خاصم خاصم بالله.

﴿183﴾ لا تكن ممن باع حظه في الآخرة بشهوة ساعة, فتخرب مستقبلك في الآخرة بارتكاب الشهوات, لأن تلك الشهوات و المعاصي تنزع عن الإنسان نعم الله, و تخرب مستقبله في الآخرة.

﴿184﴾ الطعام مصيبة على المؤمن من جانب, و طاعة من جانب آخر, فإن كان يتقوى به على معصية الله فهو مصيبة في حقه, و إن كان يتقوى به على طاعة الله فهو طاعة, و إن كان يأكل بالأمر فإنه يأخذ منه بمقدار الكفاية بدون زيادة أو نقصان بعد تحريه عن الحلال, و زهدِه بما في أيدي الناس, و لا بد للإنسان أن يتفكر, فما كان له فسيصل إليه, و ما كان لغيره فلن يصل إليه, فعليه أن لا يذل نفسه لأحد من المخلوقات لأن الذي أوجده من العدم قال: ﴿ وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ (سورة هود/6) أين العقول؟ لذا وجب علينا أن نتمسك بأذيال من يعرف الله حتى يوصلنا إلى الله تعالى و يقف بنا على هذا.

﴿185﴾ لا تكن ممن يُمنع من الطعام, و كن ممن يُحرض على الطعام, لأن الأول ما منع من الطعام إلا لوجود الشره منه, و الشره من طبيعة الخنازير, و ما حرض الآخر على الطعام إلا لانشغاله بما هو أهم, و الفارق بين من يأكل بشره و من يأكل بالأمر كبير, و من أكل بالأمر رزق الحكمة.

﴿186﴾ لو ينظر الإنسان إلى أصل خلقته لذاب كل ما يتعلق به من أوصافه سواء أكانت تلك الأوصاف موافقة لغرضه أو مخالفة, لأن هذا النظر يقوي إيمانه. فأصل خِلقته أغرب و أعجب من صفاته التي يتعلق بها, فمن نظر إلى أصله لا يمكنه إلا أن يوافق الشرع الشريف و يبتعد عما لا يرضاه الشرع.

و الإنسان لكثرة توغله في الغفلة ينسى أصله الذي خلق منه و بالتالي يتعلق بأوصافه, و هذه الأوصاف لا تزكيه إلا إذا وافق الشرع الشريف و هذا هو حق التكليف. و كيف يتعلق المريد بعلمه أو عمله أو عقله أو قوته؟ كل هذا لضعف إيمانه, عيه مهما أوتي من أوصاف و صفات أن ينظر كيف يُفعل به لا أن يقول ماذا أفعل؟ و لذا قال ربنا جل جلاله: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ ﴾ (سورة الأحقاف/9) هذا هو حق العبودية, فربنا تبارك وتعالى أمرنا أن نكون عباداً له و طالما أنه تبارك و تعالى خاطب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ ﴾ (سورة الأحقاف/9) حتى يسلِّم له, فنحن أولى بالتسليم, لأن النبي صلى الله عليه وسلممؤيد بروح القدس عليه السلام.

﴿187﴾ كل المخالفات الشرعية بسبب الغفلة عن الله عز وجل, لذا وجب علينا أن نعبد الله بالمشاهدة, كما في الحديث الشريف: [أن تعبد الله كأنك تراه] (رواه مسلم) فإن لم تصل إلى هذا المقام, فاعلم أنك في مقام: [فإنه يراك] (رواه مسلم) كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ﴾ ؟ (سورة العلق/14) هل هناك من شك في مراقبة الله لنا؟ فعلينا أن نستحي من الله تعالى من أن نضع الشيء في غير ما خلق له, و قلبنا خلق لمعرفة الله عز وجل و لمحبته, لا لمحبة

الدنيا التي من مظاهرها حب إقبال الخلق علينا, و حب النساء, و حب المال, و حب الجاه, و حب الظهور, نعوذ بالله من هذه الأوصاف الذميمة.

﴿188﴾ تعلق الإنسان بماديته و نفسه يبعده عن ربه عز وجل و عن كتابه, و عن رسوله, و ينزل به إلى منزلة بهيمية شيطانية فرعونية نمروذية فإذا به يقول: أنا أكون و غيري لا يكون, أنا أكون سلطاناً شيخاً, أنا أكون مخدوماً, و هكذا يكون شيطاناً في صورة إنسان و العياذ بالله تعالى, أما شأن الخاضع المخبت لأمر الله عز وجل فإنه يستحي أن ينسب إلى نفسه شيئاً فهو قد سلك طريق الصالحين, طريق أولياء الله, طريق رسول الله صلى الله عليه و سلم.

﴿189﴾ إذا طلبت نفسك الشراب و الطعام و الراحة, فأعطها بقدر ما تقوم به و تقوى على طاعة الله عز وجل. و لا تسترسل معها في كل مطلب, بل أعطها بمقدار ما سمح لك الشرع الشريف, و إلا تسقط من رتبة الإنسانية إلى رتبة بهيمية و العياذ بالله تعالى.

﴿190﴾ اتباع الهوى من أخطر الأمور على المريد, و أشده أن يؤيد هواه بالحجة الشرعية, أما الفتور في العبادة فمن طبيعة الإنسان لذلك نوع الله تعالى لنا العبادة, فإذا أصابك فتور في ذكر الاسم المفرد ارجع إلى كلمة التوحيد, و إذا أصابك فتور في ذكر كلمة التوحيد ارجع إلى الصلوات الشريفة, فإذا تعب القلب ففير العبادة.

و اعلم أن الفتور لا يدفع إلى المعصية بل يحولك إلى سنة ثانية. و هذا الانتقال من عبادة إلى عبادة بسبب التعب إنما هو لأهل الطريق.

﴿191﴾ حق على المؤمنين أن يسكتوا أصحاب الهوى الذين يؤيدون هواهم بالحجج الشرعية, و لا يجادلوهم لأنهم جعلوا إلههم هواهم قال تعلى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ (سورة الجاثية/23). و كل واحد يدافع عن إلهه, و علمنا بجانب علم الله تعالى لا شيء, فمن اعتمد على علمه فإنه يذهب بالكلية و يكون سخرية بين الناس لأنه سوف يتخبط في ظلمات جهله.

فليس هناك نفوسٌ أطهر من نفوس الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لأن نفوسهم متعلقة بالوحي المنزل من اله تعالى, و ليس هناك بعدهم أطهر من نفوس من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلملأن نورهم مستمد من نوره صلى الله عليه و سلم. أما من تعلق بهواه و العياذ بالله تعالى فإنه يريد أن يلعب بالناس من خلال دينهم.

﴿192﴾ أسلوب الخداع يقدر عليه كل إنسان, و لكن المخادِع ماذا يقول لربه تبارك و تعالى يوم القيامة؟ و ماذا يقول لرسوله صلى الله عليه و سلم؟ فالمؤمن كما أنه لا يحب أن يُخدع, فوجب عليه أن لا يَخدع, و أشر ما يصدر من المخادِع أن يَخدَع المؤمن الصادق المخلص, و الخِداع من طبيعة النفوس الأمارة بالسوء, فهي تزين لصاحبها هذا الفعل حتى يتوجه الناس إليه, لأنه تظن أنها بهذا الأمر تترقى, و في الحقيقة تسقط من عناية الله عز وجل, و يتشتت شمل صاحبها في الدنيا و الآخرة, و في الحديث الشريف: [من طلب العلم ليماري به السفهاء, و يكاثر به العلماء, أو يصرف به وجوه الناس إليه, فليتبوأ مقعده من النار] (أخرجه الترمذي). حفظنا الله و إياكم من شرور أنفسنا. آمين.

﴿193﴾ إياكم إياكم إياكم, أن تتبعوا خطوات الشيطان, فإنه يدخل بينكم و بين ربكم, و بينكم و بين نبيكم, و بينكم و بين شيخكم, و بينكم و بين إخوانكم, و إذا أورد إشكالاً لا يمكنكم حلَّه, فلا تسترسلوا معه فإنه ينقلكم من إشكال لآخر, بل عليكم أن تستعيذوا بالله تعالى منه لقوله تعالى: ﴿ وَ إِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأعراف/200) ففي هذه الحال أنت مأمور بالاستعاذة, لا بالمجادلة و المعاندة له. نعوذ بالله من شياطين الإنس و الجن.

﴿194﴾ صفة الغضب لا يجب استئصالها, بل يجب علينا أن نصعّد صفة الغضب من الغضب للنفس, إلى الغضب لله, و من لم توجد فيه صفة الغضب فهو ناقص, فالغضب على قسمين:

1ً- غضب للنفس, و هذا مذموم لأنه يستولي على العقل, و يخرج الإنسان عن دائرة العدل و يوقع في التعدي و الظلم, و هذا القسم يضر بالإيمان لقوله صلى الله عليه و سلم: [الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل] (رواه الطبراني)

2ً- غضب لله عز وجل, و أقله أن يتغير وجهه لله, إذا انتهكت حرمات الله عز وجل.

و من كان غضبه من القسم الأول يجب عليه أن يكظم غيظه,حتى يدخل في صفة عباد الله المتقين, الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران/134).

﴿195﴾ إذا كنت سريع الغضب, فكن سريع الرضا, حتى لا يغلب غضبك عقلَك, فإذا غلب غضبك عقلك, لعب بك الشيطان, كما يلعب الأولاد بالكرة, وسبب هذا ضعف شخصيتك, و لا يمكن أن تقوى شخصيتك, و لا يمكن أن تقوى شخصيتك إلا إذا تحررت من قيد النفس و الشيطان, و ملكتَهما و لم يملكاك وفي الحديث الشريف: [ليس الشديد بالصرعة, إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب] (رواه الشيخان).

﴿196﴾ الجهل على ثلاثة أقسام:

1ً- جهل بسبب الحسد, و صاحبه لا يقبل الحق, لأنه قد تمسك بنفسه.

2ً- جهل بسبب الحماقة, لحماقته لا يقبل الحق مهما كان مصدره, و لقصر عقله لا يصل إلى الحقيقة, بل ينكر على أهل الحقيقة و يقيس الحقيقة على عقله القاصر.

3ً- جهل بسبب عدم المعرفة, و صاحبه يصل إلى الحقيقة بالاستفسار.

﴿197﴾ جِرمُ الإنسان صغير, و لكن جُرمه كبير, و العقاب على قدر الجُرم, لا قدر الجِرم, لذا صاحب الجِرم الصغير, إذا أنكر شرع الله عز وجل لا يليق به إلا نار جهنم, و العياذ بالله تعالى, و ما أكثر التهديد في القرآن الكريم لهذا الإنسان, وهو في غفلته مستغرق لا يتفكر, و لا يرجع إلى رشده قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (سورة الإنفطار/6). لو هددك إنسان, و هو قادر على إنفاذ تهديده, هل تخالفه؟ لا. فكيف بعد تهديد الله و وعيده, تتعدى حدود الله عز وجل؟ و هذا لا يليق بإنسان عاقل, و هو يرى نعم الله عز وجل تتوالى عليه, علينا أن نستحي من الله عز وجل, الذي أعد الجنة لمن أطاعه, و النار لمن عصاه.

﴿198﴾ نفوسنا الأمارة بالسوء لا تصح أن تكون ميزاناً لأفعال و حركات المسلمين في تصويبها, الميزان إنما هو شرع الله عز وجل, لأن شرع الله عز وجل منزه عن المصلحة التي تعود لصالح المشرع, فهو غني عن العالمين.

﴿199﴾ بعض الناس ينسبون الفضيلة و الإحسان لأنفسهم, و الله عز وجل يقول: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (سورة النجم/32) و الاعتراف بالنقصان كمال, كما ادعاء الفضل نقص, فلا بد للعاقل أن يفتش عن عيوبه, و يعترف بنقصانه, لأن الاعتراف بالخطأ ميراث للمؤمن من أبيه آدم عليه الصلاة و السلام.

﴿200﴾ العلوم الشرعية و دراستها آلة لنيل رضا الرحمن عز وجل, و لمخالفة النفس, و محاربة الشيطان, و ليست آلة لاتباع الهوى, و تأييده بالحجة الشرعية. قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الجاثية/23). فحظ النفس من دين الله عز وجل مخالفتُها و محاربتها بقلة الطعام و الشراب, و تخويفها بالله عز وجل و بالموت, و أن تعلم أنها خلقت للعبادة. و العبادة

من طاعة و ذكر و تلاوة القرآن الكريم و محبة لله و محبة لرسوله صلى الله عليه و سلم, إنما هي من فضل الله عز وجل على العبد.

﴿201﴾ احذروا شهوة حب الظهور و الجاه, لأنها مانعة من الوصول إلى الله عز وجل, و توقع الإنسان في حضيض الفرعونية و النمروذية, لذلك يجب ترك هذه الشهوة كلياً, فكم من عالم متكلم يشار إليه بالبنان, و لكنه غافل عن الله عز وجل يبحث عن شهرة و عن سمعة, و ربما تأخذه العزة بالإثم إذا قيل له: اتق الله, لأن صاحب حب الظهور يعتبر نفسه مَظهَراً للشريعة, فيجعل الشريعة خادمة لحظوظه و أهوائه, و عندها يخسر الدنيا و الآخرة.

خاصموا أنفسكم بسيف الشريعة, و اقتلوا هواكم باتباعكم لرسول الله صلى الله عليه وسلمهذا هو الميزان لمن أراد الوصول إلى الله عز وجل.

﴿202﴾ الدين واحد لا يتعدد, و المؤمنون اختلفوا لاختلاف الأشخاص و الأفهام و الهوى, فلابد من ترك الكل, و اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر و نهى, هذا هو الدين الصحيح و ليس هناك طريق للولاية إلا باتباع الرسول صلى الله عليه و سلم.

﴿203﴾ الذي يرى ذلته في معصيته مقدم على من يرى عزته في طاعته, و من رأى عزته في طاعته كان مقيداً بشهواته و ما قيد بشهواته إلا لبعده عن الشرع الشريف, و هذا يكون بعيداً عن الله عز وجل. و لا خير في رجل مكبل في شهواته, كيف يصل إلى الله تعالى في طاعته و هو يطلب منزلة و شهرة و مكانة في قلوب الخلق؟ و كل هذه الأمور تحجبه عن الله عز وجل, الطائر لا يطير في جو السماء إذا علق بجناحيه شيء, فكيف بمن قيد بشهواته؟ . لذا أقول: إذا أردت أن تكون مقيداً فليكن قيدَك الشرعُ الشريف, و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم, لأنه من قيد بذلك جمع الخير من كل جوانبه بإذن الله تعالى.

﴿204﴾ كل إنعام يوجد فيه إيلام, إلا نعمة المعية الله تعالى لا يوجد معها إيلام, و من كان في معية الله تعالى فإنه لا يشعر بفقد شيء, كما أنه من اعتمد على غير الله تعالى لا يجد شيئاً, و كل نعمة أنعمها الله تعالى على عبده إذا سلبت منه فإنه يشعر بالإيلام بفقدها إذا لم يكن بمعية الله تعالى, أما إذا كان بمعية الله و يتذوق حلاوة تلك المعية فإنه لا يتألم بفقد أي شيء,لأن الله تعالى يقول: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ ﴾ (سورة النحل/96).

﴿205﴾ لا تقل في دين الله بهواك فيُرديك و يُظلم قلبك, و يسلب إيمانك و معرفتك, و يسلط عليك شيطانك و نفسك و هواك. و إذا كان الهوى حاكماً عليك أفسد عليك دينك و آخرتك. لذلك أقول:

اجعل هواك مغلوباً لعقلك, و صاحب العقل هو الذي يقيد نفسه بشريعة الله عز وجل, فمن قيد نفسه بلاشريعة ارتقى, و من قيد نفسه بالهوى هوى و كانت عاقبة أمره خسراً و العياذ بالله تعالى.

﴿206﴾ من أراد أن يفتح اشتهاء قلبه للذكر نصحه بكثرة الذكر و لو مع الغفلة, و لو قلنا له شيئاً آخر لكنا غير صادقين في نصحه, لأن الحديث القدسي يقول: [أنا جليس من ذكرني] (رواه الديلمي و البيهقي) فإذا كان العبد يُصدِّق هذا الحديث عليه أن يذكر كثيراً حتى يشعر بمجالسته لربه عز وجل, هذه هي آلة الفتح على العبد لمن كان متعلقاً بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم.

و بعض العلماء يقول: الذكر باللسان مع غفلة القلب لا يفيد. و لكن نحن نقول: عليكم بكثرة الذكر و لو مع الغفلة حتى يفتح اشتهاء القلب للذكر, فلا تتركوا ذكر اللسان حتى يذكر القلب, عندها تجمعون بين ذكر اللسان و ذكر القلب و هذا هو الذكر النافع.

﴿207﴾ إذا راقبت قلبك أيها المؤمن وجدته لا يثبت في أقل من لحظة على حالة واحدة في عبادة أو غيرها, فكيف تتكل و تعتمد على نفسك و أنت في هذا الضعف و في هذه الحالة؟ فالتجئ إلى ربك تبارك و تعالى, و اخرج من حولك و قوتك, و أكثر من دعاء النبي صلى الله عليه و سلم: [يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك] (رواه البخاري) و بادر بالأعمال الصالحة, و لا تسوف في متابعتك للشرع الشريف, فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن.

﴿208﴾ أحياناً يعطي الرب جل و علا من فضله و كرمه عبداً من عباده بعض الأمور الغيبية, و يأخذها منه حيناً آخر, حتى لا يتعلق العبد بتلك الأمور, و ليبقى في العبودية دائماً و لا يُنقص من وظائف العبودية شيئاً, فمن عرف ذلك عليه أن لا يحزن إن غابت عنه بعض الأمور, لأنها ما تخرج عن دائرة الأمور المادية, و عليه أن يبقى في مقام العبودية لأن هذا هو المطلوب للعبد الصادق المخلص.

﴿209﴾ المؤمن الصادق إذا صلى فكر في صلاته أولاً هل هي موافقة للشريعة أم لا ؟ فإذا كانت موافقة حسب الظاهر فكر في صلاته, هل صلى في خشوع أم لا ؟ فإذا صلى في خشوع فكر في تلك الصلاة, هل قبلها ربي عز وجل أم لا ؟ و كذلك ذكره و عبادته, نرجو الله ع و جل القبول بفضله و كرمه.

فمن صلى هذه الصلاة فإنها تنهاه عن الفحشاء و المنكر بإذن الله تعالى, و من أراد أن تكون صلاته هكذا عليه بكثرة ذكر الله تعالى بلسانه مع الحضور التام و استقامة إبرة القلب نحو الله تعالى, و إلا فإن صلاته تلف و تضرب في وجهه و العياذ بالله تعالى, و لا تؤتي ثمرها. أما في ظاهر الشريعة فإنه صلى و سقطت عنه الفريضة.

﴿210﴾ إذا أعطى الله تعالى عبده المؤمن نعمة من النعم التي اختص بها عباده الصالحين, من معارف و أذواق, أو وفقه لطاعته و اتباع رسوله صلى الله عليه و سلم, أو منحه بعض أسرار القرآن الكريم و وفقه للعمل بها, يجب عليه أن يقدر هذه النعمة, و أن يفكر بأن هذه النعم ليست رخيصة, بل الدنيا بما فيها لا توازي نعمة واحدة من تلك النعم, و يجب عليه أن يحسن جوارها حتى لا يعرضها للزوال, و الإحسان لجوار هذه النعم بأمور ثلاثة:

أولاً: أن يشكر الله تعالى على تلك النعم, لأن الشكر عقال النعم.

ثانياً: أن لا يضيع وقته في الاشتغال بما لا يعنيه.

ثالثاً: أن لا يشتغل بشيء من الحظوظ الدنيوية من شهرة و سمعة و مقامات و كرامات و كشوفات, أو بمال أو بأهل, حتى لا تكون تلك الحظوظ حجاباً على قلب العبد, فتحجُبه عن حضرة الرب تبارك و تعالى.

﴿211﴾ لا تضيعوا تلك الجواهر الثمينة التي منّ الله بها عليكم, فأعلاها و أغلاها الإيمان بالله و رسوله, ثم جوهرة هذا الطريق المبارك و الصحبة الصالحة, لأن من آتاكم هذه النعم الجليلة قاد على أخذها قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد/11). طريقة المحافظة عليها الشكر, و الشكر على شقين:

الأول: أن تعلم أن الله تعالى مصدر النعم كلها فتعبده و تشكره.

الثاني: أن تشكر السبب, و أن تعلم أن السبب كان مظهراً لتلك النعمة فقط و ليس خالقاً لها.

و بالشكر تحافظ على النعمة الموجودة و تستجلب النعمة المفقودة. اللهم اجعلنا من الشاكرين لك, و وفقنا للعبودية الحقة, و اجز عنا أسيادنا خير الجزاء برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿212﴾ الإكثار من كلمة التوحيد لا إله إلا الله تغير الإنسان و تجعله ذهباً صرفاً, و لكن لا بد مع كثرة الذكر من الحضور التام, و بالذكر يترقى الإنسان و يخفف من طبيعته البشرية, فإذا حصل هذا حصلت معه المعرفة بالله تعالى. و لكن بعض الناس في غفلة, و أصبح الذكر عليهم ثقيلاً و نسوا وصف الله تعالى للمنافقين في القرآن الكريم عندما قال: ﴿ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (سورة النساء/142) يقرؤون القرآن, و لا يفهمون, و إذا فهموا لم يطبقوا على أنفسهم. ليس كل مؤمن أفعاله أفعال المؤمنين, قد يكون مؤمناً, و بعض أفعاله أفعال المنافقين, لذلك وجب عليك أيها المؤمن أن تعمل بمستلزمات هذا الإيمان, و من مستلزماته الذكر الكثير, قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب/41).

فلو عرف الناس حقيقة الذكر و قيمته ما تركوه ليلاً و لا نهاراً, و لا في حال من الأحوال, و يكون مثلهم مثل الجائع الذي إذا لم يجد شيئاً أكل ما حضر ليسد جوعه.

﴿213﴾ كل كلام و كتاب و علم جافٌ أمام كتاب الله عز وجل و سنة رسوله صلى الله عليه وسلمو شبح لا روح فيه, و كأنه طعام لا ملح فيه, إلا كلام بعض الكبار من الأولياء كالإمام الغزالي و القطب الرباني و بديع الزمان رضي الله عنهم جميعاً, لأن هؤلاء و أمثالهم تكلموا و كتبوا و علموا مع تجريدهم من كل الحظوظ, تكلموا بالله و عن الله عز وجل, فصحبة هؤلاء و أمثالهم فرض عين على كل مسلم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة التوبة/119).

﴿214﴾ الأناشيد تحرك ما في القلوب, و لا توجد شيئاً مفقوداً, عليكم أيها الذاكون أن تشتغلوا بالذكر, التفتوا إلى قلوبكم لتخرج من غفلتها عن الله عز وجل, الكثير يذكرون بدون حضور قلب مع المذكور لأن القلوب تعلقت بغير المذكور, فلا بد من كثرة الذكر حتى تخرج القلوب من غفلتها.

﴿215﴾ تلاوة القرآن الكريم شيء, و التدبر شيء آخر, و حضور القلب شيء ثالث, فإذا قرأت القرآن الكريم اقرأه بقوة الإيمان بأنه كلام ربك و أنه فوق كلام البشر بدون استثناء, و حتى تكون تلاوته نافعة لا بد من كثرة الذكر لله تعالى مع الحضور, فإن كثرة الذكر لله تعالى مع الحضور التام, تجعل تلاوتك للقرآن نافعة, و تجعل استماعك للقرآن نافعاً, و تجعل صلاتك تنهاك عن الفحشاء و المنكر.

﴿216﴾ من القوم من يقف عند الأفعال, و يفنى في أفعاله سبحانه, قال تعالى: ﴿ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ (سورة الأنفال/17), و منهم من يقف عند الصفات, و يفنى في صفاته سبحانه, قال تعالى: ﴿ وَ مَا تَشَاءُ ونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ (سورة التكوير/29), و منهم من يصل إلى مقام الإحسان فيراقب ربه ببصيرته. أقول و بالله التوفيق: الوقوف عند الأفعال لمن بواسطة الأفعال يصل إلى الصفات, و من الصفات إلى الذات, هذه المقامات تحصل لبعضهم دفعة واحدة, يكون فيها الجمع مع الفرق, هذا لمن وصل بنور الإيمان الصادق مع الأخذ بالشريعة, فهو يعرف ربه تبارك و تعالى بإذنه و لا يحتاج إلى دليل, كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: (نحن نعرف الله جل جلاله بدون دليل). و الحاصل التفكر في الأفعال و الصفات لتقوية إيمان البعض, و للبعض الآخر جمع مع الفرق.

﴿217﴾ الإنسان لا يأخذ بوسوسة الشيطان إلا لضعف إيمانه, فلو كان إيمانه قوياً لاتخذ الشيطان عدواً, كيف لا يتخذه عدواً, و هو عدو لله و للإنسان؟ فأنت أيها المؤمن مأمور أن تتخذه عدواً, و من اتخذه عدواً فإنه لا يوافقه البتة, و الذي يعينك عليه كثرة ذكرك لله تعالى سراً و جهراً مع الحضور التام.

﴿218﴾ من عمل بمقتضى الإيمان و مستلزماته, يكون مراداً عندنا لأنه على سنة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم, أما إذا لم يعمل بمقتضى الإيمان و مستلزماته, فلا يكون مراداً عندنا, و لا يُسترسل معه, و لا يُعتمد عليه في التعامل, و لكن لا يُشك في إيمانه. و نحن لا نرد أحداً جاءنا ما لم يضر بالدين و الطريقة, و ما رأينا ضرراً على الدين و الطريقة أعظم من ضرر من اتبع نفسه و هواه و شيطانه, و تمسك بالعصبية, و أيد هواه بالحجة الشرعية. نعوذ بالله من شرور أنفسنا, لأن الذي

أخذه هواه ضررُه على الدين و الطريقة أشد من الذين آمنوا و وقعوا في المخالفات الشرعية و تابوا, قال تعالى: ﴿ فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ (سورة النساء/135) فاتباع الهوى يحرف صاحبه عن العدل. و من ترك خالقه و أخذ بهواه كيف يكون حاله؟

﴿219﴾ الأفعال لها تعلق بالأرواح طيباً و خبثاً, فمن كانت روحه طيبة فإنه لا يصدر عنها إلا الخيرات و صفات الكمال, و من كانت روحه خبيثة و العياذ بالله تعالى فإنه لا يصدر منها إلا كل فعل خبيث و صفات ناقصة, فالأفعال مقيدة بالأرواح طيباً و خبثاً. و لما كانت روح النبي صلى الله عليه وسلمطاهرة مطهرة نتج عنها كل فعل كامل مكمل. و كذلك من كان قلبه طاهراً تقياً نقياً, و روحه طيبة كان على قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم. نسأل الله تعالى طهارة القلوب و الأرواح.

﴿220﴾ إذا أردت أن تكون محبوباً عند الله عز وجل فاترك مرادك لمراد الله عز وجل, و اترك أفعالك لفعل ربك عز وجل, و اترك هواك لهوى رسول الله صلى الله عليه و سلم, و اجعل القيد الذي تقيد به نفسك شرع الله تعالى لا هواك, عندها تكون محبوباً عند الله عز وجل بفضله و كرمه. و المحبوبون على قسمين:

القسم الأول: بالاصطفاء و الاجتباء و العناية.

القسم الثاني: كانوا محبين فجاهدوا أنفسهم في المتابعة حتى صاروا محبوبين. و هؤلاء رتبتهم دون القسم الأول, لأن المحبوبين بالاصطفاء ما تركوا المجاهدة في الاتباع فنالوا شرف المقام من الجهتين, من جهة الاصطفاء و من جهة المجاهدة, لذلك كانت مرتبتهم أعلى.

﴿221﴾ الذي خرج من الدنيا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و من التابعين و الصلحاء خرجوا بأخلاقهم الطيبة و سيرتهم الحسنة إلى قبورهم, و هذه الأخلاق القرآنية بقيت لمن بعدهم فمن أخذ بها و عمل بها فهو على سيرتهم و نهجهم رضي الله عنهم, فلا تتركوا الأخلاق الحميدة فإنها ميراث رسول الله صلى الله عليه و سلم, فمن أخذ بها أخذ بحظ وافر, فليكن حظنا وافراً. و الأمر يسير بفضل الله تعالى لمن صدق في الطلب.

﴿222﴾ العاقل لا يأكل ما لا يتحمله في الدنيا و الآخرة, فطوبى لمن يقتصد في أخذ الدنيا, و لا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها, حتى ينجو من وبالها, مثله مثل التاجر الذي يكسب المال بطريق مشروع من بيع و شراء و غيرها و يؤدي حقه, هذا و لو كان عنده حرص على الكسب فإنه لا يضر, لأنه جُمع من حِله و وضع في محله. أما من دفعه حرصه على الكسب لأكل الحرام و العياذ بالله فإن حرصه يضر به و في الحديث الشريف:[كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به] (رواه البيهقي و أبو نعيم).

﴿223﴾ اشتغالنا في الدنيا كثير, و نتطلع إلى أحوال هؤلاء الرجال الكرام الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه من العبودية, و نريد أن نكون مثلهم, هيهات هيهات, الوصول إلى مقام العبودية لا يكون إلا بتخلية القلب من حب الدنيا بكل صورها, لأن الإيمان ليس بالتمني و لا بالتحلي, و لكن ما وقر في القلب و صدقه العمل, فلا بد لنا من المجاهدة حتى نهدى إلى سبل الهداية, و وعد الله محقق لن يخلف الله وعده, قال الله تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت/69).

﴿224﴾ الناس في دنياهم على مراتب ثلاثة:

المرتبة الأولى: رجل دخل الدنيا و انغمس فيها, و تأثر بظاهرها و تعلق قلبه بها, و نسي المهمة التي وجد من أجلها, فهذا يُؤثر ما يفنى على ما يبقى و العياذ بالله تعالى.

المرتبة الثانية: رجل دخل الدنيا و رأى مظاهرها و زخارفها و تأثر فيها, لكنه يجاهد نفسه ليرجع إلى الله تعالى, لأن الإيمان في قلبه يتحرك و يشتاق إلى العبودية.

المرتبة الثالثة: رجل دخل الدنيا بجسده, و قلبه متعلق بربه عز وجل, فلم يتأثر قلبه بمظاهر الدنيا و زخارفها, و كان من الرجال الذين قال الله فيهم: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (سورة النور/27).

﴿225﴾ الدنيا و ما فيها سراب, و هل رأيت السراب يوماً أروى عطشاناً؟ فلا تغتروا بالدنيا فهي و الله سراب, فلا بد من مجاهدة النفس بكثرة الذكر لله تعالى حتى تروا هذه الحقيقة. و العاقل لا يعلق أمله بسراب, فلا تجعلوا أقصى أمانيكم الدنيا فهي إلى زوال و الله باق, تمسكوا بالباقي, فمن تمسك بالفاني فهو فانٍ, و من تمسك بالباقي فهو باقٍ.

﴿226﴾ بمقدار اشتغال العبد بالدنيا و تعلق قلبه بها يكون حرمانه من الدين و العياذ بالله تعالى, كحال من يذهب إلى الحج فبمقدار اشتغاله في التجارة تكون خسارته من الزيارة, فالعاقل هو الذي يجمع من الدنيا بمقدار حاجته منها, لا بمقدار طاقته, لأن تلك الطاعة التي جعلها الله فينا ليست من أجل الدنيا, بل من أجل معرفته.

﴿227﴾ من وقف على حقيقة التقوى, و حقيقة الشريعة, و ذاق ثمرة العبودية و حلاوتها, فإن الدنيا لا تهمه, و لا يأخذ منها إلا بقدر الضرورة, و الضرورة هي أن يقوى على فعل الطاعة, و ترك المعصية. و أصحاب هذا المقام يجتنبون الانغماس في المباحات رضي الله عنهم.

﴿228﴾ الذين يختارون و يقدمون و يرجحون أمر الله و شريعته, و أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته على أنفسهم و على كل شيء هم المؤمنون حقاً. الله اجعلنا ممن سبق لهم العناية, و تقدم في حقهم التوفيق الخاص و الهداية, آمين يا رب العالمين.

﴿229﴾ رأس حبل القرآن الكريم اتباع النبي صلى الله عليه و سلم, و هو صلى الله عليه وسلم متعلق بالإسلام. و الإسلام يجمع جميع المشارب و المسالك, و لكن بشرط واحد هو الاتصال بالشريعة و الاتباع. و لا نرى مشرباً أفضل من المشرب الذي أخذ أهله باليد الأولى الكتاب و بالثانية السنة, و كانوا من أهل الاستقامة على الصراط السوي, نرجو الله تعالى أن نكون من المتمسكين قلباً و عقلاً و روحاً بالشرع الشريف, و من الذين تطابقت أفعالهم مع أقوالهم, إنه على ما يشاء قدير.

﴿230﴾ الطبيعة البشرية ناقصة, و لا يكمل الناقص الناقص, بل من كان كاملاً كمل الناقص, و الكامل هو رسول الله صلى الله عليه و سلم, فمن كان على سيرته صلى الله عليه وسلم فببركته صلى الله عليه وسلم يكمل الناقص إذا كان صادقاً.

﴿231﴾ مداخل الشيطان على الناس كثيرة, و قد يدخل عليهم من طرق شرعية و يؤيد هواهم بالحجة الشرعية و العياذ بالله تعالى, فليكن السالك على حذر من شر الشيطان, و لا يأمن شره ما دام حياً, و ليس هناك أضمن لنجاة العبد من التمسك بالشريعة.

﴿ 232﴾ العقل ليس ميزان الإنسان المؤمن, لأن هذا الميزان خاطىء, بل ميزانه الشرع الشريف, فإذا ما حصلت خصومة بينه و بين الآخرين فلا يرد أمر الاختلاف إلى عقله بل إلى الشرع الشريف, لأن الشرع قانون وضع لكل الناس, فحدد فيه علاقة المؤمن مع المؤمن, و علاقة المؤمن مع غير المؤمن. ففي أية خصومة و مع أي إنسان كان اجعل مرجعك شرع الله تعالى.

﴿233﴾ لا بد لأي تجارة كانت من رأس المال, فتجارة الدنيا رأسمالها المال, و تجارة الآخرة رأسمالها الإيمان, فمن عمل بمستلزمات الإيمان فإن الإيمان ينمو في قلبه و يزداد حتى يُدخل صاحبه الجنة بفضل الله تعالى, و أما إذا لم يعمل بمستلزمات هذا الإيمان فإنه يعرض إيمانه للضياع و العياذ بالله تعالى, كمن لا يعمل برأسماله في التجارة الدنيوية فإنه يعرض رأس المال للضياع و النهاية.

﴿234﴾ أنت مؤمن بفضل الله تبارك و تعالى, و قد رتب الله تعالى على إيمانك فلاحك و نجاتك و فوزك العظيم حيث قال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُوْلَئِكَ هُم الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة البقرة/5).

و حاشاه أن يكون خُلْفٌ في وعده. ناداك في القرآن الكريم بصفة الإيمان, و رتب على إيمانك الهداية و الفلاح. فلا بد أن تكون أعمالك مطابقة لإيمانك, و موافقة لمقتضاه, من صلاة و زكاة و غيرها من الأوامر الإلهية, و أن تترك المنهيات و المخالفات التي هي ضد مقتضى الإيمان, فلا تتبع خطوات الشيطان, و لا يركبنك الهوى, و اتبع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى تكون من الفائزين.

﴿235﴾ أمران لا بد منهما للسالك:

الأمر الأول: امتثال أوامر الله تعالى, و إذا ثبت الأمر انتهى السالك عن المعاصي.

الأمر الثاني: الشفقة على عباد الله, و أن تسامح من أساء إليك في حقك, و اعلم أن الشجرة التي لا ثمار فيها لا ترمى بالحجارة, ففوض أمرك إلى الله تعالى, و تسامح مع خلق الله و لكن ليس على حساب دينك.

﴿236﴾ أيها السالك الصادق اصرف قلبك إلى ربك و لا تعلقه بمن لا يحصل منه شيء من نفع أو ضرر لقوله صلى الله عليه و سلم: [و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك, و إن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك, رفعت الأقلام و جفت الصحف] (رواه الترمذي). فعلق قلبك بالله الذي بيده ملكوت السموات و الأرض.

﴿237﴾ ليس من شأن الرجال و أصحاب العقول السليمة أن يتركوا أدبهم مع غير المتأدبين, بل شأنهم أن يحافظوا على أدبهم مع الخلق كلهم لأنهم عيال الله, و هم يوافقون الرسول صلى الله عليه وسلم في أخلاقه. و الناس يدخلون الطريقة من أجل هذه الأخلاق. و مخالفة النفس و الشيطان أيسر من مخالفة الخلق, و مخالفة هؤلاء أصعب من كل القواطع عن الله تعالى, فلا تعادِ أيها السالك أحداً من المؤمنين, بل عليك بمعاداة الشيطان لأن الله أمرك أن تعادي الشيطان, و أن تُؤاخي المؤمنين بدون مداهنة.

﴿238﴾ الواجب على المؤمنين تجاه النبي صلى الله عليه وسلم التعظيم قال تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً ﴾ (سورة الفتح/9). و واجب المؤمنين تجاه بعضهم البعض الرحمة, قال تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة الفتح/29), و هذا أمر ليس بسهل, بل هو أمر عظيم جاء إلى نبي عظيم حتى وصل إلينا, فلا بد أن نستحي من الله تعالى, و أن نطبق شرع الله تعالى على جوارحنا.

﴿239﴾ طبيعة ابن أبي بن سلول موجودة بين الناس و لا يمكن التخلص منها إلا بالمجاهدة و المتابعة للنبي صلى الله عليه و سلم, فراقب نفسك و كن على حذر من صفات ذاك المنافق أن توجد فيك, ذاك نفاقه اعتقادي, و من لم يعمل بمستلزمات الإيمان, و عمل بعض أعمال المنافقين كان نفاقه عملياً, فلا بد من التوبة إلى الله عز وجل من طبيعة المخالفين.

﴿240﴾ إذا كنت صادقاً مع الله تعالى, و مع رسوله صلى الله عليه وسلم فإنك تقف على أسرار هذه الشريعة و التي من جملتها الطواف, فبصدقك تقف على ذلك السر الذي طاف به رسول الله صلى الله عليه و سلم, و حين ذاك إذا رأيت الكعبة المشرفة ترى التجليات الذاتية, و تشم رائحة النور الإلهي الذي يصب على الكعبة المشرفة, و تشعر بتلك الرحمات التي تنزل على الكعبة.

﴿241﴾ الصدق الذي حضنا عليه أسيادنا رضي الله عنهم هو بوسعنا, و الله تبارك و تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها, فهو تكليف شرعي, و لكن بسبب اتباع الهوى و الشهوات لا نطبق على أنفسنا, و لا نمتثل أمر ربنا جل و علا. نتكلم عن الشريعة و

لا نطبق, نتكلم عن الطريقة و لا نطبق, فهل هذا من الصدق؟ لا و الله. نحن خُلقنا للعبادة فمرادنا العبودية لا غير, ليس مرادنا الأذواق و لا الكرامات و لا الشهرة و الرياسة, و الله لو تكلم معنا ملَك و قال: أنت من أهل النار و لن تدخل الجنة, لا تتغير عبادتنا لله عز وجل إن شاء الله. هذا يجب عليكم جميعاً, يجب عليكم أن تكونوا صادقين و أن تكونوا مع الصادقين, حتى تدخلوا في مقام العبودية, و الله ليس أحلى و لا أشهى منها عند الصادقين.

﴿242﴾ الصادق مع الله تعالى و مع رسوله صلى الله عليه و سلم, و مع المؤمنين, و مع خلق الله أجمعين و ملتزم الأحكام الشرعية لا يخرج من الدنيا إلا ببطاقة نورانية, فإذا أدخل القبر بتلك البطاقة تعلقت روحه بالعرش و تنعم جسده في التراب, و صار قبره روضة من رياض الجنة, و أما إذا خرج من الدنيا كذاباً و العياذ بالله تعالى صارت روحه في سجّين و تعذب جسده في التراب, و صار قبره حفرة من حفر النار و العياذ بالله تعالى. فإذا نفخ في الصور و خرج الصادق من قبره فإنه يخرج بتلك البطاقة النورانية و يَقدُم على الله و رسوله و المؤمنين, و الله ينظر إليه, و ينشر له كتابه, كما قال تعالى: ﴿ وَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً ﴾ (سورة الإسراء/13). فهذا الصادق أمره إلى الله تعالى إن شاء سأله عن صدقه لقوله تعالى:﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب/8), و إن شاء عامله بفضله, فالصادق هذا حاله, فكيف بحال الكذاب و العياذ بالله تعالى إذا خرج من قبره؟ يجب علينا أن نأخذ ببطاقة الصدق في الدنيا لأنها دار تكليف أما الآخرة فهي دار الجزاء على العمل, علينا أن نكون من أهل الصدق, و أن يكون مطلبنا العبودية لله عز وجل, من خلال متابعة النبي صلى الله عليه و سلم, علينا أن نتحرى الصدق في كل مقاصدنا حتى نكتب عند الله من الصديقين. اللهم اجعلنا منهم و معهم ببركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم, و ببركة أسيادنا رضي الله عنهم, آمين آمين.

﴿243﴾ كن على حذر من مدح الناس لك, لأن أكثر المادحين مداهنون, و مدحهم لك يكون عليك وبالاً, فلو صدقت الله لحثوت التراب في وجوههم, و لو صدقوا الله لكانوا لك ناصحين و لم يكونوا مادحين. اصدقوا الله في كل تصرفاتكم فهو العليم الخبير. فتش عن الأخ الناصح لا المادح. كن ناصحاً و لا تكن مادحاً. لأن مدحك لأخيك يُدخل عليه العجب و الغرور و ربما ينسى الله تعالى مصدرَ كل نعمة, و بالتالي يكون مدحك له وبالاً عليه. و من كان مع أخيه هكذا فليس صادقاً في محبته. عليك بالنصح له في أن يرعى نعمة الله تعالى, إن كنت صادقاً في حبه.

و إذا رأيت نعمة على أخيك قد ظهرت بفضل الله و كرمه, وجب عليك أمران:

1- المدح و الثناء لله تعالى, لقوله تبارك و تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (سورة النحل/53).

2- النصح لأخيك في أن ترعى تلك النعمة بالشكر لله عز وجل, لأن الشكر عِقال النعم, و إلا عرّضها للزوال و في الحديث الشريف: [أحسنوا جوار نعمِ الله لا تنفروها, فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم] (رواه أبو يعلى في مسنده, و ابن عدي في الكامل).

﴿ 244﴾ الحر لا يكون عبداً إلا لمعبوده, و لكنه يشكر من كان سبباً في النعمة, و هذا من الدين, و إذا لم يشكر الواسطة يكون مقصراً في دينه. و إذا أردتم شكري التزموا هذه الطريقة المباركة الموصولة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند المتصل, و لا تنسوا فضل الله تبارك و تعالى عليكم, و فضل رسول الله صلى الله عليه وسلمو فضل شيخنا رحمه الله تعالى. من التزم الطريقة بعد وفاة شيخه فهذا الالتزام شكر للشيخ المتوفى, و حرمة المشايخ محفوظة في حال حياتهم و بعد وفاتهم رحمهم الله. لا تكونوا قدوةً و أعواناً لمن يقطع الخلق عن الطريق لأن هذا ليس من الشكر بل من كفران النعمة, قال تعالى: ﴿ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (سورة النساء/105).

﴿245﴾ بعض الناس اعتادوا المدح و اجتمعوا مع بعضهم بسبب المدح, و لو تناصحوا ما اجتمعوا. لو رأيت جماعة كبيرة و فيهم الأخلاق المخالفة, و قلت لهم: إن هذه الأخلاق مخالفة لأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم, لانفضوا عنك جميعاً, و ربما ينالك أذىً منهم, لأنهم اعتادوا على المدح لا النصح. أين نحن من سيرة سيدنا عمر رضي الله عنه عندما قال: رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي؟. هل السعادة في اتباع الهوى أم في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلمو أصحابه رضي الله عنهم؟.

﴿246﴾ كن على حذر من مدح الناس, لأنك لا تعرف باطنهم, و قد تمدح فاسقاً, و النبي صلى الله عليه وسلميقول:[إذا مدح الفاسق غضب الرب و اهتز لذلك العرش] (رواه البيهقي و أبو يعلى عن سيدنا أنس رضي الله عنه).

و إن قلت: إن النبي صلى الله عليه وسلمقد مدح بعض أصحابه, و كذلك يوجد في التابعين من مدح, فإني أقول: هؤلاء الأولياء الكبار لا تتحرك نفوسهم بالمدح و الثناء, لأنهم على يقين بقوله تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (سورة النحل/53) هؤلاء تغلبوا على أنفسهم حتى مات عن هواها, و قليل ما هم.هؤلاء يحمدون الله عز وجل و يشكرونه على عطائه لهم حتى نُصروا على أنفسهم, و أخرجوا أنفسهم من البين, هؤلاء إذا مُدحوا حولوا الأمر إلى الله تعالى, و قالوا: نحن لسنا هكذا بل أعطانا ربنا عز وجل لنصرة على أنفسنا, و به تبارك و تعالى تغلبنا على هواها, و هؤلاء الأولياء الكبار رضي الله عنهم و ألحقنا بهم ماتت نفوسهم و حيت أرواحهم, فكلما مدحوا ربا الإيمان في قلوبهم, كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: [إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه] (رواه الطبراني و الحاكم عن سيدنا أسامة رضي الله عنه). اللهم ألحقنا بهم يا أرحم الراحمين.

﴿247﴾ المدح فيه ضرر على المادح و الممدوح, لأن أكثر المدح يدخل فيه الكذب, و يوقع الممدوح بالغرور و العجب, إلا من حفظه الله تعالى من الكذب و الغرور, الوصول إلى الله تعالى ليس بالمدح بل بالاتباع لسيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم. فلو كان الوصول إلى الله تعالى بالمدح لمدحتُ الناس جميعاً, و لكن ليس الأمر هكذا. كونوا متيقظين و إلا لعب الناس بكم كما يلعب الأولاد بالكرة.

﴿248﴾ الوصول إلى الله تعالى بمقدار الانقطاع عن الخلق و عدم التعلق بهم, و من اعتمد على الخلق سقط من عناية الله عز وجل, و وقع في بئر نفسه و العياذ بالله تعالى, أما من اعتمد على الله عز وجل فإنه يرتفع و يصل إلى الله تعالى, لا تفرحوا بمدح المادحين, و أنتم تعلمون الحقيقة قال تعالى: ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (سورة القيامة/14) لا تفرحوا بمدح المادحين لأنه من زخرف القول, كما قال تعالى: ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ (سورة الأنعام/112) إني أغضب من المادحين كما أغضب من الشياطين.

﴿249﴾ نهاك ربك عن مدح نفسك فقال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (سورة النجم/32). و أنت أعلم الخلق بنفسك لقوله تعالى: ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (سورة القيامة/15) فتعرف خبثها و مكرها و خداعها, فإذا كنت منهياً عن مدح نفسك فكيف تمدح من لا تعرف باطنه, و لا تعرف كل ظاهره؟ و حسن الظن بالمؤمنين غير المدح, فأنت مأمور بحسن الظن, و لست مأمور بالمدح, لأن المدح مرغوب لدى النفوس كلها, و هذا الهوى يوجد في جميع المؤمنين, و هم مشتركون فيه, و نحن مأمورون بالمجاهدة لهذا الهوى قال تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت/69) فكن عوناً لأخيك في مجاهدة نفسه, و ذلك بالنصح له لا بالمدح.

﴿250﴾ لو أصغيت إلى نفسك عندما تُمدح لوجدت العُجب و الغرور فيها يتحرك, و النفوس عند جميع الخلق واحدة, و هذا يعني أن الهوى يتحرك في نفوس الآخرين كما يتحرك في نفسك, لذلك وجب عليك أن لا تمدح حرصاً على إخوانك, و تحثو التراب في وجوه المادحين حرصاً على قلبك و نفسك.

﴿251﴾ لا بد من قطع أصول عِرق الرياء بالكلية, و أصوله ثلاثة أمور:

أولاً: حب الدنيا و التعلق بشهواتها الظاهرة و الباطنة.

ثانياً: اللذة العاجلة و ترجيحها على الآخرة.

ثالثاً: الالتفات إلى الخلق في مدحهم أو ذمهم.

و العاقل لو تفكر بأنه لو سجدت الكائنات لمخلوق, و مدحوه, و أقبلوا عليه بالثناء و السمع و الطاعة, ماذا ينفعه ذلك إذا كان الموت حليفاً للساجد و المسجود له, و علم أنهما راجعان إلى الله تبارك و تعالى, فلا بد أن نتعظ بموعظة الله عز وجل. و أن نتفكر بالوقوف بين يديه تبارك و تعالى.

﴿252﴾ من أظهر حاجته للناس ما عرف الله تعالى, لأن الخير بيد الله عز وجل, و أنا لست بحاجة إلى أحد إلا لله تعالى, لذلك و الله و الله و الله لا أريد أن أحبب الناس فيّ, و لكن أريد أن أحببهم في الله تعالى, و إلى الطريق الشاذلي المبارك الذي يوصل الصادقين إلى محبة الله تعالى.

لذلك أقول: المداهنة ليست من الدين في شيء, و ليست من خُلق الإنسان المؤمن فضلاً عمن انتمى إلى هذا الطريق. رجل واحد صادق يوازي مائة, فتشوا عن الصادق. و لو أحسنا الظن بالجميع نكذب, لأن الجميع ليسوا بصادقين, نرجو الله تعالى أن نكون مع الصادقين أصحاب السند المتصل بسيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم.

﴿253﴾ أنت تفرون من الدنيا إلى الدنيا, و هذا كله تعب و شقاء, و الله لو فررتم من الدنيا إلى الله تعالى لكان خيراً لكم, فمن فر من الدنيا إلى الدنيا كان مَثله كمثل رجل وقع في الوحل يرفع رِجلاً و يضع أخرى و كلتاهما في الوحل. عليكم بالقناعة بالقليل, لأن القليل و الكثير بجانب ما عند الله قليل.

﴿254﴾ اسمع و احفظ وعد الله في كتابه الكريم, المبلَّغ لك عن طريق رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون/11). محال أن تنفي صفة الإيمان عن نفسك, فأنت مؤمن فلا بد لك أن تجتهد لنيل هذا الربح العظيم, و أن لا تضيعه باتباع النفس الأمارة بالسوء, و بإغواء الشيطان الرجيم, و بالحرص على الدنيا الدنية, فالله يهديك الصراط المستقيم. استعن على أمور دنياك و آخرتك بالصلاة و الذكر و مخالفة النفس, لقوله صلى الله عليه و سلم: [أعنّي على نفسك بكثرة السجود] (رواه مسلم).

﴿255﴾ إذا حافظت على الحضور في عبادتك من ابتداء النية إلى نهاية عمل العبادة جاءت الأنوار الإلهية إلى قلبك, فذكر الله تعالى يطهر القلب من الأوزار, و الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم تورث الأنوار, و قراءة القرآن الكريم لا تعد و لا تحصى فوائدها, فإذا صليت بعد ذلك آتت الصلاة ثمارها بإذن ربها, و انقطعت عروق الوسوسة و الخطرات عنك في الصلاة.

﴿256﴾ كن مظلوماً و لا تكن ظالماً, لأنه من كان مظلوماً فبوسعه أن يعفو عمن ظلمه, أما إذا كنت ظالماً لا قدر الله فأنت لست بضامن أن يعفو عنك من ظلمتَه, فإذا كنت مظلوماً فلا يخرجنك ظلم الظالم عن طورك و عقلك و استقامتك, بل اصبر و فوض أمرك إلى الله تعالى, و الله يعينك إن شاء.

﴿257﴾ عليك ألا تخاف أحداً من خلق الله تعالى, من عالم الإنس أو من عالم الجن, و كلما تعلمت مسألة دينية من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكتب القوم طبّقْ على نفسك لأنك مسؤول عن هذا يوم القيامة و الله يدافع عن المؤمن الصادق.

﴿258﴾ الذي تمسك بالإيمان, و كان صادقاً في سيره و سلوكه في هذا الطريق المبارك الذي جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يشوش عليه و لا يحزن, لأن طبيعته البشرية ترقّت و سمت و علت, فهو يفوض أمره إلى الله تعالى, و يتمسك بالكتاب و السنة, و ينظر في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى فيه الأسوة الكاملة و القدوة الصالحة. و من عبد الله تعالى بقلب صادق مع الإخلاص أعانه الله تعالى.

﴿259﴾ الاسترسال مع الخلق من أجل توجيههم إلى شخصية الداعي يذهب بالدين, و هو من قلة العقل, فالداعي لا يلتفت إلى مدح الناس و ذمهم, و لا يسعى إلى محبة الناس له, و لا إلى حبهم لأن في ذلك حظاً للنفس. فالذي يعتمد على الناس ليس من أفراد هذا الطريق, كيف تنظر إلى فلان فتفتخر به, و ينظر إليك فيفتخر بك, و كلاكما عاجز؟.

﴿260﴾ إذا جاءتك مصائب الدنيا و انصبت عليك فلا تترك ذكر الله و تلاوة القرآن الكريم, بل ادفع قساوة تلك المصائب و مرارتها بحلاوة ذكرك لله تعالى, و بمناجاتك لربك تبارك و تعالى, فهو السميع البصير, و هذا شأن المؤمن الصادق المخلص الذي يكون على حذر من الدنيا حلوِها و مرِها, و يكون على حذر من الغفلة عن الله عز وجل.

﴿261﴾ أنت مؤمن باعتقادك و الحمد لله, ولكن لا بد لك من العمل بمستلزمات هذا الإيمان, فلا تكن ممن أعرض عن ذكر ربه, تندم و لا ينفعك الندم, قال تعالى: ﴿ وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (سورة طه/126).

﴿262﴾ المحبة الذاتية علامة الفناء, و الفناء عبارة عن نسيان ما سوى الله تعالى, فإذا لم يُزِلْ العبد عن ساحة صدره العلوم بالتمام, و لم يحصل له التحقق بالجهل المطلق, فإنه لا نصيب له في الفناء أصلاً, و هذا الجهل دائمي لا إمكان لزواله لا أنه يحصل أحياناً و يزول أخرى, ففي عين الجهالة شعور, و في عين الحيرة حضور, و هذا هو موطن حق اليقين. و أحياناً بعد الفناء يجتمع العلم مع البقاء, حين ذاك لا يضر العلم مع البقاء, و الله تعالى الموفق للصواب.

﴿263﴾ كن خليلياً, فالخليل عليه السلام كان صدّيقاً نبياً, و دليل صديقيته أنه استجاب لأمر ربه فوضع السكين على حلق ولده, قس محبتك لربك عز وجل على ذلك, فتعرف مدى صِدقك فيها.

﴿264﴾ أوصيك بتقوى الله تعالى, و اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم, و أنا فرد من أفراد هذا الطريق, و لا أريد شيئاً آخر, و الله شهيد على ما أقول, و سيدنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أوصى أصحابه أن يدفنوه بعد نهاية المعركة, و أن يبقى تحت سنابك الخيل طيلة المعركة, لأنه لا يريد شهرة و لا سمعة رضي الله عنه. (هذه الوصية سمعناها في مكة المكرمة حرسها الله تعالى)

﴿265﴾ الآخرة و الدنيا ككفتي الميزان, و لا بد من ترجيح كفة الآخرة على كفة الدنيا, لأن الدنيا فانية, و الآخرة باقية ببقاء الله تعالى, و هي خير من الأولى, و ترجيح الآخرة على الدنيا لا يكون إلا بالاتباع للنبي صلى الله عليه و سلم. كيف ترجحون الفاني على الباقي؟هذا ليس من شأن أصحاب العقول السليمة. علينا أن نتوجه و نوجه الناس إلى الله تعالى, حتى نرحم في الدنيا و الآخرة, و هذه هي السعادة الأبدية.

﴿266﴾ الدين ليس فيه مشقة على من تذوق حلاوة العبادة و العبودية لله تعالى, و أما من لم يتذوق تلك الحلاوة فإن مشقة العبادة تزول بعلم العبد أن الله يراه و هو رقيب عليه.

﴿267﴾ المؤمن بالصدق صار مؤمناً, و الصدِّيق بالصدق صار صدِّيقاً, و الكافر و المنافق بالكذب صار كافراً و منافقاً, لذلك وجه الله تعالى المؤمنين لأن يكونوا مع الصادقين حتى يكتسبوا من صدقهم, قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ

كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة التوبة/119) و أعلى مرتبة في المؤمنين بعد النبوة رتبة الصديقين الذين تحروا الصدق في كل أمورهم, و بالصدق يُكمل المؤمن كل صفات الكمال.

﴿268﴾ السكر على أربعة أقسام: سكر بالخمر, و سكر بالدنيا, و سكر بالهوى, و سكر بمحبة الله تبارك و تعالى و بمحبة رسوله صلى الله عليه و سلم.

أما الأول فمنهي عنه بقوله تبارك و تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (سورة المائدة/91).

أما الثاني فنبه الله سبحانه و تعالى عليه بقوله: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ (سورة لقمان/33).

أما الثالث فنبه إليه الحق جل و علا بقوله: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (سورة الجاثية/23).

أما الرابع فأشار إليه الحق جل جلاله بقوله: ﴿ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (سورة البقرة/165). فحب الله تعالى يذهل القلب عن الدنيا و النفس, و يبقى فيه همٌّ واحد هو حب الله و حب رسوله صلى الله عليه و سلم, و المحبة تقتضي الطاعة, و إلا فهو مدّعٍ, و دعواه باطلة.

﴿269﴾ الكثير من الناس يظنون أن الصدق و الاستقامة الشرعية هي في الكلام و التشدق فيه فقط, مع العلم أن آيات القرآن الكريم التي نزلت على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلمبواسطة جبرائيل عليه السلام, كلها متعلقة بالبشر, من أجل تصحيح العقيدة, و من أجل متابعة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام, و من أجل التمسك بالعبودية, و من أجل ترك الهوى و الحظوظ النفسانية, و من أجل ترك الدنيا و عدم تعلق القلب بها, و من أجل الاستقامة و مجاهدة النفس. لو نظرت في القرآن الكريم و في أفعال البشر لما وجدت تطبيقاً عملياً عند الكثير, بعضهم اكتفوا بالعلم و القيل و القال, و تعلقوا بالمادة, و بعضهم أكل الدنيا بدينه, و بعضهم باع دينه بدنيا غيره و العياذ بالله تعالى.

﴿270﴾ الكثير من الناس يعرفون الوعظ و الكلام, و أكثر المؤمنين يعرفون الحلال و الحرام, لكنهم لا يعملون بعلمهم, لأن التطبيق أصعب من السماعِ و التعليمِ بكثير, هذا بلاؤنا في هذه الأيام, و يوم القيامة نُسأل عن العمل لا عن العلم, نُسأل عن الشريعة و متابعة الرسول صلى الله عليه و سلم. فلا بد من ربط الإيمان بالعمل مع مستلزماته,و لا بد من ربط القول مع العمل و المجاهدة, فمن ربط بينهما تمسك بالشريعة و اتبع الرسول صلى الله عليه وسلمو ترك الهوى, و رقى سُلَّمَ المعرفة, و إن لم يكن له نصيب في المعرفة سَلِم على دينه و نجا يوم القيامة بفضل الله و كرمه.

﴿271﴾ قدْر المرء بمقدار اتباعه للشريعة و السنة النبوية فكلما عظم اتباعه عظم قدره. و الاتباع ما قيد بلسان و لا قوم و لا عشيرة, قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ (سورة التوبة/100). فتعاملْ مع الخلق على أساس هذه القاعدة, و أنزل الناس منازلهم من خلال هذه الآية, و ثمرة هذا الاتباع قوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة/100).

﴿272﴾ القرآن الكريم مخاطَبٌ به جميع البشر. فسعد به بعضهم بالاتباع, و شقي البعض الآخر بإعراضهم. فالقسم الأول آمن و قيد نفسه بقيود الشريعة و عمل عملاً صالحاً فكان بذلك سعيداً في الدنيا و الآخرة, و القسم الثاني كفر و العياذ بالله و قيد نفسه بالشهوات و اتبع هواه فكان بذلك شقياً. و موانع الإنسان من السعادة أربعة أمور: النفس و الشيطان و الدنيا و الخلق, و أشد هذه الموانع الخلق, لأنهم إما أن يمدحوه فيوقعوه في الغرور, و إما أن يذموه فيقنطوه.

﴿273﴾ لا بد من معرفة القواعد أولاً ثم العم لبها ثانياً, و إلا فالحجة قائمة علينا. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ۞ وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً ۞ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ (سورة النساء/68). نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن العظيم حجة لنا لا علينا إنه على ما يشاء قدير.

﴿274﴾ على الإنسان أن لا يتبع إلا طريقاً واحداً, و إلا لعبت به الأهواء و لا يدري لمن يرضي, و خاصة إذا اتبع من لم يلتزم الشرع الشريف, بل اتبع هواه و انغمس في الدنيا و سائر الشهوات من جاه و مقام و رياسة و ما شاكل ذلك. و الله تعلى ضرب لأصحاب العقول مثلاً في القرآن الكريم فقال: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الزمر/29). ليس مثالٌ فوق هذا المثال لمن يعلم و يعقل.

﴿275﴾ الخروج من الحظوظ مع وجود العلم صعب, و إنه ليسير على من يسره الله عليه, فلا بد من الصدق في الطلب, فمن صدق في طلبه من الله تعالى أن يخرجه من حظوظ نفسه, دله الله تعالى على وارث من وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعينه على ذلك.

﴿276﴾ قَدَرُ الله عز وجل غائب عن مخلوقاته, و ليس هو بيد أحد فلا بد من الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها, فلعله أن يصادف السببُ القَدَرَ, انظر ألم يقل الحق تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (سورة الزمر/36) ؟. و مع ذلك ما ترك الأخذ بالسبب, فالأسباب للأبدان و التوكل للقلوب.

﴿277﴾ المؤمن إذا انتقل من علم اليقين إلى عين اليقين أو حق اليقين, وجب عليه أمران:

الأمر الأول: الشجاعة مع حفظ الحرمة.

الأمر الثاني: الصبر و التحمل لأذى الخلق.

هذا الثبات لا يكون إلا لمن دخل دائرة عين اليقين أو حق اليقين, و مع ذلك ترى أهل هذا المقام يخافون سوء الحساب .

﴿278﴾ لا تقل الحق إلا بعد التمكن, لأن من قال الحق ثم تردد بعد ذلك فهذا يدل على عدم تمكنه و تثبته, فإذا تمكنت و تثبت فقل الحق و لا تتردد و لكن في وقته, لأن الحكمة يجب أن توضع في موضعها, و إلا يكون تضييعاً لها, و لا بد من تحرير النية قبل قول الحق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء/1) . فكن متمكناً من معرفة الحق قبل مخالطة الناس.

﴿279﴾ وقوف السالك مع تقصيره يعرقل سيره إلى الله تعالى, فلا بد من اللجوء و التضرع إلى الله عز وجل, لأن الحفظ من الهوى و الدنيا و الخلق و الشيطان من أصعب الأمور على أمثالها, لقلة الاستقامة على منهج الصلحاء و الأتقياء, و قلة صحبتهم و التقاط نفائس كلامهم, كل ذلك مع ضعف القوة اليقينية التي يحفظ القلب بها من الأغيار. نرجو الله سبحانه و تعالى أن يرزقنا الإنابة, و يهبنا الغفران, و يمن علينا بالثبات على الإيمان, و أن يكرمنا بمحبته, و أن يأخذ بأيدينا لاتباع سنة نبينه الكريم صلى الله عليه وسلم و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿280﴾ حسن الخاتمة ليس مضموناً لأحد من الخلق, إلا الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و المبشرين بالجنة, و ما عداهم فلا, و هذا يعني أن الله تعالى قد يجعل الفاسق ولياً, و قد يخرج العبد من الإيمان إلى الكفر, قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة النحل/125).

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة, و ليس أحد معصوماً عن الخطأ. لذلك ترى الخوف عند العلماء العارفين أكبر و أعظم من خوف عامة الناس, و حق المؤمن الصادق إن جاءه ملك الموت, و قال له: أنت في النار, عليه أن يجتهد في العبادة و لا يدعها, لأنه ما خلق إلا لها. نسأل الله تعالى أن يرزقنا حلاوة العبودية و التذلل بين يديه.

﴿281﴾ الإنسان بعلمه القاصر الجزئي يرى الساعة بعيدة, ولذلك يغفل عن ربه جل و علا, أما في علمه جل و علا فإن الساعة قريبة, قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ (سورة الأنبياء/1).

فيجب على العاقل أن يتخلى عن علمه الناقص الجزئي إلى علم الله عز وجل الكامل, و يعتمد على علم الله الكلي لا على علمه الجزئي, فلو خرجت عن علمك لعلمه لرأيت الساعة قريبة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (سورة المعارج/7).

﴿282﴾ المؤمن ليس مأموراً بحب الناس لذاتهم, و لكنه مأمور بحب الخير لهم, فإذا أبغض واحداً من الخلق فلينظر إلى سبب بغضه له.

1- إن كان بغضه لاستقامته, و عدالته و لقوله الحق, و لعدم اتباعه لأهواء الناس, فهذا البغض حرام, و لا يليق بمن آمن بالله و اليوم الآخر. فعليه أن يتوب إلى الله و يرجع إلى رشده و صوابه, و أن يحب الخير لأخيه المؤمن لأن الله تعالى قد ربط بينهما برباط الأخوة الإيمانية فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات/10).

2- و أما إذا كان بغضه له سبب ارتكابه المخالفات الشرعية ـ من مخالفة أمر الله, و أمر رسوله صلى الله عليه وسلم, و مخالفة الحقيقة والطريقة ـ فيجب عليه أن يبغض أفعاله المخالفة لا شخصه, و عليه النصح له لأن الدين النصيحة.

3- أما إذا كان بغضه له بسبب تعارضه معه لمصلحة دنيوية فهذا البغض حرام, و هو مضر بالإيمان. عليه أن يرجع إلى الله و يتوب. هذا الأمر يجب أن يتنبه إليه المؤمنون جميعاً, و ليس خاصاً بمشرب من المشارب, و لا بمسلك من المسالك.

﴿283﴾ الإنسان المؤمن يجب أن يكون له حظ من الوراثة النبوية, بأن يحب الناس لله عز وجل لا لنفسه, فمن لم يخرج عن نفسه فإنه يحب الناس لنفسه فإن قدموا له نفعاً أو دفعوا عنه ضراً أحبهم و إلا فلا, أما من خرج عن نفسه فإنه يحب الناس لله تعالى, و علامة محبته لهم في الله أنه يعينهم على ترك هواهم و حظوظهم. لذلك ترى الناس اليوم أكثرهم يحب بعضهم بعضاً للحظوظ و للشهوات, و ليس لله تعالى, و لو كان الإنسان عاقلاً لأحب الناس لله و في الله, لأنه يعلم حقيقةً أن الكائنات كلها لو سجدت له لا يستفيد شيئاً إذا لم يكن ربه تبارك و تعالى راضياً عنه.

﴿284﴾ لو أصغيت إلى حديث أكثر الناس عن أنفسهم لوجدتهم يقولون نحن سابقون بالخيرات, و لا يقول واحد من هؤلاء أنا ظالم لنفسي و لغيري, و هذه مصيبتنا, لذلك قالوا: من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه, و معرفة النفس لا تكون إلا بمعرفة المعرف, و من كان يعرف أنه ظالم لنفسه و ظالم لغيره ثم يقول بلسانه: أنا سابق بالخيرات, هذا معذب في الدنيا قبل الآخرة إذا لم يعف الله عز وجل عنه.

﴿285﴾ إذا كان الرجل قوياً في دينه و طريقته, و لا يخشى عليه تقليد الآخرين, فهذا لا يضره زيارة أحد من الناس, أما إذا كان ضعيفاً فإن الزيارات المطلقة قد تشوش عليه, لأن بعض الناس يتشدقون بالكلام و هذا الزائر قد يتضرر فيقصر في سيره و مجاهدته. فإذا كان من القسم الأول فإن قوته تمنع الضرر أن يسري إليه, و أما الثاني فننصحه بعدم الزيارة حتى لا يتضرر من تشكيك المشككين. نحن لا نقول زيارة المؤمن لا تجوز, و لكن نقول المقلد المبتدىء ليس له استقامة كاملة فننصحه بعدم الاختلاط حتى يقوى.

﴿286﴾ من خالف الدين و الشريعة فهو أعمى, ووقع في بئر نفسه الأمارة بالسوء, و حاله أشد من حالة أعمى البصر الذي وقع في بئر محفورة, لأن هذا له أجر الشهيد أما ذاك فقد خسر الدنيا و الآخرة, و العياذ بالله تعالى, لأنه آثر الحياة الدنيا, و اتبع هواه قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (سورة النازعات/39).

﴿287﴾ علماء السوء خدم للشياطين, ما خرجوا عن دائرة الإيمان, و لكنهم لم يعملوا بمستلزمات هذا الإيمان, و هؤلاء بعضهم باع دينه بدنياه, و بعضهم باع دينه بدنيا غيره, و هذا شرٌ من الأول و العياذ بالله تعالى. نرجو الله تعالى الإخلاص. و لقد رأى الإمام الرباني رحمه الله تعالى الشيطانَ يوماً فقال له الإمام: لمَ أنت قاعد؟ قال عندي خدام يعملون عملي, قال له: من هم؟ قال: علماء السوء. فهناك من يهدم الدين باسم الدنيا و هناك من يهدم الدين باسم الدين و العياذ بالله تعالى. و شر الناس من باع دينه بدنيا غيره.

﴿288﴾ مفتاح الوصول إلى الله تعالى الأخذ بالشريعة, و من الأخذ بالشريعة الأخذ بالسنة, و من أخذ بهما حاز على الرضا. و مفتاح باب الطريق كثرة الذكر لله تعالى مع الحضور, و الذكر من القرآن الكريم و من السنة, فليس لأحد حق الإنكار و ليس لأحد حق الترك, فكل المؤمنون مخاطبون بكثرة الذكر لله تعالى, فلماذا لا يكثرون الذكر؟ لا بد من المجاهدة, فالذكر ثقيل على النفوس الأمارة بالسوء.

﴿289﴾ الفتور في العبادات يحصل بسبب ثقلها على النفوس, و الاستسلام لها, فلا بد من المجاهدة و الاستغفار عند الفتور لأن خير العمل عائد لنا, و الله عز وجل يريد منا أن نربح الحياة الدنيا في حسن العمل و الإقبال عليه حتى نسعد في الآخرة لقوله في الحديث القدسي: [يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها, فمن وجد خيراً فلْيَحمد الله, و من وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه] (رواه مسلم). الله عز وجل لا يربح منا شيئاً إذا جاهدنا نفوسنا و أقبلنا عليه, فهو يقول في الحديث القدسي: [و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني] (رواه مسلم).

والعاقل لا يقبل خسارة الدنيا, بل يتأثر و لو كانت خسارة قليلة, و يتأثر إذا فاته ربح و لو كان قليلاً, فلماذا لا يكون هكذا في دينه؟ كن حريصاً على التمسك بالشريعة, و إجراء أحكامها على جوارحك الظاهرة و الباطنة, و لا تكن من الغافلين في دنياك و تحقق بقول الله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (سورة النور/37).

﴿290﴾ أخرج نفسك من البين, و لا تنسب الفضائل إلى نفسك لأن الفضائل من الله تعالى, قال تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (سورة النحل/53) فإذا أخرجت نفسك من البين لا يقوى عليك الشيطان, إلا إذا كان الشيطان مع نفسك عليك و عندها تُصرع و العياذ بالله تعالى, فأرجع النعمة إلى مصدرها, و أكثر من ذكر مولاك حتى لا يوسوس لك الشيطان.

﴿291﴾ حلال الدنيا و إن لم يكن ممنوعاً إلا أن فيه السم و لا يدريه إلا من وقف على حقيقة الدنيا, فمن وقف على حقيقتها أخذ من حلالها بمقدار الحاجة. أما إذا لم يقف على حقيقتها فهو جاهل, و قد يلحقه ضرر عظيم من حيث لا يدري, و الله تعالى ما جعل لعبد من قلبين في جوفه, و القلب إذا تعلق بالله, فإنه لا يتسع لغيره, قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (سورة الأحزاب /4).

فالقلب خلق للمحبة, لكونه واحداً فلا يصلح إلا لمحبوب واحد لا شريك له, فقلبك خلق لمعرفة و محبة ربك فلا يرضى إلا بمولاك, فلا تكن ظالماً لقلبك, فمن اشتغل بالدنيا قلباً و قالباً ثم ادعى حب الله و حب الآخرة فهو كاذب في دعواه ..... آه... وا أسفاه.

﴿292﴾ أفٍ لقلوب تسأل عن رزقها المضمون, و ترتحل من مكان لآخر من أجله, و لا تبحث عن دينها لتأخذه من التقي النقي. مسلكي في هذه الحياة قديماً, أني أنتقل من مكان لآخر, و أرتحل بين البلاد و أنا أبحث عن الأستاذ التقي النقي, و والله ما كان يخطر في بالي مسألة الرزق, كيف أسأل عن هذه و الله تعالى يقول: ﴿ وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ (سورة هود/6).

إن الله تكفل بالأرزاق الدنيوية لكم, و ما تكفل لكم بدخول الجنة, لا تشتغلوا بالمضمون, اشتغلوا بالعبودية فإنها سر سعادتكم في الدنيا و الآخرة, و لا تتعلقوا بالدنيا فإنها تذهب بدين الإنسان من حيث لا يشعر. أنتم تحبون التقوى و لكن تعملون لجمع المال. كونوا من الرجال الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (سورة النور/37). تعودوا كثرة الذكر لله تعالى, حتى إذا صليتم الصلاة المفروضة خرجتم بثمرتها, و ثمرتها أنها تنهاكم عن الفحشاء و المنكر. اللهم أكرمنا بذلك يا أرحم الراحمين.

﴿293﴾ ارض بما قسم الله لك, لأن الله تعالى قال: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيَشَتُهُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ (سورة الزخرف/32). فلا تفرح بكثرة المادة, و لا تغتر بها, لأنها قد تكون بلاء عليك, لأنه كلما كثر المال عظم الحساب, و من نوقش الحساب عذب, و لا تضجر و تخجل لقلة المادة, و ارض بما اختار لك ربك, فكلنا تحت القضاء و القدر. نحن نسأل من ربنا جل و علا فإذا أعطانا نفرح مرة واحدة, و إذا لم نعطَ نفرح عشراً, لأنه تعالى ما منع إلا لحكمة, و ربنا جل جلاله قد تكفل بأرزاقنا, أفلا نرضى بكفالته؟.

﴿294﴾ صبر العبد عن معصية الله عز وجل, و الصبر على طاعة الله عز و جل يورث الرضا بقضاء الله و قدره, فلا بد من مجاهدة النفس أولاً في ترك المعاصي و هذه هي التخلية, ثم مجاهدة النفس في فعل الطاعات الموافقة للشرع الشريف, و هذه هي التحلية. نرجو الله عز وجل أن يرزقنا الرضا بالقضاء و القدر.

﴿295﴾ علينا معاشر المؤمنين الشاذليين أن نكون عباداً لله عز وجل, لأن الله تبارك و تعالى منَّ علينا بفضله و بكرمه و برحمته أن أخرجنا من العدم إلى الوجود و بدون طلب منا و لا تعلق فيه, أخرجنا طاهرين مطهرين على فطرة الإسلام, و منَّ علينا بأن عفا عنا كل ما صدر من مخالفات قبل سن البلوغ, فلم يجرِ القلم علينا, و لم يعذبنا, و لم يؤاخذنا حتى دخلنا سن التكليف, و كأن هذه المرحلة مرحلة تدريبية على امتثال الأوامر و اجتناب النواهي. انظروا إلى هذه الرحمة التي منَّ الله بها علينا. فالعجب في الإنسان بعد هذه النعمة أن ينحرف عن تلك الفطرة الطاهرة بسبب تعلقه بنفسه و شيطانه, لأن الانحراف بسببهما, فالإنسان باختياره ينحرف, و إذا أراد الله بعبده خيراً فقهه في الدين,

و إذا فقهه فإنه يجد في قلبه تلك الجوهرة من الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها, ثم يوجهه ربه عز وجل ـ بطلب من العبد ـ إلى واحد من المؤمنين الصادقين ليسلم إليه نفسه حتى يوجهه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, و رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجهه إلى ربه عز وجل, حتى يتخلص من نفسه الأمارة بالسوء, و من شياطين الإنس و الجن, ووضع له في طريقه الاستغفار المطهر للذنوب و هو تبارك و تعالى يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات.

فإذا صدر من العبد شيء مخالف لأوامر الله عز وجل عليه أن يستغفر و يرجع إلى الله تبارك و تعالى, و إلى رسوله صلى الله عليه وسلم, و هذا الطريق المبارك ليس شيئاً خارجاً عن الشريعة, حاشا لله عز وجل. بل هو

التمسك بالكتاب و السنة أولاً,

و ترك الهوى و المعاصي ثانياً,

و حفظ حرمة المشايخ و المؤمنين ثالثاً.

و الذي يريد أن يكون من أهل هذا الطريق المبارك عليه أن لا يشتغل بالآخرين, بل يقبل على نفسه بالمجاهدة و المخالفة ليحملها على امتثال أوامر الله عز وجل و عيوب نفسه تكفيه بأن يشتغل بها عن الآخرين إلى آخر حياته. قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (سورة المائدة/105). و قال صلى الله عليه وسلم: [من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه] (رواه الإمام مالك في الموطأ).

و أخيراً أقول:

1- حافظوا على قراءة الأوراد الصباحية و المسائية, و لا تتركوها لو بلغتم المراد, لأن هذا من جملة المحافظة على العهود.

2- اذكروا الله ذكراً كثيراً, و ليس هناك أفضل من كلمة التوحيد لأهل الإيمان, و من دخل الخلوة عليه أن يذكر الاسم المفرد ﴿ الله ﴾ ربع ساعة صباحاً و مساءاً.

3- عليكم بتلاوة القرآن الكريم بتدبر, في كل يوم جزءاً, و عار عليكم أن لا تقرؤوا كتاب ربكم, الخير كل الخير في كتاب الله عز وجل, فهو الكلام الذي لا يعلوه كلام.

4- عليكم بطاعة المأذون خادم الطريقة و قبول نصيحته.

5- عليكم بقبول نصيحة الأحباب الصادقين المخلصين في هذا الطريق المبارك.

رعاكم الله عز وجل و حفظكم من شرور أنفسكم بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و ببركة أسيادنا رضي الله عنهم, ووفقنا الله و إياكم لاتباع سنة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم. و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

﴿296﴾ علينا معاشر الشاذليين _ الذين تعلقوا بطريقة الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله في حال حياته مع الصدق ,وبقوا على هذه البيعة والعهد _ ألا ننكر نعمة الله عز وجل علينا, وبعد ذلك علينا أن نذكره ونشكره, لأن العبد المُنَعم عليه له جهتان في الحكم الشرعي :

الجهة الأولى: أن يعلم علماُ قطعياُ أن هذه النعمة جاءت من الله تعالى.

الجهة الثانية: أن يشكر الواسطة, لأن شكر الواسطة من الدين كما قال ربنا جل وعلا:﴿ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (سورة لقمان/14).

ومِن شكره بعد انتقاله من الدنيا, أن نبقى على طريقته, وندعو له لأن الشيخ رحمه الله تعالى كان السبب والواسطة بيننا وبين ربنا جل وعلا, وبيننا وبين رسولنا صلى الله عليه وسلم, حتى فهمنا هذا الطريق المتصل بالسلسلة الذهبية إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. و هو رحمه الله على ما نرى من مريديه, بذل الكثير الكثير في توجيه الرجال و النساء إلى الله تعالى, و إلى رسوله صلى الله عليه وسلم, و من لم يشكر الناس لم يشكر الله. فعلينا أن لا نكون سبباً لقطع هذا الطريق المبارك, و لو كانت فروع الطريقة كثيرة و متصلة, و لكن نحن شربنا من هذا النبع الصافي بواسطة شيخنا رحمه الله تعالى, و فهمنا أنه مأذون من الله تعالى, و من رسوله صلى الله عليه وسلم, و من شيخه رحمه الله تعالى, و بعدها حصل ما حصل. و معلوم أن الدنيا لا تدوم لأحد من البشر, و لو دامت لأحد لدامت لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. و لكن يأتي جيل بعد جيل يميز التابع من غير التابع. لا تنظروا إلى الكثرة, و لا إلى العدد, عليكم أن تنظروا إلى النوعية و الكيفية التي ترى فيها علامة الصلاح, و هذه العلامة لا تعرف إلا بالشريعة المحمدية التي جاءت من الله تبارك تعالى بواسطة سيدنا جبريل عليه الصلاة و السلام, إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. و إذا كنا موافقين لآداب أسيادنا رضي الله عنهم لا يضرنا من خالفنا و لا يضر من بعدنا إذا كنا مستقيمين على هذا الطريق المتصل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. و لو لم نكن فهمنا من هذا الطريق المتصل لما استفدنا منه, لأن هذا الطريق المبارك كما ذكر أسيادنا رضي الله عنهم, تُجلى به مرآة قلب السالك و يكون مرآة لرسول الله صلى الله عليه وسلم و يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة, بعد متابعته قلباً و روحاً.

و من وزن نفسه و قلبه بميزان الشريعة و السنة يقف على هذه الحقيقة, و يقف على ما كان في قلبه من الاتباع و عدم الاتباع. و من حصل منه عدم الاتباع عليه أن يستغفر و يرجع إلى الله تبارك و تعالى. لكن خادم الطريقة ليس له في هداية العبد شيءٌ إلا التوجيه و هو واسطة. و إذا أخذ العبد بالواسطة و التوجيه فإن الله تعالى يعينه, و يعين واسطته قال تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ

الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف/196) و تولي الله لعباده مرتب على طلب العبد من الله تعالى, فإذا طلب العبد الهداية, فإن الله أكرم من أن يرد و يخيب فرداً من أفراد عباده طلب بالصدق, كيف لا يعطيه الهداية و هو صادق؟ هذا محال. و لكن التقصير يوجد في العبد أحياناً و بمقدار زوال الحجاب, و التخلي عن الأخلاق الذميمة, و مخالفة النفس الأمارة يكون الوصول, فإذا وجد التقصير نتدارك ذلك بالتوبة و الاستغفار و الرجوع. فلا تزكوا أنفسكم لأن الله عليم بكم حيث يقول: ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (سورة طه/7). ربنا جل و علا ليس محتاجاً إلى تزكية نفوسنا, إنه ينظر إلى قلوبنا و أعمالنا.

نرجو الله أن يعفو عن تقصيرنا, و يوفقنا لعبادته و للعمل بما يرضيه و أن يقبل منا ذلك بدون نظر إلى تقصيرنا, لأن عبادتنا غير لائقة بربنا و نرجو الله أن ينظر إلينا برحمته و بكرمه ببركة سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و على آله و صحبه أجمعين, و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم (قاله حفظه الله تعالى في المسجد الحرام في مكة المكرمة يوم الأربعاء 4 شعبان 1416 هـ).

﴿297﴾ يجب علينا معاشر المؤمنين الشاذليين أن نقدم النصح لكل مؤمن, و لا نترك نصحه إذا ارتكب ذنباً من الذنوب لأن المؤاخذة عليه لا علينا, ننصح و نفوض الأمر إلى الله تعالى, و ليس بوسعنا و لا بوسع واحد من البشر أن يزيل حب الأنا و الظهور و الإعجاب و التعالي و التمسك بالرأي و العصبية, من قلب واحد من البشر إذا لم يطلب هذا العبد من ربه جل و علا, لأن خلق الهداية في القلب من الله تعالى, و هذا متوقف على إرادة العبد, فإذا لم يرد العبد الهداية و لم يصدق في الطلب, فإن أحداً لا يستطيع أن يجعله من أهل الهداية, و مهمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم التبشير و الإنذار و التبليغ و التذكير, و ليس عليه صلى الله عليه و سلم خلق الهداية, فإذا كان هذا في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم فنحن من باب أولى, فلا تذهب أنفسكم حسراتٍ على المخالفين للشريعة, وفوِضوا أمرهم إلى الله تعالى.

مسلكنا في هذا الطريق المبارك مسلك نبوي, ندعوا الناس إلى الشريعة باللطف و اللين, و نترك العنف و الفحش, ندعوهم إلى القرآن الكريم و سنة الرسول صلى الله عليه و سلم, و ندعوهم بالحكمة و الموعظة الحسنة و نصبر على أذى المخالفين بدون مداهنة, و نستخدم استعدادنا في هداية الناس إلى الله تعالى.

سدد الله خطاكم ووفقكم لمتابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في دعوة الناس إلى الله تعالى. و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

﴿298﴾ علينا معاشر المؤمنين الشاذليين أن نكون من الصادقين في أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا, لأن هذا الطريق الشاذلي المبارك من سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى آخر الدنيا باقٍ بإذن الله تعالى, و لا يخلو هذا الطريق من الصادقين, فإذا اجتمعنا على الصدق فاجتماعنا يكون حجة, كما كان اجتماع من قبلنا حجة, المهم أن نكون صادقين فإذا لم يوجد الصدق فينا فهذا الطريق لا يقبلنا. يقول الله تعالى و تقدس: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة التوبة/119), فمن قصر في محبة الخالق يكون تقصيره بسبب عدم صدقه مع الخالق الرب الرحيم جل سلطانه وتبارك وتعالى وتقدس هذا أولاً, و ثانياً: ميله إلى عالم الأسباب, وكلما زاد الميل إلى الأسباب ضعف الإيمان. و لم ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين فضلاً أن يكون في مرتبة حق اليقين ليكون من الصديقين _ علماً أنه لا تأثير للأسباب في القدَر عند أهل السنة و الجماعة _ و لهذين السببين لا يترقى العبد و لا يخرج من طبيعته البشرية التي هي الكثافة الترابية, و يبقى محروماً من المحبة الذاتية التي وعد بها ربنا جل و علا, و محروماً كذلك من الرضا, لأن الله تبارك و تعالى جعل ثمرة الصدق الرضا, فقال تعالى: ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة المائدة/ 119). و إذا أخرج العبد حب الدنيا من قلبه, و اسودت الدنيا في بصيرته, و انتقل من بصيرته إلى

بصره, ونور بصيرته بنور عين اليقين فإنه لا يمكن أن يدخل في صدقه ما يشوش عليه محبة ربه عز وجل. فوجب على كل واحد فينا أن يكون حريصاً على بصيرته لأن تجليات الله سبحانه و تعالى لائحة على عبده ما لم يحصل الحجاب, و ذاك الحجاب هو اشتغال العبد بغير الله تعالى.

فكن حريصاً على بصيرتك كما تكون حريصاً على بصرك أن يدخل فيه غبار, فإذا حافظت على بصيرتك يكون ظاهرك منوراً, و باطنك بمحبة ربك معمَّراً.

اللهم ارحمنا برحمتك الخاصة, ووجهنا إليك, و اشرح قلوبنا للإسلام المقيد بالشريعة و السنة, ووفقنا لاتباع حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم. لأنك قلت: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (سورة آل عمران/31), و ارزقنا بفضلك مقام الذين اهتدوا فزدتهم هدى, كما قلت: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (سورة محمد/17), و إن لم نكن أهلاً لهذا, فأنت أهل لذاك فإنك أهل التقوى و أهل المغفرة, وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم, و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿299﴾ إلى إخواننا المؤمنين في هذه الطريقة المباركة نقدم هذه الوصايا العشرة سائلين المولى جل وعلا أن يوفقنا للعمل و الالتزام بها إنه على كل شيء قدير:

الوصية الأولى:

أيها السالك في هذا الطريق الشاذلي اعرف عمن تأخذ دينك, خذ عن أهل الصدق والاستقامة وحاذر غيرهم, لأن دينك هو لحمك ودمك, وكن متبعا للأحكام الشرعية, والسنة الشريفة السنية, في أقوالك وأعمالك وأحوالك, وتوِّج ذلك بالنية الصادقة التي ترضي الله عز وجل.

الوصية الثانية:

أيها السالك إذا كنت حريصاً على أن تترقى في مدارج الكمال يجب عليك أن تبتعد عن لقلقة اللسان, وأن تلازم الصمت إلا إذا دعتك الحاجة إلى الكلام فتكلم بمقدار الحاجة مع الحضور التام مع حضرة الله تبارك وتعالى.

الوصية الثالثة:

أيها السالك كن صادقا في محبتك لخادم الطريقة, فبصدق محبتك لخادم الطريقة تنقل إلى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومنها تنتقل إلى محبة الله عز وجل, والصادق في المحبة متبع لا مبتدع.

الوصية الرابعة:

أيها السالك لتعلم أن المريد الصادق قد يستفيد من شيخه في حالة البعد أكثر من حالة القرب, لأن القرب قد يكون حجاباً للبعض فيشتغل ببشرية شيخه عن السر الذي أودعه الله تعالى فيه, فلتتعلق بإيمان شيخك لا بشبحه.

الوصية الخامسة:

أيها السالك حبك لشيخك لا يكون مانعاً لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون مانعاً لحب الله تعالى, فشيخك يأخذ عن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم, ورسول الله يأخذ عن الله عز وجل, وإيمان شيخك متعلق بإيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق بالله عز وجل.

الوصية السادسة:

أيها السالك ضعف الهمة يأتي من عدم المجاهدة, وقلة ذكر الله تعالى, وقلة الصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلا بد من المجاهدة بكثرة الذكر لله تعالى حتى تقوى الهمة على الاستقامة الشرعية, فأكثر من ذكر – لا اله إلا الله –.

الوصية السابعة:

أيها السالك كن بحالة الطهارة دائما, وحافظ على وضوئك, ولا تنم إلا على طهارة تامة, وحافظ على صلاة الجماعة في أوقاتها, وهذا أمر ضروري جداً للسالك الصادق.

الوصية الثامنة:

أيها السالك لا تشتغل بالخلق إلا بمقدار الضرورة, وخاصة بعد حضرة الذكر, ولا تشرب الماء بعد الحضرة, وصلي ركعتين سنة التوبة بعد الحضرة.

الوصية التاسعة:

أيها السالك الصادق المحب اجعل لنفسك ورداً من القرآن الكريم في كل يوم اقرأ جزءاً واحداً مع التفكر والتدبر وحضور القلب, وبقوة الإيمان على أن هذا الكلام كلام الله تعالى, وأنه فوق كلام البشر.

الوصية العاشرة:

أيها السالك حافظ على صلاة النافلة على الشكل التالي:

أ – صلاة الضحى ثماني ركعات: ركعتان تقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة الكافرون, وسورة الإخلاص, وسورة يس في بقية الركعات.

ب – صلاة الأوابين ست ركعات, ركعتان تقرأ فيهما سورة السجدة, وركعتان تقرأ فيهما سورة الدخان, وركعتان تقرأ فيهما سورة الواقعة.

ج – صلاة قيام الليل ثماني ركعات, كما تصلي صلاة الضحى.

د – صلاة التهجد ثماني ركعات, ركعتان تقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة الكافرون و الإخلاص, و ركعتان تقرأ فيهما بعد الفاتحة الآيات العشر من سورة الكهف, و أربع ركعات تقرأ فيهما ما تيسر من سورة الكهف.

وعند الانتهاء من الصلاة تستغفر الله تعالى من الذنوب و الخطرات /100/ مرة, ثم تضجع على شقك الأيمن حتى يؤذن الفجر, ثم تصلي صلاة الفجر مع الجماعة وبعدها تقرأ أورادك و تذكر إلى طلوع الشمس, ثم تصلي صلاة الضحى.

نرجو الله عز وجل أن يمن علينا و على المؤمنين عامة, و أهل الطريق خاصة بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم, و أن يختم لنا بالخاتمة الحسنى إنه على ما يشاء قدير, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

﴿300﴾ لا تخرج بدون قرب من الله جل وعلا و بدون واسطة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, لأن الخروج بدون قرب ومعية قد يشوش عليك ولا تجمع كما قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: (من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة). لأن الطرق والأبواب في جسد الإنسان كلها مفتوحة على الدنيا, كل باب و طريق يقتضي ما كان مناسباً له. ولكن القرب يغلق هذه الأبواب بشرط أن يكون هذا السفر انتهاؤه متعلقاً بابتدائه. تأمل هذا تجده إن شاء الله تعالى. ولا تكن من الناقدين الذين ينقدون بغير فهم, وانظر إلى نفسك بأنها مقصرة تجد الفتح إن شاء الله تعالى. نرجو الله تعالى أن تكون عبداً متبعاً موافقاً. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم,ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (قاله حفظه الله تعالى في المسجد النبوي الشريف يوم الأحد 2 شعبان 1416 هـ).

﴿301﴾ من أراد أن يتعلق بذات الله جل وعلا لا بد له من الارتقاء من الأفعال إلى الصفات, و من الصفات إلى الذات, كمن يريد أن يرتقي إلى سطح لا بد له من ارتقاء الدرج درجة درجة.

فالدرجة الأولى: التفكر في الأفعال, و الارتقاء منها إلى الصفات, و هذا ما يوجهنا إليه ربنا جل وعلا في قوله: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنَزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة/164) والتفكر في الأفعال للمبتدئ حتى يقوى إيمانه, ويخرج عن الإيمان التقليدي وينتقل إيمانه من دائرة علم اليقين إلى عين اليقين, لأنه قرأ آية الله في كونه, ومن قرأ آية الله في كونه فإنه يرتقي من الأفعال إلى الصفات. أما من كان إيمانه في دائرة علم اليقين فقط فإنه قد يدخل عليه بعض الشكوك و الشبهات, كمن يقرأ في كتاب ويتشكك فيه, أما من دخل إيمانه في دائرة عين اليقين فإنه لا يدخل في إيمانه شك ولا شبهة,كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (سورة التكاثر/7) إذا حصل التفكر في الأفعال فإنه يقبل على الارتقاء إلى الصفات, لأن الأفعال مرآة للصفات, فيتعرف على صفات الله بأنه تبارك وتعالى سميع بصير عليم قادر, فإذا قوي إيمانه بصفات الله جل وعلا فإنه يتقلب في صفات الله جل وعلا كما يتقلب السمك في الماء, ولا يستغني عنها كما لا يستغني السمك عن الماء, لأنه إذا خرج من الماء فإنه يموت. كذلك العبد إذا ضعف إيمانه في الصفات فإنه يموت, وموته غفلته عن الله جل وعلا, أما إذا شعر في بقربه وبسمعه وببصره يكون كالسمك في الماء, فيه حياته. لذلك يوجهنا ربنا تبارك وتعالى للارتقاء إلى الصفات بقوله تبارك وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى/11).

الدرجة الثانية: هي الارتقاء من الصفات إلى الذات, ولقد وجه الله سبحانه وتعالى عباده إلى ذلك في سورة الروم فقال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ....﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ .. وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ (سورة الروم/20-26). صاحب الإيمان الكامل لا يتفكر في الأفعال ولا في الصفات بل يرتقي مباشرة إلى الذات القدسية, لأنه يعلم حق اليقين محو الأفعال في الصفات, ومحو الصفات في الذات, هذا المؤمن لا يحتاج أن يرجع إلى الوراء حتى يتدرج درجةً درجةً إلى الذات. والفارق كبير بين من يستدل بالكون والمخلوقات على المكون والخالق, وبين من يستدل على الكون والمخلوقات بالمكون والخالق. والذي ينتقل من الصفات إلى الذات فإنه ينتقل بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف, قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى/11) ويكون صاحب هذا المقام عبداً لله مجرداً من كل الحظوظ الدنيوية والأخروية.

نسأل الله أن ينفعنا, ويلحقنا بأهل هذه المراتب إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿302﴾ الاستعانة بالخلق لا تغني شيئاً, إذ كيف يغني اعتماد العاجز على العاجز؟ فلا ترفع حوائجك إلا لمن لا يشق عليه قضاؤها, ولا تسأل إلا من لا تنفد خزائنه, ولا تعتمد إلا على من لا يعجزه شيء, ينصرك من غير معين ويحفظك من كل جانب ومن غير صاحب, ويغنيك من غير مال, فيقلل أعداد الأعداء إذا حماك, ويكثِّر عدد المال القليل إذا كفاك.

﴿303﴾ صاحب الهمة العالية من تعرى عن الدنيا بنفسه, وعن العقبة بروحه, وبقلبه ترك مراده لمراد الله تعالى, وبسره لا يلمح فيه شيئا من الكون. ومن أراد أن يرقق طبيعته البشرية ويقوى على نفسه والدنيا والخلق فعليه بكثرة الخلوات, والذكر مع الحضور التام حتى تغلب روحه نفسه. والطبيعة البشرية من طبيعة النفس الأمارة بالسوء وهي فرعونية خبيثة, ولا يصدر عنها إلا ما كان من طبيعتها.

﴿304﴾ كل ما سوى الله له نهاية, ومعرفة الله تعالى ليس لها نهاية, فعلى المؤمن السالك أن يتعلق بما لا نهاية له, وألا يتعلق بما له نهاية, وهذا أمر صعب فلا بد من مجاهدة النفس ومخالفة هواها, وثمرة مجاهدتها ومخالفتها معرفة الله تعالى.

﴿305﴾ من جمع الناس على نفسه بنعم الله عليه يكون خائنا في حق ربه عز وجل, لأن الله تعالى ما آتاه هذه النعم إلا ليكون خليفة الله في أرضه, فوجب على العبد أن يعرف أن الله هو مصدر النعم, وأن يصرفها في طاعة الله, وأن لا يجمع الناس عليه بل يحولهم إلى الله تعالى, فمن جمع الناس عليه كان كفرعون وهامان, أجارنا الله تعالى من ذلك.

﴿306﴾ الاهتمام يوجب الالتزام, والالتزام يأتي بالعمل, فمن ادعى الاهتمام بدون التزام فهو ليس بصادق, ومن ادعى الالتزام بدون عمل فهو ليس بمجاهد لنفسه, والذي يعين على العمل بعد الالتزام هو كثرة ذكر الله تعالى, والذكر هو مجالسة المذكور فمن كان لله ذاكرا كان له مجالسا, ومن كان ذكره صلاة على رسول الله صل الله عليه وسلم كان له صل الله عليه وسلم مجالسا, والله تعالى هو المعين ورسوله صل الله عليه وسلم هو الأسوة والقدوة.

﴿307﴾ من تمسك بالشرع الشريف واتبع النبي صل الله عليه وسلم وفرغ قلبه من الأغيار, عندها يملأ قلبه حكمة وعلما لدنيا, كيف لا يكون هذا وقد أوحى الله إلى النحل, وهو حيوان صغير وعمله كبير, وهو في خدمة الإنسان؟ كيف لا يلهم الله تعالى صاحب ذلك القلب؟ فمن تمسك بهذا النور الساطع من الإيمان المتصل بسيدنا رسول الله صل الله عليه وسلم المتصل بالله جل وعلا هو جدير بأن يكون في مرضاة الله تعالى.

﴿308﴾ من مقتضى الإيمان أن لا يألف صاحبُه كلَّ مخالفٍ و كلَّ من اتخذَ لنفسه حظاً من حظوظه الدنيوية بل يألف من عمل بمقتضى الإيمان, فإن كان من أهل التواضع يتواضع له صاحبُ الإيمان, و أما إن كان من أهل التكبر فإن إيمان المؤمن يأبى عليه أن يذل نفسه أمامه, لأن التواضع في هذه الحالة ليس لله تعالى بل هو رياء, فالعزة بالله تعالى ودينه, و الكبُر بالنفس الأمارةِ بالسوء.

﴿ 309﴾ أصحاب الرياضات والمجاهدات كلَّما أمعنوا في قهر القوى البدنية, وتجويع الجسد, قويت قواهم الروحانية, وأشرقت أسرارهم بالمعارف الإلهية, وكلما أمعن الإنسان في الأكل والشربِ وقضاءِ الشهوة الجسدية صار كالبهيمية, محروماً من أنوار المعرفة.

﴿310﴾ البرزخ على قسمين:

القسم الأول: برزخ للأرواح ومحلُّه الصُّور.

القسم الثاني: برزخ للأجسام ومحلُّه القبور, والعارفون بالله يرتاحون بالموت لأن الخلوة تكون كاملة.

﴿ 311﴾ مدار السلوكِ على الصراط المستقيم على قسمين:

القسم الأول: تزكيةٌ: بنفي مالا ينبغي.

القسم الثاني: تحليةٌ: بتحصيل ما ينبغي.

﴿ 312﴾ من وجَّه الناس لنفسه فهو مبتدع, ومن تعلق بهم فهو منقطع, ومن اتبع هوى نفسه فهو منحرف, ومن كان هذا وصفه فيجب علينا ألاّ نتبعه و ألا نتعلق به, بل ننصحه بترك هذه الأخلاق الذميمة لأنها قاطعة عن الله عز وجل.

﴿313﴾ وجود العلم بالعلم شيء, ووجوده بنفس العالم شيء آخر, فمن نسب العلم إلى العليم كان عالماً بالله تعالى, ومن نسبه لنفسه استقلالاً فقد أشرك مع الله تعالى. وما العلم في العالم إلا عارية, وصاحب العارية يسترد عاريته متى شاء. وإذا بقي العلم في الإنسان مع نسبته لنفسه كان العلم وبالاً عليه, وعندها تسلب منه الولاية وتبقى له صفة العلم حتى يكون حجة عليه يوم القيامة.

﴿314﴾ الذكر وسيلة لحبة المذكور, فإذا فتح لك باب الذكر فتح لك باب التقوى, وإذا فتح لك باب التقوى فتح لك باب الكشف, وأعني بالكشف تمييز الحق من الباطل, والأحسن من الحسن, ومن فتح له باب الكشف فاز بإذن الله تعالى, فلا بد من كثرة

الخلوات والذكر حتى يثبت الذكر في القلب ويستقر, فإذا استقر الذكر في القلب وخرج السالك من غفلته وصار حاضراً مع ربه جل وعلا صار عنده الشوق, فإن جَمع الإخلاص مع الذكر والحضور حصل له الترقي بإذن الله تبارك وتعالى.

﴿315﴾ من كان ذكره لله تعالى قليلاً كان نوره قليلاً, ومن كان نوره قليلاً فإنه لا يستطيع أن يميز بين الحق والباطل, ولا بين الأحسن والحسن, وكلما ضعف الذكر في قلب المؤمن ضعف إيمانه, وكلما ضعف الإيمان في القلب هجمت عليه وساوس الشيطان وحديث النفس وحب الدنيا والتعلق بالخلق, وهجمت عليه حظوظ النفس. ولكن إذا قوي الذكر في القلب قوي الإيمان, وكلما قوي الإيمان انكسرت رأس النفس وابتعدت الحظوظ وفرغ القلب مما سوى الله تعالى. فلا تترك الذكر على الدوام ولا تنظر إلى العوام.

﴿316﴾ لا تحبب نفسك إلى الناس بل حببِ الله تعالى إليهم, لأنهم إذا أحبوك قد يفتنوا فيك وينسوا الله تعالى, ولكنهم إذا أحبوا الله تعالى فإنهم يسعدوا ويحبوك في الله تعالى. كن حريصاً على نفسك حتى لا تنقطع عن الله تعالى, ولا تقطع أحداً عن الله تعالى, وكن منصفاً مع نفسك مهما مدحك الناس, ولولا ستر الله عليك ما مدحك أحد من الخلق.

﴿317﴾ كثرة الترفه في الدنيا قد تضر بالمؤمن, لأنه كلما ترفه في الدنيا طلب الزيادة, وحظوظ النفس ومتطلباتها لا تنتهي, فيجب على المؤمن أن لا يسترسل مع نفسه وحظوظها, وألاّ يعطيها من الدنيا إلا بمقدار الحاجة, والنفوس من حيث ماهيتها أمارة بالسوء, ولكن تختلف من حيث الإضافة, وفرعون ما تأذى من سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إلا لأنه خرب عليه ملكه.

﴿318﴾ العناد صفة مذمومة, فإذا وجد في قلب عبد فإنه يمنع عنه النور المحمدي, والنور والظلمة لا تجتمع في قلب واحد. فيجب التخلص من هذا العناد حتى يتنور القلب ويتحرر فيفر إلى الله, ولا يليق بالمؤمن الصادق أن يتصف بصفة شيطانية فرعونية نمرودية.

﴿319﴾ العلم له جهتان, جهة العلم وجهة العمل به,وعلم بلا عمل ماذا ينفع؟ بل هو حجة على صاحبه, وعمل بلا علم كذلك لا ينفع, فلا بد من الجمع بينهما. والطريقة لها جهتان, جهة الأذواق وجهة الحقيقة, فجهة الأذواق هي الواردات والتجليات والتفكر في الأفعال والصفات والكشوفات والمرائي وغير ذلك. أما جهة الحقيقة فهي العبودية لله تعالى مع التجرد من كل الحظوظ الدنيوية والأخروية. فالذين فهموا الطريقة قليلون, وليس كل من فهم الطريقة فهم الحقيقة, والذين فهموا الحقيقة قليلون, وليس كل من فهم الحقيقة أزال الحجب عن قلبه, والذين أزالوا الحجب عن قلوبهم وخرجوا من حظوظهم قليل ما هم. فالدخول في الطريقة هو دخول في شريعة الله عز وجل. والعوام اليوم لا يعرفون الطريقة بل يعرفون الرسوم الظاهرة فقط دون العمل في الشريعة, وهؤلاء صار ضررهم على الطريقة شديداً, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿320﴾ السعادة التي لا شقاوة معها تكون بمشاهدة الأمور كلها من الله تعالى, والشقاوة والشر كله يكون بمشاهدة الأمور من الخلق, والكمال أن ترى الأمور كلها من الله خلقاً وإيجاداً, ومن الخلق نسبةً وإسناداً وسبباً.

﴿321﴾ عظمة الله تعالى وحدها كافية لمنع العبد عن المعصية, وأين النار وعظمتها من عظمة الله تعالى؟ والفارق كبير بين من ترك المعصية خوفاً من عظمة الله وبين من تركها خوفاً من النار وعظمتها. واللهِ لو عرفنا الله تعالى لطرحنا كل شيء وما تعلقنا بشيء. ولكن نبرر لأنفسنا كثيراً, وتزكيتنا لأنفسنا أكثر كأنه لا عيب فينا. وإذا أراد الله حفظ عبد من عباده أخرج من قلبه حب الدنيا بجميع صورها وأشكالها وشهواتها, وأودع فيه سرَّ معرفته حتى يكون عبداًَ.

﴿322﴾ كثرة الخواطر في الذكر دليل على عدم حضور القلب أثناء الذكر, والذي يعين على حضور القلب أثناء الذكر الإصغاء للذكر أثناءه, وهو سبب لطرد الشيطان ووسوسته. والذكر الجهري أثره في القلب أكثر من الذكر الخفي. وإذا سقط الذكر من اللسان إلى القلب تنور القلب وحلت فيه السعادة وعظم فيه الإيمان, ولكن إذا بقي الذكر في اللسان مع غفلة القلب هجمت عليه الخواطر والوساوس, فلا بد من كثرة الذكر لله تعالى باللسان والقلب.

﴿323﴾ إذا أردت أن تعرف قلبك فانظر إلى من ينجذب. لأنه لا ينجذب إلا لجنسه, فإن انجذب إلى أهل الدنيا فهو متعلق بالدنيا, وإن انجذب إلى أهل الآخرة فهو متعلق بالآخرة, وإن انجذب إلى أهل الله فهو متعلق بأهل الله, وإن انجذب إلى الله تعالى فهو متعلق بالله تعالى, وخير القلوب قلب تعلق بالله تعالى.

﴿324﴾ من خالفك في رأيك فانظر إلى تلك المخالفة, فإن كانت مخالفة لطبيعتك البشرية وللأمور الدنيوية فعليك أن تتحلى بالأخلاق المحمدية بالعفو والصفح وعدم الجدل, أما إذا كانت مخالفة شرعية فلا بجوز السكوت عليها بل عليك أن تتكلم بصيغة (نحن) باسم الأمة, فدافع وأوضح لأن هذا لله عز وجل وهو حق عام.

﴿325﴾ يقول بعض العارفين بالله:

سلمكم الله ورعاكم بحرمة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة ة أتم التسليم, وبعد:

المرء مع من أحب, فطوبى لمن لم يبقى في قلبه حباً إلا لله سبحانه وتعالى, ولم يرد إلا وجهه تعالى وتقدس, فيكون هو مع الله تعالى جل سلطانه وإن كان مع الخلق واشتغل بهم صورة. هذا هو شأن الصوفي الكائن البائن, الكائن مع الله تعالى, والبائن من الخلق حقيقة, أو المراد الكائن مع الخلق صورة والبائن منهم حقيقة. والقلب لا تتعلق محبته بأكثر من واحد, فما لم يزل التعلق الحبي بذلك الواحد لم يتعلق قلبه بما سواه, وما يرى من كثرة مراداته وتعلق محبته بالأشياء المتكاثرة, كالمال والولد والرياسة والمدح والرفعة والشهرة عند الناس, فثمة أيضا لا يكون محبوبه إلا واحدا, وهو نفسه, ومحبة هؤلاء فرع لمحبة نفسه, فإن هذه الأشياء لا يريدها إلا لنفسه لا لأنفسهم, فإذا زالت محبته لنفسه زالت محبتهم بالتبعية أيضاً, ولهذا قيل: إن الحجاب بين العبد وربه هو نفس العبد لا العالَم, لأن العالَم في ذاته غير مرادٍ للعبد حتى يكون حجاباً, وإنما مراد العبد نفسه, فلا جرم يكون الحجاب هو نفس العبد لا غير. فما لم يخلُ العبد عن مراد نفسه كليةً لا يكون الرب مراده, ولا يتسع قلبه محبته سبحانه وتعالى. وهذه الدولة القصوى لا تتحقق إلا بعد الفناء المطلق المنوط بالتجلي الذاتي, فإن رفع الظلمات رأساً لا يتصور إلا بطلوع الشمس بازغةً, فإذا حصلت تلك المحبة المعبر عنها بالمحبة الذاتية استوى عند المحب إنعام المحبوب وإيلامه, فحينئذٍ يحصل الإخلاص ــ رزقنا الله وإياكم هذا جميعاً ــ حين ذاك لا يعبدُ العبد ربه إلا لله سبحانه وتعالى, لا لأجل نفسه مِنْ طلب الإنعام ودفع الإيلام, لأنهما عنده سواء, وهذه هي مرتبة المقربين رضي الله عنهم وألحقنا بهم آمين. أما الأبرار فإنهم يعبدون الله تعالى خوفاً وطمعاً, وهم راجعون إلى أنفسهم لعدم فوزهم بسعادة المحبة الذاتية, ولا جرم حسنات الأبرار سيئات المقربين, فحسنات الأبرار حسناتٌ من وجهٍ وسيئاتٌ من وجه آخر, أما حسنات المقربين فحسناتٌ محضة.

نَعَمْ من المقربين من يعبد الله خوفاً وطمعاً بعد تحققهم بالبقاء الأكمل وتنزلهم لعالم الأسباب, لكن خوفهم وطمعهم غير راجع إلى أنفسهم, بل إنما يعبدون الله طمعاً في رضائه وخوفاً من سخطه سبحانه وتعالى, وكذا إنما يطلبون الجنة لأنها محل رضاه تبارك وتعالى لا لحظوظ أنفسهم, ويستعيذون من النار لأنها محل سخطه تعالى لا لدفع الإيلام عن أنفسهم, لأن هؤلاء الأكابر تحرروا من رق الأنفس وصاروا خالصين لله سبحانه وتعالى ليسوا لأنفسهم وحظوظهم, وهذه الرتبة أعلى رتبة في مقام المقربين, ولصاحب هذه الرتبة نصيب تام من كمالات مقام النبوة, ولا يكون أهلاً للتكميل, لأن مقام النبوة يكمل الناقص إلى الكمال, والكامل إلى الأكمل بخلاف المستهلَك. رزقنا الله سبحانه وتعالى محبة هؤلاء الأكابر بحرمة سيدنا محمد عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه من الصلوات أفضلُها, ومن التسليمات أكملُها. فإن المرء مع من أحب فلا جرم مقام العبدية فوق كل المقامات, وهذا أتم وأكمل في مقام العبدية. وإنما يتشرف بهذا المقام المحبوبون. وتلذذ المحبين إنما هو بذوق الشهود والالتذاذ بالعبدية والأنس بها مختصان بالمحبوبين. وإنما يحصل هذا المقام بعلم التقوى لأنه يطلع على أن عبادته غير لائقة بربه تبارك وتعالى. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المحبوبين المحبين إنه على ما يشاء قدير وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

﴿326﴾ كن على حذر من الظلم, لأن الظلم ظلمات يوم القيامة, والظالم يخسر آخرته كما يخسر دنياه, لأن من ظلم الآخرين وكان عنده شيء من الحسنات, فإن المظلوم يأخذُها, وأما من ظلم نفسه بارتكاب المخالفات الشرعية فإنه يخسر دنياه وآخرته وكذلك يعض أصابع الندم يوم القيامة ولكن هيهات أن ينفعه الندم, قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يَاوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (سورة الفرقان/29). فاتخذ أيها المؤمن الصادقُ سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلاً تسعد في الدارين, وتكون من أهل العدل وإلا تكن ظالماً, لأن كل سبيل غير سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلم وعدوان.

﴿327﴾ أيامك في الحياة الدنيا معدودة, وكل معدود له نهاية, فاغتنم فرصة حياتك بحسن الإقبال على الله تعالى, من خلال اتباعك للنبي صلى الله عليه وسلم, انظر كيف كانت عبادته صلى الله عليه وسلم, وحاول أن تتابعه في ذلك حتى تدخل في مقام الإحسان, عندها تكون عبادتك لربك عزوجل بين مقامي المراقبة والمشاهدة, ومن دخل في هذا المقام لا يعصي مولاه, فإن زلت قدمُه, فإنه لا يصر على المعصية بل ينزع ويستغفر, وهذا لايسقط من عناية الله عزوجل.

﴿328﴾ تطبيق دين الله عز وجل ظاهراً وباطناً, وإجراء الأحكام الشرعية على الجوارح الظاهرة والباطنة, أمرٌ ليس بسهل إذا كان المؤمن بمفرده, أما من أكرمه الله عز وجل بصحبة وارث من وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقيقيين, فإنه يسهل عليه هذا, لأن الحال لا ينكره إلا جاهل, ولو لم يكن الحال له تأثير, لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك السائل, الذي قال: يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: [من ذكركم الله رؤيته, وزاد في علمكم منطقه, وذكركم في الآخرة عمله] (رواه أبو يعلى). هذا هو الجليس الذي يسري عليك من حاله, ويزيدك من قاله, وتقتدي بعمله.

لابد لك من الاقتداء مهما كان وصفك, فإما أن تقتدي بوارث من وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم, الذين اقتدوا أثر مورثهم صلى الله عليه وسلم, وإما أن تتبع خطوات الشيطان, فاختر لنفسك ما تشاء, وإنك مسؤول يوم القيامة. اللهم أكرمنا بمجالسة الصالحين الصادقين, ومُنّ علينا بموافقتهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿329﴾ تفكر جيداً, أعطاك ربك الكثير وطلب منك القليل, فإذا ما دفعت القليل عوضك الكثير, وهو على كل شيء قدير, فلا تمسك بالدنيا فما رأيتُ عاقلاً تمسك بها. فهي أوهى من بيت العنكبوت. اغتنم فرصة الحياة والغنى وأكثِر من الصدقة, فإن الصدقة ترجمان عملي على قوة إيمانك, الخير كل الخير فيمن شعر بحاجة إخوانه المؤمنين وقدم لهم مما آتاه الله عز وجل, تأسَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم في النفقة, فإنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر أبداً.

﴿330﴾ الصدقة برهان على صدق إيمانك, فلا تفسد عملك الصالح بالمخالفات الشرعية, ومن المخالفات المنَّة في العطاء, ولو عرفت مِن مال مَن تنفق لاستحييت أن تقول: تصدقتُ, فالمال مال الله تعالى, وأنت مستخلف فيه,فبأي شيء تمنُّ؟. أما فكرت في نفسك أن يأتيك يوم وتكون أنت المحتاج؟ هل ترضى بمنَّة أحد من الخلق عليك؟ فكيف أنت تمنّ؟.

ولو تفكرت جيداً في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ (سورة المدثر/6). لذبت حياءً من الله تعالى. تقرب إلى الله تعالى بكثرة الصدقة, واعلم أنك إن تصدقت بصدقة أن هذا من نعمة الله عليك, فلا تبطل هذه النعمة بالمنة, وسل الله تعالى أن يتقبلها منك.

﴿331﴾ لا أحد أصدق من الله تعالى, وهو القائل جل شأنه: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً ﴾ (سورة فاطر/6) أخبرك ربك تبارك وتعالى أن الشيطان لك عدو, وأمرك أن تعاديه, ومعاداته في مخالفته وعدم الإصغاء لوسوسته, قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ (سورة النساء/120) كن على حذر منه, فإذا هجم عليك فاستعذ بالله تعالى. فإنه تعالى يراك ويراه, وكن مخلصاً لله عز وجل, عسى أن يصطفيك ويجعلك من المخلَصين, فإن أصبحت منهم, كنت عند الله عبداً محبوباً, وكنت ممن

قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ (سورة الإسراء/65) فلا يقربنك شيطان, كما قال تعالى حاكياً عن إبليس:

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة الحجر/40) فلا سبيل له عليهم.

﴿332﴾ استشعر هول الموقف بين يدي الله عز وجل يوم القيامة, عندما تكون على جسر جهنم, فتنظر أيمن منك فلا ترى إلا ما قدمت, وتنظر أشأم منك فلا ترى إلا ما قدمت, وتنظر تلقاء وجهك, فلا ترى إلا النار, وأنت بين يدي الملك القهار, الذي يعلم السر وأخفى, فماذا تقول لربك عز وجل يوم القيامة؟ إن سألك عبدي كيف اجترأت على أكل مال الحرام من ربا وغيره؟ لتستحِ من الله عز وجل, فدائرة الحلال تكفيك أيها المؤمن, ولا تنس أنه ما أعطاك إلا لحكمة, وما منعك إلا لحكمة, فمقياس الكرامة ليس المال, قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۞ كَلَّا ﴾ (سورة الفجر/17) بل مقياسها التقوى, قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات/13) ومن التقوى ترك الربا وترك أكل أموال الناس بالباطل وبسيف الحياء.

﴿333﴾ كن حريصاً على مطعمك ومشربك وملبسك أن يكون حلالاً, فمن أكل الحلال تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه, قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾ (سورة البقرة/282) وهذا هو العلم اللدني الذي لا يمنحه الله تعالى إلا لمن ارتقى سلم التقوى, فشمرْ عن ساعد الجد, وتابع النبي صلى الله عليه وسلم في أقوالك وأفعالك وأحوالك كلها تسعد في الدارين. بإذن الله تعالى.

﴿334﴾ جدير بك أن يكون أمرك مبدوءاً بالتقوى, ومختوماً بها, ولا سبيل لضمان حسن الخاتمة إلا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن ربه عز وجل, فكن متمسكاً بالكتاب والسنة مجاهداً لنفسك ولأهوائك, ومحافظاً على سلامة قلبك بكثرة ذكرك لله تعالى بالحضور التام الدائم, وراجياً مولاك أن يتقبل منك هذا, مع اعتقادك بأن عبادتك غير لائقة بربك عز وجل.

﴿335﴾ لا بد للمؤمن الذي يحب السلامة في دينه وعرضه أن لا يصاحب من تكون أعماله مخالفة للشرع, ويشغله عن الذكر والطاعات, وبما لا يعنيه, فالإنسان إذا كان مصاحباً لأهل الصلاح استأنس بما فيه صلاحه, لأن السمع والبصر والفؤاد مسؤول عنه فهو مسؤول عما سمع ورأى وأدرك. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:[إذا عُملَت الخطيئةُ في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها, ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها] (أخرجه أبو داود)

فمجالسة الصالحين أهل الاتباع دواء للقلوب, كما قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة:

1- تلاوة القرآن بتدبر.
2- وخلاء البطن.
3- وقيام الليل.
4- والتضرع إلى الله تعالى عند السحر.
5- ومجالسة الصالحين.

﴿336﴾ أكثر الخلق لا يخرجون من ظلمات الهوى, ولا من إساءة النفس الأمارة بالسوء, ولا يميزون بين القبيح والحسن, ولا بين الحسن والأحسن, حتى يتحققوا في مقام الإحسان ويطلعوا على حقيقة اليقين, ويقفوا مع صفات الله من العلم والقدرة والسمع والبصر, وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿337﴾ علينا أن نكون مع الصادقين الذين حثنا الله على الكينونة معهم حتى نستفيد من سلوكهم وأحوالهم ونصائحهم وننتفع من بركة دعائهم, وعلى رأس هؤلاء الصادقين الوراثُ الحقيقيون لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم, المأذونون لهذا

الشأن. فإن قال بعضهم: نحن نعلم و لسنا بحاجة إلى صحبة الصالحين الصادقين, نقول له: ليس هناك أحد أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومع ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: [ما شعرنا أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد] ونزلت الآية الكريمة: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (سورة آل عمران/152). هم الأصحاب الذين قال فيهم ربنا جل وعلا: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة/100). فلا بد من صحبة الصادقين مهما كانت مرتبتك, واحذر المخالفة لأمر الله, ولأمر الرسول صلى الله عليه وسلم, ولا تتبع الهوى حتى تسلم بإذن الله.

﴿338﴾ علم الله محيط وشامل لجميع الأشياء, وهو مطلع على نيات عباده, وما في ضمائرهم من ادعاء الإخلاص مع إرادة الدنيا, أو الإخلاص المجرد مع قطع النظر عن الدنيا بما فيها, ولا يريدون إلا وجه الله تعالى. فاللائق بالإنسان أن يراقب قلبه ولا يزكي نفسه, لأن حال أكثر الناس يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ولا يعرفون المصلح من المفسد, إلا من عصمه الله تعالى.

﴿339﴾ كمال الإيمان يدعو العبد إلى أن تكون أعماله خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى ولعظمة مقام الربوبية, دون النظر إلى حظ من حظوظ الدنيا أو الآخرة. والثواب تفضل ورحمة من الله جل وعلا. وتجريد الأعمال مما سوى المحبة والإجلال يكون بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة, وشتان بين من يعبد الله لله, وبين من يعبده للثواب الذي هو من جملة الحظوظ...

﴿340﴾ إذا كنت حريصاً على نفسك أن تكون من المفلحين, فعليك بالتقوى, وقد ذكرها الله تعالى لمن أراد الفلاح في صدر سورة (المؤمنين) بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة المؤمنون/1).

انظر في صلاتك, هل صلاتك صلاة الخاشعين؟ وانظر في أقوالك, هل أنت معرض عن اللغو؟ وانظر إلى حق الله في مالك, هل تؤدي حقه؟ وهل أنت تعفُّ عن الحرام أم لا؟ وانظر في أماناتك هل ترعاها حق الرعاية أم لا؟ وانظر في عهودك هل تفي بها أم تنقضها؟ هذا ميزان دقيق لمن أراد أن يسلك طريق أهل الفلاح.

﴿341﴾ عليك أن تراعي دين زوجتك حتى لا تكون خائناً في أمانتك. فكما أنك تحب عشرتها ورفقتها في الدنيا الفانية إما لحسنها أو لمالها أو لمودتها أو لأي حظ من الحظوظ النفسانية, فاحرص أن ترعى دينها كي يحفظها الله من العذاب يوم القيامة, وحتى تكون رفيقتك في الدار الباقية في جنة عرضها السموات والأرض, وإلا فأنت خائن في أمانتك التي أمنك الله عليها.

﴿342﴾ الصلاة خير موضوع, وهي ميزان سيرك وسلوكك, فإذا أردت أن تعرف حقيقة متابعتك للنبي صلى الله عليه وسلم في باطنك فانظر في صلاتك, فإذا انصرفت في صلاتك بكليتك إلى ربك ومولاك فهنيئاً لك بتلك الصلاة, لأن صلاتك تكون حقاً صلاة, وهذه هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر, وأما إذا كان غير ذلك فاعلم بأن قلبك قد وقع فيه شيء من مظاهر الدنيا شغلك به عن الله عز وجل, فاجتهد في إخراجه بكثرة الذكر لله تعالى.

كن حارساً على باب قلبك, حتى لا يدخله شيء من الأغيار فيفسد عليك إيمانك. وقلبك مهيأ لمعرفة ربك عز وجل فغذه بكثرة الذكر لله تعالى في سائر أحوالك. اللهم إنا نسألك لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً يا أرحم الراحمين.

﴿343﴾ كما أُمرتَ أن تأخذ حذرك من عدوك الظاهر, أُمرتَ أن تأخذ حذرك من عدوك الباطن, وعدوك الباطن نفسك وشيطانك. فلا تأمن من نفسك مهما بلغت المراتب, لأنها لا تخرج عن وصفها_ أمارة بالسوء_, وأما شيطانك فعداوته واضحة

بنص الكتاب, جاهد نفسك بقلة الطعام والكلام والنوم, وكن على حذر منها إذا شبعت من حلال. وجاهد شيطانك بكثرة الذكر لله تعالى لأنه ليس له سبيل على الذاكرين لله تعالى بقلب حاضر.

﴿344﴾ عليك بكثرة الذكر لله تعالى حتى يقوى الإيمان في قلبك, فإذا قوي تكون من أصحاب الإرادة القوية, ومن كان وصفه فإنه لا يعرف إلا الحق وقول الحق, وإن كان على نفسه أو على غيره. وأكثر الذين انحازوا عن اتباع الحق انحازوا بسبب اتباع الهوى, والهوى أكبر معبود في الأرض مبغوض عند الله عز وجل.

﴿345﴾ انظر في ولايتك لمن تكون, فالمؤمن الصادق لا تكون موالاته إلا لأهل الإيمان أهل الصدق, والجنس يألفه الجنس. والموالاة غير صنع المعروف. اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله, فإن صادف المعروف أهلَه فهم أهل للمعروف, وإن لم يصادف المعروف أهله فأنت أهل للمعروف, فلا توالِ إلا أهل الصدق من أهل الإيمان.

﴿346﴾ الإنسان محجوب بالغفلة الحاصلة من القواطع الأربعة: الدنيا والخلق والنفس والشيطان, فإذا رُفع الحجاب بكثرة الذكر, والتمسك بالشرع الشريف, واتباع السنة السنية, بينه وبين خالقه يرى تلك الحقيقة وتكون حاكمة على قلبه, ويدوم له ذاك الحال حتى يصبح له مقاماً, عند ذلك لا يأنس قلبه إلا بمولاه, ولا يُخدع بالقواطع عن الله عز وجل. وأكثر الناس في غفلة لأنهم يرون لأنفسهم وجوداً, وينسون عيوب أنفسهم, ويسرعون في مخالفة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام, ويمشون على حسب مراد نفوسهم والعياذ بالله, والله يهدي من يشاء ومن يضله الله فلن تجد له إلى السعادة والهدى طريقاً, قال تعالى: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾ (سورة الكهف/17).

﴿347﴾ علامة امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه:

1- خوفك ووجلك من الله تعالى عند تلقي الأمر والنهي.

2- أن تذل نفسك له تبارك وتعالى.

3- أن تتواضع لخلق الله من غير حاجة إليهم, وبدون طمع فيما بأيديهم, أما إذا لم تصبر على المأمورات, ولم تترك المنهيات فلست ممن استسلم لأمر الله, لأن حقيقة الإسلام الاستسلام.

﴿348﴾ ابحث جاهداً عن الفئة التي تعينك على البر والتقوى, لأنها أصبحت نادرة في هذا الزمان, أما الذين يعينونك على الإثم والعدوان فما أكثرهم. جاهد نفسك في عدم مجالسة هذه الفئة من الناس, لأنهم يضرون دينك ودنياك, وخاصة إن كانوا من الفئة التي تؤيد هواها بالحجة الشرعية, ابحث عمن يعينك على البر والتقوى وهم لا يوجهونك لأنفسهم بل لله عز وجل, فإذا أكرمك الله بصحبة هؤلاء. فالزمهم وصمَّ أذنك عن قول أعدائهم, ولا تقل ليس للصالح أعداء, اقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴾ (سورة الفرقان/31) واعلم أن صحبة هؤلاء تحتاج إلى مجاهدة نفس, لأنهم لا يسترسلون مع النفوس والأهواء, والنفس من طبيعتها تحب الذي يمدحها لا الذي ينصحها.

﴿349﴾ جدير بالعبد المسلم الخائف أن يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بإسباغ الوضوء, وينتظر الصلاة في مصلاه, ويشتغل بذكر (لا إله إلا الله) حتى يقطع من القلب شواغل الدنيا, ويهيئ قلبه لمناجاة ربه جل وعلا, ويقبل بقلبه على ربه في صلاته, وتصلي روحه في قالبه لعله يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون/2) فهذه الصلاة هي التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت/45) وإذا أراد العبد أن يعرف ما بينه وبين ربه من صلة فلينظر في صلاته فبمقدار ما يعقل من صلاته فتلك حصته.

﴿350﴾ اعتصم بالله مولاك, والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل وأطراف النهار مع المتضرعين, فإنه لا نجاة إلا برحمة الله تعالى, ولا سلامة من هذه الفتن إلا بنظره وتوفيقه وعنايته, فتنبه من رقدة الغافلين, وجاهد نفسك في مرضاة مولاك, والله المستعان على كل حال, فإنه خير معين و هو أرحم الراحمين.

﴿351﴾ أقلع عن صحبة الأغيار الذين خالفت أفعالهم أقوالهم, ولا تتكل على نفسك وتدعي العلم بدون عمل, فإن دعوى العلم بدون عمل باطلة, لأنه من الجنون,اختر صحبة الأخيار لأنهم ينصحونك, وخذ بوصاياهم فإنك تَرشُد بإرشادهم, ولقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم زمن العزلة, وبيّن نعتَه, ونعتَ أهله, فإذا جاء وقته, أمرك بالتفرد_ وهو صلى الله عليه وسلم لا شك أنه أعلم بمصالحنا وأنصح لنا من أنفسنا_ فامتثل أمره صلى الله عليه وسلم, وخذ بوصيته ولا تشك, فإنه صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحك في الزمن الذي أنت فيه, ولا تتعلل بالعلل الكاذبة, ولا تخادع نفسك, وإلا فأنت هالك, ولا عذر لك عند الله يوم القيامة. يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم, إذ ذكر الفتنة, فقال صلى الله عليه وسلم: [إذا رأيتم الناس مرجت _ أي فسدت _ عهودهم, وخفت _أي قلت _ أماناتهم, وكانوا هكذا, وشبك بين أصابعه صلى الله عليه وسلم. قلت: ماذا أصنع جعلني الله فداك, قال صلى الله عليه وسلم: الزم بيتك, واملك عليك لسانك, وخذ ما تعرف, ودع ما تنكر, وعليم بأمر الخاصة, ودع عنك أمر العامة] (أخرجه أبو داود في سننه).

﴿352﴾ كل معصية لله عز وجل تورث عند العاصي سوء خلق, وأكثر المعاصي صحبة الأغيار والأشرار, أما كل طاعة لله عز وجل فإنها تورث عند الطائع خلقاً حسناً, وأكثر الطاعات ببركة صحبة الصادقين. وعلى هذا فلا بد لك من أن تحب في الله وتبغض في الله, فإذا أحببت إنساناً في الله بسبب طاعته لله ومحبته لله فإن عصاه لا قدّر الله فلابد أن تنصحه وتبغض أفعاله المخالفة لأنه صار عاصياً وممقوتاً عند الله عز وجل, لأنه من أحب بسببٍ بالضرورة يبغض لضده, وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر, وهو مطرد في الحب والبغض.

والحب والبغض دفينان في القلب ويرشحان عند الغلبة بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة, فمن كان محباً لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم يكون مع من كان محباً لهما, وإلا فلا.

﴿353﴾ تذكر وقوفك بين يدي ربك عز وجل قبل أن ترحل إلى ذاك اليوم الذي لا ينفعُ فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم, ولا ينفع فيه الندم. لا تكن ممن يقول المعروف ولا يأتيه, وينهى عن المنكر ويأتيه, اسمع وعيد الله في حق من يقول ما لا يفعل قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصف /3).

﴿354﴾ انتبه من رقدة الغفلة, واحذر صحبة الفاسقين والكاذبين, واحذر أن تميل نفسك إليهم لأن النفس أمارة بالسوء, ومن أوصافها الفسق والكذب والفجور, عليك أن تخالف نفسك واحذر من موافقتها, قيدها بالشرع الشريف, ولا تطلق لها العنان, احبسها تحت مراقبة الله عز وجل, وأجرِ عليها الأحكام الشرعية, واقلع منها قلبها, وقلبُها هواها, واستعن على ذلك بالله عز وجل, وأكثر من ذكر الله تعالى حتى تقوى جنود الروح على جنود النفس عند ذلك تسهل عليك مخالفتها وقتل هواها, وأخلص في العمل حتى تسعد سعادة لا شقاوة معها في الدارين.

﴿355﴾ إنّ تعلم علوم الحقائق لا يكون إلا بالتقوى لله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة/282). والتقوى هي ترك المعاصي والمنكرات, وفعل المأمورات والعمل الصالح الموافق للسنة السنية,

ولا عبرة بكثرة العمل بل العبرة بتجريد العمل من كل الحظوظ والشهوات وأن يكون لوجه الله عز وجل خالصاً, فالشأن في الصفوة لا في الكثرة. وقالوا: جوهرة واحدة خير من ألف خرزة.

﴿356﴾ إذا تأملت في العالم أجمع وجدت كل فتنة وفضيحة وذنب واقع في خلق الله تعالى, من أول الخلق إلى يوم القيامة, بسبب هذه النفس الأمارة بالسوء, فأول معصية كانت من إبليس, وكان سببها بعد القضاء السابق هوى النفس بكبرها وحسدها, ثم ذنب آدم وحواء عليهما السلام بسبب شهوة النفس وحرصها على البقاء و الحياة. وفي ذلك دليل على أن النفس أصعب من كل شيء, وأعدى من كل عدو. ومقاومة هذه النفس الأمارة بالسوء لا يكون إلا بثلاثة أشياء:

أولاً: منعها من الشهوات وعدم الاسترسال معها, وألا تُعطى إلا بمقدار الحاجة, لأن مثلها مثل الدابة الحرون التي لا تلين إلا إذا أنقصت لها من علفها.

ثانياً: حملها على العبادة لله عز وجل, لأن العبادة لله تعالى تذلل النفس و تروضها, وتجعلها أسيرة في يد صاحبها.

ثالثاً: الاستعانة بالله تعالى, والتضرع إليه, بأن يعينك عليها, لأنها أمارة بالسوء.

﴿357﴾ إنه حتم على كل ذي حزم وعزم بعد الإيمان بالله تعالى أن لا يغفل عن محاسبة نفسه, بل يجب عليه أن يضيق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها, لأن أنفاس العمر جوهرة لا عوض عنها, فمن أخذ زمام نفسه وردها إلى أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ووراثه, فإنه يجعلها مغلوبة بعدما كانت غالبة, وتتمكن في فلبه حقيقة الإيمان ويدخل في مقام الإحسان, عند ذلك يعلم علم اليقين ويدخل في عين اليقين بأن الله تعالى يراه وهو رقيب عليه, كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ﴾ (سورة العلق/14) وقال: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء/1).

فإذا كان العبد بهذه الحالة_ من المراقبة لقلبه, مشتغلاً به, وملتفاً إليه, وملاحظاً إياه, ويعلم أن الله مطلع على الضمائر, عالم بالسرائر, رقيب على الأعمال _ فإنه تسهل عليه الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم, وَيَحْلُو له الاتباع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم, ويكون ذا حظ عظيم, كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة يونس/10).

﴿358﴾ كن متعظاً بالمواعظ القرآنية, فإن الله تعالى أخفى رضاه في امتثال أوامره واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم كما أخفى سخطه تبارك وتعالى في ارتكاب المخالفات واتباع الهوى, عليك أيها المؤمن أن تأخذ بهذه الأمور:

1- عليك بلباس التقوى, لأنه وقاية لك من نار جهنم حين ورودها, قال تعالى: ﴿ وإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ (سورة مريم/71) ولباس التقوى خير لك عند الله قال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (سورة الأعراف/26).

2- أخرج حب الدنيا من قلبك حتى تكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (سورة الزمر/4). أي: وسع الله صدره للإسلام والإيمان والطاعات وحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم, واستضاء قلبه بنوره. عند ذلك تكون عندك المقدرة على التمييز بين حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبين ما تهواه النفس الأمارة بالسوء, ومدار الحكم ومناطه على التخلية والتحلية, والخلية مقدمة على التحلية.

3- لا تغتر بالشهرة والسمعة, فإنها من أكبر القواطع عن الله تعالى.

4- لا تفتخر بالفانية حتى تكون من الفئة التي قال الله تعالى عنها: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (سورة البينة/8).

5- وأخيراً حاسب نفسك وانظر في أي شيء تعلقت؟ هل أنت غريق في محبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي الاستجابة لهما؟ أم استولى عليك حب الدنيا من مال وولد, وملك قلبك. كن حاكماً على ما في قلبك وما استقر في ضميرك, والله تعالى شاهد على الضمائر ومطلع على السرائر.

﴿359﴾ ليكن حظك الوافر من هذه العبادة التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه, عندما قال له: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ, فبابٌ نتمسك به جامعٌ, قال: [لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله] (أخرجه الإمام أحمد) . وأقبل على ربك واعتمد عليه, واستمع إلى ما قاله لك جل وعلا: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد/28). خذ بأمر الله ووعده, وبأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا تتبع نفسك وهواك فإن في اتباعك للنفس والهوى خسران وأي خسران؟.

﴿360﴾ المحبة باب عظيم لا يفتح إلا لأهل القلوب السليمة, وتأثيرها غريب, وأمرها عجيب,وترجيح الدين على الدنيا ثابت في القلوب النورانية الروحانية, والعقول القدسية الإلهية, المتيقظة بترك حب الدنيا, وملازمة خدمة المولى.

﴿361﴾ اترك ما تريد لما يريد ربك منك, واحذر من اختيارك وخذ ما اختار لك ربك, وليكن عندك التسليم التام لمراد ربك واختياره, بقلبك ولب سرك, فإذا حققت هذا كنت عبداً لربك حقاً, ولن تبقى معك الحظوظ النفسانية, وتضمحل طبيعتك البشرية. وما يحصل لك من الاستفادة فإنها منه لا منك.

﴿362﴾ لا تكن مثل ذلك العبد الذاهب خلف مشتهياته, والتابع لهواه في كل حركاته وسكناته, واحذر من الهلاك, وهلاكك إذا وقعت في بئر نفسك واتبعت هواك. قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ (سورة الأعراف/176). وكنت بعيداً عن مقامات الرجال الذين تخلقوا بأخلاق الرحمن.

﴿363﴾ مراتب الصدق كثيرة أقلها استواء السريرة مع العلانية, وأن تكون صادقاً في موافقة ربك جل وعلا في الأمر والنهي, وفي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم, حتى تتحقق بالعبودية لله تعالى, وهذا المقام أمنية السالكين الصادقين. وإذا صدقت في طلبك هذا, فإن الله لا يخيب ظنك, وهو قادر تبارك وتعالى أن يخلصك من الأهواء وحظوظ النفس والشهوات, قال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ (سورة الكهف/45). والصدق صفة كسبية لا وهبية لأنه داخل في دائرة التكليف, فعليك بالصدق مع الله تعالى, ومن كان صادقاً مع الله تعالى فهو بالضرورة صادق مع عباد الله.

﴿364﴾ كلنا نؤمن ونقر بعداوة النفس الأمارة بالسوء, وأن عداوتها لنا أبدية, وهي عدوة لله, ومع ذلك نحبها, وهي تحارب الله ورسوله بارتكاب المخالفات الشرعية, وهذا الاعتقاد بالنفس وحقيقتها محصور عندنا بالقول فقط, ولايخرج إلى حيز الجهاد والمخالفة بالفعل, والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة/105). وصيغة الأمر تتضمن الوعيد, فالحق تبارك وتعالى ما قال: وقل اعلموا, لأن العلم بدون عمل جنون وهو لا ينفع, بل هو حجة الله تعالى على خلقه, فالعلم بدون عمل وباله على العالم أكثر, فرِضا الله تعالى وسخطه مرتب على العمل, وعمل بدون علم لا يكون, كما أن الإيمان بدون العمل بمستلزمات الإيمان لا يكفي. وهذا أمر بدهي لا يخفى على من كان عنده عقل.

﴿365﴾ نسبتك للإيمان ولأهل الإيمان شرف عظيم, وهذا من أعظم نعم الله عليك, ولكن توج هذا الشرف العظيم باتباعك للنبي صلى الله عليه وسلم, لأن الاتباع برهان صادق على صحة الدعوى, وبالاتباع يكون التمحيص بين الصادق والكاذب. وفي الحديث الشريف عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [من أبطأ به عمله لم يسرع

به نسبُه] (أخرجه مسلم) وهذا يدل على أن النسب وحده لا يكفي بل لا بد من العمل, فإذا جمعت بين النسب والعمل بالاتباع حزت الخير من كل أطرافه.

﴿366﴾ المؤمن الصادق لا يأمن على نفسه من أن تدخل عليه شائبة تشوب إخلاصه, فهو على حذر وخوف, وكلما كملت شخصيته كلما عظم خوف الله تعالى في قلبه, وخشي على نفسه أن يحبط عمله وهو لا يدري, فهو خارج عن جميع حظوظه, ولا يدري أيقبله الله تعالى أم يرده؟ فإن قبله فبمحض الفضل, وإن رده فبمحض العدل, لقوله تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (سورة النحل/53). فاشهد فضل الله عليك, وأرجع الفضل إليه, وكن على حذر من وسوسة الشيطان.

﴿367﴾ التمسك بالشريعة ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم يضمن لك خيري الدنيا والآخرة, كما أن التفلت منهما واتباع الهوى سبب شقاوتك في الدنيا والآخرة, فيجب على العاقل ألا يضيع أنفاس عمره, لأنها جوهرة لا عوض عنها, وألا ينسى مرجعه ووقوفه بين يدي ربه جل جلاله, ليسأله عن التزامه بهذا الشرع الشريف, فالتزم شرع الله تعالى أمراً ونهياً وأخلص في عملك, ثم تذلل إلى الله تعالى في أن يقبل منك هذا العمل الذي لا يخلو من خلل ما, وإن كنت في شك من هذا فانظر إلى أهم ركن من أركان دينك ألا وهو الصلاة, كيف حضورك فيها أثناء مناجاتك لربك؟.

﴿368﴾ سعادة الدارين للمؤمن في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم, وشقاوته في الدارين في مخالفة الشرع الشريف, فاتبع أيها المؤمن ولا تبتدع, وشرط الاتباع موافقة المتبوع, والعلماء ورثة الأنبياء, وحق ورَّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمة السمع والطاعة, وواجب المؤمن أن لا يخالف الوارث فيما يأمر به, لأن ما يأمر به هو من أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم, وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

﴿369﴾ جدير بك أن تحافظ على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم, في يومك وليلتك ألف مرة, فهو صلى الله عليه وسلم ﴿ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب/6). فهذا من حقه علينا صلى الله عليه وسلم, لأنه بكثرة الصلاة والسلام عليه مع الحضور التام معه صلى الله عليه وسلم, نعرف شيئاً من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (سورة آل عمران/31). وهذا من خوارق العادات التي يرتب الله تعالى محبته لعبده على اتباع رجل واحد, وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأن يجعل متابعته دليلاً على صدق العبد لله, فإذا لم يوجد الاتباع له صلى الله عليه وسلم من قبل العباد فقد حرموا أنفسهم محبة الله تعالى, وكذبوا في ادعاء محبتهم لله تبارك وتعالى.

﴿370﴾ اجعل الشريعة نصب عينيك, خذ كتاب الله بيد وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باليد الثانية, واجعل لسانك رطباً بذكر الله تعالى, ولا تلتفت إلى الخلق مدحاً ولا ذماً, تكن عند الله وجيهاً, ويصلح لك عملك ويغفر لك ذنبك, وإن شاء الله تعالى تضمن لنفسك حسن الخاتمة. واحذر الانحراف عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم, لأن من انحرف فهو محروم ولا يشم رائحة الحقيقة, وليس هناك مرتبة أعلى من مرتبة التمسك بالشريعة, عليك بالتقوى وبكثرة الذكر تسعد إن شاء الله تعالى.

﴿371﴾ أجرِ الأحكام الشرعية على جوارحك الظاهرة والباطنة, وادخل بكليتك في كلية الإسلام, لأن الإسلام دين الله عز وجل, والشريعة هي الوحي السماوي التي بُلغت على لسان سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, فليس هناك ضمان لحياة طيبة إلا من خلال الإيمان والعمل الصالح, كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل/97) انظر إلى الإيمان والعمل الصالح وثمرته في الحياة الدنيا والآخرة, فهل يليق بعاقل أن يترك الإيمان والعمل الصالح؟

﴿372﴾ حرمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمة عند الله تعالى, فمن تمسك بجنابه الشريف صلى الله عليه وسلم واتبع سنته مع التسليم, فإنه يسري إليه من ذاك النور شيء فمن قوى ذاك الخيط النوراني بالاتباع في ظاهره وباطنه, فإنه لا يسقط من عناية الله عز وجل. ومن جملة حفظ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم, التأدب مع وراثه رضي الله عنهم, لأن الأدب مع الوراث من الأدب مع مورثه.

﴿373﴾ من عرف فضل الإيمان وقيمته ثبت عليه, وحاول جاهداً أن ينتقل إلى أعلى قمة في هذا الإيمان ألا وهو إيمان الصديقين, الذين دخلوا دائرة الإيمان الشهودي بعد الإيمان الاعتقادي, فأنت أيها المؤمن: مؤمن بالله ورسوله إيماناً اعتقادياً, ولكن الفغلة قد تعتريك فتوقعك في المخالفات الشرعية, عليك أن تقوي هذا الإيمان الاعتقادي لتدخل في الإيمان الشهودي, وفي الحديث: [أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك] (رواه مسلم).

وهذا لا يكون إلا بكثرة ذكرك لله تعالى بالحضور التام الدائم, لأن الله تعالى حرض المؤمن على كثرة ذكره تبارك وتعالى لما فيه من الفوائد العظيمة التي ترجع على العبد الذاكر.

﴿374﴾ كل مخالفة هي من النفس لأنها ظلمانية, ومن الشيطان لأنه عدو, فعلى العاقل أن لا يكون ممن باع حظه في الآخرة بشهوة ساعة في الدنيا, وليحارب نفسه بقلة الطعام والكلام والنوم, ولا يعطها شيئاً إلا بأمر الشرع الشريف, وليحارب شيطانه بعدم الإصغاء إليه, وأن يكثر من ذكر الله تعالى, وأن يكون مصدر أمن وأمان للخلق جميعاً, فالمؤمن في مناجاته مع خواص المقربين إليه بالبر والتقوى. والمؤمن في خلوته يقول كما علمه ربه أن يقول: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر/10), والمؤمن في جلوته مع الناس يسلم المسلمون من لسانه ويده. فأمر المؤمن كله خير في مناجاته وخلوته وجلوته.

﴿375﴾ ليس كل عالم وارثاً حقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم, لأن بعضهم وصف بالعلم وكان أولَ من تُسَعَّر به نار جهنم والعياذ بالله تعالى, فكيف يصلح مثل هذا أن نقول عنه وارث, فالوارث الحقيقي من كان وارثاً في الظاهر والباطن, وعالماً بالله وأوامره تبارك وتعالى, فإذا ذكر الله تعالى كان حاضراً مستغرقاً لا يشغله شيء عن مذكوره, وإذا كان مع الخلق تراه واحداً منهم لا يميز نفسه بشيء, لأنه يعتقد أن كل شيء مع الله عدم ومفقود. هذا هو الوارث الحقيقي الذي يعرفك أحكام دينك عقيدة وتشريعاً من أحكام الحلال والحرام, وحقائق الأحكام, ويعرفك على الله تعالى. وإذا أردت أن تعرف العالِمَ الحق فاقرأ قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الْأَلْبَابَ ﴾ (سورة الزمر/9).

﴿376﴾ تعظيم حضرة النبي صلى الله عليه وسلم هو تعظيم لشعائر الله تعالى, وتعظيم شعائر الله تعالى من تقوى القلوب. ومن تعظيم حضرة النبي صلى الله عليه وسلم اتباع سنته المطهرة, لأن التعظيم والاحترام بدون متابعة لا يكفي, ولكن نرجو الله تعالى لمن عظم شعائر الله _ أعظمها رسول الله صلى الله عليه وسلم _ أن يُكرم بالاتباع لحضرته صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل والحال, وما ذلك على الله بعزيز.

﴿377﴾ العلماء الحقيقيون هم أهل الخشية, والخشية تكون بمقدار معرفة المخشي منه, والعالم الحقيقي يعرف الله تعالى فيخافه ويرجوه, وفي ذلك دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد, لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات/13) فبين أن الكرامة بقدر التقوى, والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل, ومن ترك العمل بما علم قُدح في علمه, وعلمه هذا لا يبعده عن المعاصي ولا يحمله على الطاعة, ولا يبعده عن نار جهنم ولا يقربه من الجنة, وإذا لم يتدارك نفسه فإنه قد يسأل الرجعة عند سكرات الموت والعياذ بالله تعالى. وخلاصة العلم متابعة الشرع في الأمر والنهي قولاً وفعلاً, إذ

العلم والعمل بلا اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ضلالة, فيا أيها العلماء ويا طلاب العلم: لا تغتروا بالشطحات ولا بالمنامات ولا بالكرامات ولا بمدح الناس واجتماعهم عليكم,لأن سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة.

﴿378﴾ إذا خلت القلوب عن الموهومات والمعلومات, وخلى السر عن المعتادات والمعهودات, يرد الاسم الأعظم ﴿الله﴾على كل قلبٍ مقدس من كل غير, وسرٍ مُصفًّى عن كل كيف.

﴿379﴾ الإنسان لغفلته عن الله تبارك وتعالى يظن أنه لوحده, فيقع في معصية الله تعالى, وينسى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (سورة الحديد/4) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء/1), فيجب علينا أن نخرج من هذه الغفلة بكثرة الذكر لله تعالى حتى ندخل في مقام الإحسان, كما جاء في الحديث الشريف: [أن تعبد الله كأنك تراه] (رواه مسلم). ومن دخل في مقام المراقبة فإنه يستحي أن يعصي الله تعالى, لأنهم قالوا: الوجه يستحي من الوجه, أما إذا غاب الوجه فإنه يقل الحياء. وكذلك قلب المؤمن إذا توجه إلى الله تعالى وإلى صفاته فإنه يستحي أن يأمر الجوارح بالمخالفات, ولكن إذا غاب عن تلك المراقبة وغرق في الشهوات والعياذ بالله فإنه لا يستحي من الله تعالى. فمن أراد أن يستحي من الله تعالى وجب عليه أن يوجه قلبه إلى من لا يغيب عنه طرفة عين. ومن أقبح القبائح أن يبرر الإنسان عيوبه.

﴿380﴾ شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل في يدك جزءاً اختيارياً, وفي هذا الجزء الاختياري أنت مسؤول عن طلب الحق والبحث عنه والأخذ به, وإذا لم تَمُل بهذا الجزء الاختياري إلى محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بالشريعة, كيف يكون حالك؟. عليك أن تزداد قرباً من الله تعالى من خلال التقوى, وإياك أن تزداد شراً بالوقوع في المخالفات, واغتنم هذا الاختيار في حياتك الدنيا بالاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم, قبل أن تصير إلى الآخرة حيث يسقط الاختيار, ويكون الأمر إما إلى جنة وإما إلى نار, كما قال تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (سورة الشورى/7).

﴿381﴾ كل كلام له ثمرة, فإما أن يكون حقاً وإما أن يكون باطلاً, ونتيجته في الآخرة. والله تعالى يعلم الصادق من الكاذب, والمفسد من المصلح, وهو يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. فكونوا على حذر من أن يجري على ألسنتكم كلام باطل, أو يكون حقاً ولكنكم تريدون به باطلاً, إذا تكلمتم فراقبوا الله تعالى فهو يراكم ويعلم ما تخفي صدوركم. فلا تجعلوا كلامكم في ظاهره كالسكَّر وفي باطنه السم لأن هذا خيانة, فاجمعوا بين ظاهر الشريعة وباطنها, ولا يكن حظكم من هذا الدين ظاهره فقط.

﴿382﴾ قلوبكم خلقت من أجل معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته والتعلق به, فإذا خلت القلوب من تلك المعرفة والعياذ بالله كانت كالعدم وكأنه لاوجود لها. ونحن نسمع من يقول: فلان وحش, أو حجر مع أن ظاهره بشر, لماذا؟ لأن قلبه قد خلى من معرفة الله تعالى, وأما إذا حلت المعرفة في قلب فإنه يقال لصاحب هذا القلب إنه مثل الملائكة, فيكون ظاهره بشراً وباطنه ملكاً. اجعلوا همكم وغايتكم في الحياة معرفة الله تعالى بقلوبكم حتى تستريحوا, فلا تظلموا هذا القلب بأن تجعلوا فيه غير معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته, وهذا لا يكون إلا بكثرة الذكر لله تعالى بالحضور التام الدائم.

﴿383﴾ من نعمة الله تعالى على عبده أن يعطيه الحرص على هداية الناس, وتبليغ أوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم, وهذا دليل على كمال الإيمان وقوته في قلب العبد, وقوة القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا أكرمت بتلك النعمة وأخذت تبليغ الناس أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كن حرصاً على نيتك أن تكون خالصةً لوجه الله تعالى, لأن الله تعالى لا يقبل عمل العبد إلا إذا كان خالصاً, ولتعلم أن مهمتك التبليغ فقط, وخلق الهداية على الله تعالى, وليكن تبليغك بالحال والعمل والقال.

﴿384﴾ الذي يترقى في سيره وسلوكه على قسمين:

القسم الأول: يترقى بالمجاهدة والرياضات ومخالفة النفس والشيطان, وذلك من خلال تمسكه بالكتاب والسنة فيصل إلى ما شاء الله تعالى.

القسم الثاني: يترقى بمحض الفضل من الله تعالى حين يتولاه الله, كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف/196), وهذا القسم وإن ترقى بولاية الله له فإنه لا يترك مجاهدة نفسه وحملها على الشريعة الطاهرة والسنة المحمدية. فالقسم الأول يكون محبوباً عند الله بالمجاهدة, والقسم الثاني يكون محبوباً عند الله بالاصطفاء والمجاهدة.

﴿385﴾ علامة الإنسان المؤمن الصادق أن لا يتغير بتغير القضاء والقدر, بل عليه أن يفوض أمره إلى الله تعالى وأن يرضى بالقضاء والقدر وأن يكون عنده الرضا بمر القضاء, وألا يلتفت لغير الله تعالى, لأن الابتلاء امتحان من الله تعالى وبه يظهر جوهر الإيمان من قلب المؤمن الصادق.

﴿386﴾ لاتكن عبادتك معلولة, عليك أن تجعلها خالصة لوجه الله تعالى, فمن عبد الله تعالى من أجل الأذواق والتجليات والواردات وما شاكل ذلك كانت عبادته معلولة, لأن هذه الأمور كلها تأتي وتذهب ولا بقاء لها كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (سورة القصص/88) فأعلى الأذواق التي يجنيها الإنسان من العبادة محبة الله تعالى والحضور معه. ونحن يوم القيامة لا نسأل عن الواردات والتجليات ولكن نسأل عن الالتزام بالشريعة.

﴿387﴾ لا بد لورَّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكونوا على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فهم يؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم, كيف لا يكون هذا والله تعالى يقول: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ (سورة الأحزاب/32) فالوارث من باب أولى. والله أرحم الراحمين يريد منا أن نتوب ونتمسك بالكتاب والسنة, وألا نخاف أحداً إلا الله, وألا نلتفت إلا إليه تبارك وتعالى.

﴿388﴾ المستنصح الصادق أفضل من الناصح الذي دخل عليه العجب والغرور والرياء, فالأول يبحث عن الحق من أجلِ الاتباع فهو يسمع لكل من تكلم بالحق. والله تبارك وتعالى أمرنا بالتناصح والتواصي بالحق وبالصبر, لذلك ترى المؤمنين متكاملين فتارة يكون الواحد ناصحاً والآخر منصوحاً, وتارة أخرى يكون العكس, فالمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى, وبهذا يتلاقى المؤمنون مع بعضهم البعض.

﴿389﴾ كل ولي من الأولياء الكرام على قدم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام, وعلامة ذلك: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم, والتمسك بالكتاب والسنة مع الاستقامة, لأن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم جتمع فيه ما تفرق في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام, حيث أُمر بالاقتداء بهم فقال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ (سورة الأنعام/90) ولقد اقتدى صلى الله عليه وسلم بهم فاجتمع فيه ما تفرق فيهم عليهم الصلاة والسلام. فكل ولي من الأولياء يأخذ حظه من حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع الكل وزاده الله تعالى, وكان فضل الله عليه عظيماً.

﴿390﴾ العسل جعله الله تعالى شفاء للناس ولكن بشرط أن يكون صافياً خالصاً, فإذا جعل فيه السم فإنه يفسد ولا يكون صالحاً, وكذلك العبودية لله عز وجل كلما كانت خالصة لوجه الله تعالى كلما ازداد العبد قرباً من الله وصفاء وسعادة, فإذا دخلت الحظوظ عليها أفسدتها وخرب صاحبها مستقبله في الآخرة.

﴿391﴾ الله تبارك وتعالى أمر الملائكة الكرام أن يستغفروا للمؤمنين, مع أن اله تعالى ما رتب مغفرته للمؤمنين على استغفار الملائكة لأنه لا مانع لما يعطي, ولكن الله تعالى أراد أن يشرف الملائكة بهذا الأمر وليكون طاعة منهم لله تعالى, فهم يتذوقون حلاوة المناجاة لله تعالى عندما يسألونه المغفرة لعباده المؤمنين.

﴿392﴾ على المؤمن ألا يتعلق بالشهود فقط, بل عليه أن يتعلق بالعبودية, لأن الالتذاذ بمقام العبودية أرقى وأعلى من الالتذاذ بمقام الشهود. ﴿

393﴾ هناك فارق بين الإهمال والتقصير, فالإهمال يؤاخَذ عليه العبد يوم القيامة لأنه يدل على ضعف إيمان العبد بما أمر الله تعالى به. أما التقصير فشيء آخر حيث يضعف العبد أمام نفسه الأمارة ولا يستطيع أن يجاهدها ولا يستطيع أن يحملها على ما طلب الله تعالى منه مع وجود الإيمان بالآمر. فهذا أمره للمشيئة إن شاء عفا الله عنه وإن شاء عذبه. وكلنا مقصر في حق الله عز وجل ولكن من رحمته أنه فتح لنا باب التوبة ووعد بقبول توبة العبد فضلاً منه ورحمة, وهذا القبول غائب عن الإنسان كلياً, فالواجب على المؤمن أن يأخذ بما شرع الله تعالى من التوبة وأن يتضرع إلى الله تعالى في قبولها فهو أرحم الراحمين.

﴿ 394﴾ الإيمان على ثلاث مراتب: أولاً:

إيمان تقليدي, وهو مقبول عند بعض علماء التوحيد, ويعتبر صاحبه مقلداً في إيمانه. ثانياً:

إيمان عن طريق الاستدلال والبرهان, وهذا عند علماء الكلام, وإيمان أهل هذه المرتبة مقبول عند جميع العلماء, وهو فوق أهل المرتبة الأولى ودون أهل المرتبة الثالثة. ثالثاً: إيمان

ذوقي شهودي, وأهل هذه المرتبة يترقون حتى يصلوا إلى إيمان الصديقين. نفعنا الله بهم آمين. ﴿395﴾

المريد الصادق الذي يبحث عن الحق والحقيقة يجب عليه: أولاً: أن يبحث

عن المرشد الكامل صاحب السند المتصل بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأن يكون هذا المرشد قلبه تقياً نقياً, وعلامة ذلك أن لا يكون له تعلق إلا بالله تعالى, وأن يستوي عنده المدح والذم, فلا يفرح بمدح ويغتر, ولا يقنط من ذم, ولا تؤثر فيه الدنيا ولا تغير من منهجه, ولا يغتر بها إن أقبلت, ولا يحزن عليها إن أدبرت, ولا يأخذ منها إلا بمقدار الحاجة.

ثانياً: إذا وجد المريد هذا المرشد عليه أن يسلم له بعد أخذ البيعة منه, وأن تكون بيعته حقيقية لا وهمية صورية, لأن البيعة الصورية وهم لا تأثير لها بل تكون حجة عليه والعياذ بالله تعالى. ثالثاً: وبعد

البيعة والتسليم لا بد من امتثال الأمر واجتناب النهي في دائرة الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. رابعاً: على المريد الصادق

أن يستخدم استعداده الذي آتاه الله إياه حتى يترقى في سيره وسلوكه إن كان له نصيب في ذلك, وإلا فهو يسلم على دينه.

خامساً: أن لا يطلب المريد الصادق في سيره وسلوكه سوى مرضاة الله عز وجل, لأن هذا هو المعول عليه, أما طلب الدنيا من شهرة ومكانة وظهور ومشيخة فهو من شأن الجهلاء. ﴿396﴾

كثرة الذكر لله تعالى, وتلاوة القرآن الكريم, وحضور المجالس, بدون مخالفة للنفس ومجاهدة لها, وبدون محاربة للشيطان, وبدون التزام بالأحكام الشرعية الظاهرة والباطنة, وبدون ترك الحظوظ النفسانية والتعلق بالخلق, لا تنفع النفع الكامل المطلوب, لا بد مع كثرة الذكر وتلاوة القرآن من مجاهدة النفس, وأن لا يأخذ الذاكر من الدنيا إلا بمقدار الحاجة, لأن جمع المال فتوى وليس تقوى. وأن لا يختلط بالناس إلا بمقدار الحاجة, لأن كثرة الاختلاط بهم قد تجعل القلب يأنس بهم ويستوحش من الله تعالى والعياذ بالله, وهذا هو الإفلاس الحقيقي.

﴿397﴾ السالك الصادق والمؤمن الحق:

هو الذي ترك الاعتقاد الفاسد, وكانت عقيدته سليمة. هو الذي ترك الأخلاق الذميمة, وكانت أخلاقه موافقة. هو الذي ترك العناد المتركز في نفسه, ووافق شرع الله تعالى. لأن الاعتقاد الفاسد, والأخلاق الذميمة, والعناد صفات مانعة من نزول النور المحمدي على صاحب هذا القلب, والترك مقدم على الفعل.

﴿398﴾ الطريقة الشاذلية توجب على أفرادها العمل بالكتاب والسنة السنية, والتأدب بآداب أسيادنا الموافقة للشرع الشريف, وتوجب عليهم كذلك الالتزام بالحق, وعدم التعلق بالأشباح لأن الأشباح فانية, ومن تعلق بالفاني فهو فان, ومن تعلق بالباقي فهو باقٍ. ﴿399﴾

يجب على المؤمنين أن يرافبوا الله عز وجل, وأن يستعملوا إرادتهم في موافقة النبي صلى الله عليه وسلم, وخاصة أيام الشباب, حتى يكون شبابهم قوة لدعم الدين, ولدعوة الناس إلى دين الله عز وجل, أما إذا انحرفوا والعياذ بالله تعالى فذلك جنون, والجنون فنون. عليكم أن تستغلوا أيام الشباب لأنها أوان الربح, وأوان العمل, وأوان الجد, وأوان محاربة النفس والشيطان, فمن استغلها في ذلك هُدي بإذن الله تعالى. وإن جاهد نفسه ولم يهتد فليفتش قلبه لأنه قد تدخل عليه شائبة فتشوب إخلاصه. ﴿400﴾

الوقت مهم لصاحب الوقت, وبحفظ الوقت تنال ما تأمل, والوقت من منازل القوم لا يدركه المقت, ومن لم يعرف قيمة الوقت أدركه المقت, فلا تشتغل بالماضي لأنه ذهب, ولا تشتغل بالآتي لأنه غيب قد لا يصل إليك وقد لا تصل إليه, فكن حريصاً على قلبك في حضوره مع الله تعالى بكل أنفاسك.

﴿401﴾ الخوف من عظمته تبارك وتعالى صفة المحبوبين. وأما الخوف من عقوبته فهي صفة المحبين, والفارق بينهم كبير, والمؤمن حريص على طاعة الله عز وجل في كل أحواله حتى ينال الرضا منه تعالى, لأن الله تعالى أخفى رضاه في طاعته, كما أخفى سخطه في معصيته, ورحمة الله تعالى ليست منقطعة عن عباده, ولكن العبد هو الذي يحول بينه وبين رحمته تبارك وتعالى.

﴿402﴾ المحبة الذاتية علامة الفناء, والفناء عبارة عن نسيان ما سوى الله تعالى, فمن لم يُزِل العلوم عن ساحة الصدر بالتمام, ولم يحصل التحقق بالجهل المطلق فإنه لا نصيب له بالفناء أصلاً, وهذا الجهل دائمي لا إمكان لزواله لا أنه يحصل أحياناً ويزول أخرى, ففي عين الجهالة شعور, وفي عين الحيرة حضور, وهذا موطن حق اليقين. وأحياناً يجتمع العلم مع البقاء بعد الفناء وهذا لا يضر والله الموفق للصواب.

﴿403﴾ صاحب العلم بدون عمل يكون علمه آلة لغروره والعياذ بالله تعالى, ويجعله ينظر إلى خلق الله تعالى بعين الحقارة, فيا طلاب العلم: العلم وسيلة للعمل وليس غاية, فمن لم يعمل بعلمه كان علمه حجاباً بينه وبين الله تعالى, وكان وبالاً عليه والعياذ بالله تعالى, فاعملوا بما علمتم, ولا تغتروا بمدح المادحين ولا باجتماع الخلق عليكم, لأن الخلق من جملة القواطع عن الله عز وجل. فإن طبقتم على أنفسكم ما تعلمتم أورثكم الله تعالى علماً لدنياً منه, وإلا كان العلم حجة عليكم يوم القيامة والعياذ بالله تعالى, وأنتم تعلمون أن السؤال يوم القيامة عن العمل لا العلم, نحن لا نستهين بالعلم معاذ الله تعالى, ولكن نحن نخشى أن نلقى الله تعالى بعلم دون عمل, نرجو الله تعالى أن يوفقنا للعمل بجاه حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

﴿404﴾ كلنا يعلم أن الاستغفار يمحو الذنوب, ويكون سبباً في قبول توبة العبد عند الله تعالى _ هذا في دائرة العلم _ علينا أن ننقل هذا إلى دائرة العمل, وأن تكون توبتنا صادقة, لأننا إذا اقتصرنا على الاستغفار باللسان ونحن نرجع إلى

المخالفات فهذا استغفار يحتاج إلى استغفار. علينا أن نتوب إلى الله تعالى بصدق ومن علامة صدق التوبة أن لا نرجع إلى الذنب ثانية.

﴿405﴾ عليك ألا تتدخل بين الله وخلقه, فاترك أمر الخلق لله تعالى, ولكن لا تترك الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر, واصبر على ما أصابك, لأنك مأمور بهذا بنص القرآن الكريم والسنة السنية, وعليك أن تكثر من الدعاء لخلق الله تعالى بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, واعلم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. نسأل الله تعالى أن يثبتنا بقوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه على ما يشاء قدير.

﴿406﴾ لا يجوز تحريف اسم الجلالة أثناء ذكر الله تعالى, ويجب أن يوافق ذكرَ اللسان ذكرُ القلب, واسم الجلالة مكتوب بخط نوراني على قلب المؤمن, ولكن بسبب الغفلة والمعاصي لا يظهر, فإذا زال الحجاب عن القلب يرى الذاكر اسم الجلالة ﴿ الله ﴾ مكتوباً على قلبه. عليكم أن تكثروا من ذكر الله تعالى حتى تصلوا إلى الله تعالى, ولكن هذا الوصول لا يكون بالذكر فقط, بل لا بد من أداء الفرائض والواجبات وترك المخالفات بالكلية, ثم المحافظة على السنن.

لا تتركوا ذكر الله تعالى ما استطعتم, لأنه بكثرة الذكر لله تعالى تفهموا شيئاً من أسرار القرآن الكريم, وتسهل عليكم الطاعة لله تعالى, وتأخذوا بالأخلاق الحسنة. ولا تقولوا: أما عندكم غير الذكر؟ فإن الأمر بكثرة الذكر ليس مني بل من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم, اقرؤوا القرآن الكريم والسنة الشريفة حتى تعلموا هذا ووالله ما استفدت من شيء بعد أداء الفرائض والواجبات مثل ما استفدت من ذكر الله تعالى.

داوموا على الذكر لله تعالى حتى يقال لكم قول الله تعالى: ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (سورة الفجر الآية / 27–30).

وداوموا على الذكر حتى تطمئن قلوبكم, لقول الله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد الآية/ 28).

داوموا على الذكر باللسان حتى يخرج القلب من غفلته وتنصرف عنه الوساوس.

﴿407﴾ اختاروا من الشعر ما كان موافقاً للشريعة, ولا تقولوا ما لا يفهم, وفرقوا بين كلام القوم والأدعياء, وإرضاء الناس غاية لا تدرك, عليكم بقول الحق والأخذ به, يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ﴿ الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ﴾.

فاختاروا من الشعر أحسنه وما كان موافقاً وقريباً من أفهام الناس, وما لا يفهم لا تقولوه, نحن مكلفون بالاتباع لا بالابتداع. وطالما نحن نحب الله تعالى وجب علينا أن نتبع رسوله صلى الله عليه وسلم, فسبيل محبة الله تعالى لخلقه الاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم لا القصائد التي لا تفهم. نحن لا ننكر على القوم رضي الله عنهم معاذ الله تعالى, ولكن نفرق بين القوم والأدعياء, نحن نقرأ مثلاً: أقوال الإمام الغزالي والإمام الرباني والشيخ عبد القادر الجيلاني وأمثالهم فإنا لا نجد في أقوالهم ما خالف الشريعة. فإن وجدنا بعض الأشعار التي فيها ما فيها ننظر إن كان قول قائلها وهو في حالة الغيبوبة نرجو الله تعالى أن يكون له عذر, وإلا فهو مراءٍ كذاب, ولا نقلده في قوله ونفوض أمره إلى الله تعالى.

﴿408﴾ ما كل طبع قابل, ولا كل قابل طالب, ولا كل طالب صابر, ولا كل صابر واجد.

﴿409﴾ السابقون إما محبون وإما محبوبون, فالمحبون هم الذين جاهدوا في الله حق جهاده, وأنابوا إليه حق إنابته فهداهم سبله. أما المحبوبون فهم أهل العناية الأزلية الذين اجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم, ولكنهم مع هذه العناية والاجتباء ما تركوا المجاهدة لأنفسهم في الله تعالى. والصنفان من أهل الله تعالى. نفعنا الله بهم آمين.

﴿410﴾ اطلبوا الحظوظ الروحية وذلك بالاتباع والتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا تطلبوا الحظوظ النفسية لأن النفس أمارة بالسوء, فلا تتبعوا هواها لأن في اتباع هواها حياتها, وبترك هواها موتها.

﴿411﴾ الخلاص من النفس بإخراجها من البين ــ أي بين العبد وربه ــ عندها يزول الحجاب وإذا زال الحجاب عندها يحصل الترقي والعروج في ظل معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهذا لا يعني أن صاحب هذا المقام يترك الأخذ بالأسباب بل يأخذ بالأسباب لأنها من أمور الشريعة, إن لزوجك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً, ولأولادك عليك حقاً, فهو يحافظ على الحقوق لأنها من دين الله عز وجل.

﴿412﴾ الأحوال لا تكون ضابطة لسلوك المريد, لأن دوام الحال من المحال, ولكن الضابط لسلوك المريد الكتاب والسنة فالاعتماد عليهما لا على الأحوال, والإنسان باتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون ظاهره بشراً وباطنه ملكاً, ولا يستطيع المريد أن يتخلص من حظوظ نفسه إلا بذلك, أي بالاستقامة الشرعية وصفاء الباطن. والحظوظ النفسية هي السم لعبودية المؤمن, فكما أن الملح يفسد العسل, كذلك الحظوظ النفسية إذا تعلق بها العبد أفسدت عليه عبوديته لله عز وجل.

﴿413﴾ من طبيعة الإنسان المؤمن أنه حريص على محبة الله تعالى له, ومحبة الناس كذلك, وحرصه على محبة الناس له من جملة حظوظه التي لا تنقطع عنه إلا إذا علق قلبه بالله تعالى, وصدق في محبته, ومن أصبح هذا حاله أحبه الله تعالى وأحبه كل من يحب الله تعالى, لأن الله عز وجل يجعل له القبول في قلوب عباده الصالحين.

﴿414﴾ من النعم العظيمة أن تعرف بأن الله تعالى إله يستحق العبادة, بل هي عين النعمة التي يستحق الشكر عليها, ومن وقف على هذه الحقيقة لا يتصور منه عدم الشكر, فهو يشكر الله تعالى بلسانه, ويشكر الله تعالى بجوارحه فلا يعصيه, ويشكر الله بقلبه الذي علم أن الله تعلى هو مصدر النعم كلها كما قال الله تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (سورة النحل /53).

﴿415﴾ إذا لم يقف الإنسان على حقيقة عجزه, فإنه يظن أنه كامل مكمل, وأنه تجاوز المقامات كلها, وهذا هو الإنسان المغرور والعياذ بالله تعالى, أما إذا وقف على عجزه فإنه يشاهد كل صفاته قائمة بالله تعالى, فهو يرى قوته وعلمه وإرادته وقدرته بالله تعالى, عندها يستحي أن يرفع رأسه على أحد من خلق الله تعالى.

﴿416﴾ من أراد الاستقامة المرْضية عليه أن يتمسك بالكتاب والسنة, وهذا هو التمسك بالشريعة المحمدية, وهو الطريق الذي وجه الله تعالى إليه عباده. وإذا أراد العبد بعد الاستقامة أن يكون من الواصلين, عليه بكثرة الذكر لله تعالى, وهو على أنواع, منه ذكر اللسان, ومنه ذكر القلب, ومنه ذكر القلب مع اللسان,

﴿417﴾ التمسك بالصدق في الأقوال والأفعال والأحوال ثمرته تظهر في رضا الله تعالى عن هذا الصادق, كما قال تعالى: ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة المائدة/ 115). ونحن أمرنا الله تعالى أن نكون مع هؤلاء الصادقين حتى نكتسب منهم صفة الصدق, فكل من اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم, واعتصم بالله تعالى, ولم يأكل الدنيا بالدين فهو صادق. اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿418﴾ من حصلت عنده صفة الصدق والاستقامة, بتمسكه بالكتاب والسنة ورميه الأخلاق الذميمة عليه بالترقي, وهذا لا يكون إلا بكثرة ذكر الاسم المفرد ﴿ الله ﴾, عليه أن يكثر من ذكر الاسم المبارك حتى يسقط من لسانه إلى قلبه فإذا وقع الاسم في قلبه عندها يكون سبباً للوصول إلى المسمى, ويكون ترقيه أكثر, ويشعر بمعية الله عز وجل. ومن دخل في هذا المقام عليه أن لا يترك الأخذ بالأسباب, لأن من ينسى الأسباب فإنه قد ينسى الحقوق والواجبات المترتبة عليه تجاه نفسه وزوجته وأولاده والمؤمنين, و هذه الأمور من جملة حقوق الشريعة, قال تعالى في حق ذي القرنين: ﴿ وآتيناه من كل شيء سبباً ۞ فأتبع سبباً ﴾ (سورة الكهف/85) فالأسباب مخلوقة لله تعالى, والأخذ بها غير الاعتماد عليها, فصاحب المعية مع

الله تعالى يأخذ بالأسباب في ظاهره, ويعتمد على الله تعالى في باطنه, فجوارحه تعمل وتنفعل مع الأسباب, وقلبه يتوكل على الله تعالى. ومن ترك الأخذ بالأسباب فإن الله تعالى لا يرضى عنه, لأن الأسباب مخلوقة لله تعالى. فعليه أن يأخذ بها ويعلم أنها مخلوقة وفانية, فلا يعتمد ولا يتوكل عليها, ولكنه يتوكل على الحي الذي لا يموت. وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دليل على ذلك, فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره الرفيع, ومعيته مع الله تعالى لم يترك الأخذ بالأسباب, فهو يخرج من شدة الجوع وكذلك الصديق وعمر رضي الله عنهما أخذا بالأسباب, ولكن القلوب متوكلة على الله تعالى, ويوم الهجرة خير دليل على ذلك.

﴿419﴾ الغيبة القلبية أشد من غيبة اللسان, وتركها أصعب لأن الأولى تعلقها بالقلب, والثانية تعلقها باللسان فترك الغيبة باللسان أسهل من ترك الغيبة بالقلب, لأن اللسان إذا شغلته بنوع من أنواع العبادات من ذكر وتلاوة وتسبيح أو أمر بمعروف ونهي عن المنكر, فإنه لا يقع في معصية الغيبة, أما الغيبة القلبية, فإنها تلازم العبد حتى في عباداته هو يصلي هو يذكر هو يقرأ وقلبه مشتغل بالغيبة والعياذ بالله تعالى. فمن كان حريصاً على سلامة قلبه فليفوض أمر الخلق إلى الله تعالى, وإذا رأى منهم مخالفة ينصحهم, وينكر المنكر, ثم يشتغل هو بعيوب نفسه, لأن اشتغال العبد بعيوب نفسه خير له من اشتغاله بعيوب الآخرين.

﴿420﴾ إذا حدثتك نفسك ببغض أحد المؤمنين, فقل لها: بغضي لك أحق من بغضي لهم, لأني على يقين من عيوبك, أما عيوبهم قد تكون ظناً سيئاً مني, ولو فرضنا أني وقفت على عيوبهم بيقين فلعلهم تابوا إلى الله تعالى وأصلحوا فيما بينهم وبين الله عز وجل, من الذي يحول بين العبد وربه؟ اشتغل أيها المؤمن بعيوبك لأنها تعنيك, واترك ما لا يعنيك, وحافظ على صلواتك في أوقاتها مع الخشوع, وأكثر من ذكر الله تعالى, وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر, ودع الخلق لخالقهم, وسل الله السلامة لنا ولك ولهم جميعاً.

﴿421﴾ العبادة والعبودية والعبودة هذه ألفاظ مشتركة, وكلها بمعنى واحد, ولكن تتغير الألفاظ على حسب درجات المؤمنين في عبادتهم, فلفظ العبادة يطلق للعوام, ولفظ العبودية يطلق للخواص, ولفظ العبودة يطلق لخواص الخواص, وخواص الخواص هم الذين فنوا عن حظوظهم كلها ولم يكن عندهم تعلق إلا بالمعبود, هؤلاء عبدوا الله تعالى لأنه إله يستحق العبادة. فدرجات المؤمنين ليست واحدة, فهناك أولو الألباب, وهناك الأبرار, وهناك المقربون, أولو الألباب يسألون الله أن يتوفاهم مع الأبرار, وحسنات الأبرار سيئات المقربين وذلك لشدة خوفهم من الله تعالى.

﴿422﴾ عدم الخوف وعدم المبالاة بالخلق يدل على رسوخ الإيمان في قلب المؤمن, وعلى سلامة عقيدته, وعلى حضوره روحياً وقلبياً وشهودياً مع الله تعالى.

﴿423﴾ محك الرجال التجربة, ووالله إني أخاف على طلاب العلم أكثر من خوفي على العوام, والذي يغلب إيمانه على نفسه فإنه لا يغتر باجتماع الناس حوله, والذي يريد أن يحبه الناس فعليه بمحبة الله عز وجل, لأن من أحب الله تعالى يحبه كل من أحب الله تعالى. فكن أيها المؤمن مع الله تعالى فالذين يجبون الله هم معك.

﴿424﴾ السير والسلوك لا يكون إلا بمقاماته الثلاثة, وهي الشريعة والطريقة والحقيقة, أو تقول: الإسلام والإيمان والإحسان, ولا يعزل واحد عن الآخر, فمن عزل واحداً عن الآخر هلك. ومن لم يطبق الشريعة على نفسه نحن لسنا مسؤولين عنه, قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (سورة البقرة/272). وقال: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (سورة آل عمران/128). لذلك نحن نخرج أنفسنا من بين العباد وربهم, ولا نملك إلا ما كلفنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وأمر العباد لله تعالى, ولكن نحزن على من خالف

الشريعة. ونحن لا نعتقد أن كل من فهم العلم طبقه على نفسه, لأن المقرر عندنا أن هناك من فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والعلوم الشرعية, ومع كل هذا فإنه يخالف الشريعة بسلوكه وأخلاقه, فهؤلاء أمرهم إلى الله تعالى. من خالف الشريعة في سلوكه مع وجود العلم فإنه خالف بسبب اتباعه للنفس الأمارة بالسوء. والنفوس واحدة فمن رجح نفسه على نفس فرعون مع وجود المخالفة والإصرار عليها والعياذ بالله تعالى فهذا نفسه نفس فرعونية. ونحن لو رأينا الرجل يطير في الهواء وهو مخالف للشريعة والعياذ بالله تعالى, لو كان بوسعنا أن نقص جناحه لفعلنا حتى نوقعه على الأرض, لأن الخوارق مع وجود المخالفات استدراج لهذا العبد والعياذ بالله تعالى من ذلك.

﴿425﴾ بعد أن طرد الله الشيطان من رحمته, قال الشيطان: ﴿ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ (سور الأعراف/14–15) عندها قال الشيطان لربنا عز وجل: ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (سورة الإسراء/62), فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (سورة الحجر/42) فسئل شيخنا حفظه الله تعالى عندها: ما هو وصف هؤلاء العباد؟ فأجاب حفظه الله تعالى: وصف هؤلاء العباد كما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنَاً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً .... ﴾ (سورة الفرقان/63). وجاء وصفهم في آية ثانية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة المؤمنون/57–58–59), والمقصود بالشرك هنا الشرك الخفي, لأنه وصفهم بالإيمان في الصفة السابقة كما جاء في وصفهم في آية ثالثة بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (سورة المؤمنون/60) وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ... ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ (سورة الرعد/19 ....23), فمن اتصف بهذه الأوصاف فهم محفوظون بإذن الله من الشيطان وليس له سبيل عليهم, وإضافة إلى ذلك فإن نفع هؤلاء يتعدى إلى آبائهم وأزواجهم وذرياتهم بشرط الإيمان, لأن الصلاح في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ المقصود من الإيمان. وهذا من كرم أكرم الأكرمين, نرجو الله أن يكرمنا بذلك, ومن أثبت لنفسه أنه من أولي الألباب أو من عباد الرحمن فهو مغرور.

﴿426﴾ الاختلاف بين علماء الظاهر وأهل التصوف موجود قديما, وعلماء الظاهر يقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: يعملون بما علموا من الكتاب والسنة ولم يدخلوا في طريق القوم.

القسم الثاني: يعلمون ولا يعملون بما علموا, واتخذوا العلم وسيلة للنقد, ولا شك أن القسم الأول أفضل من هؤلاء عند الله تعالى. وأهل التصوف على قسمين كذلك:

القسم الأول: تمسكوا بالكتاب والسنة, وتحلوا بالأخلاق الذميمة.

القسم الثاني: تمسكوا بالأحوال والأذواق مع ضعف تمسكهم بالكتاب والسنة, فهؤلاء هباء. أما القسم الأول من أهل التصوف هم أفضل الأقسام الأربعة, وهؤلاء يترقون في ظل معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم. سئل فضيلة شيخنا حفظه الله تعالى عند هذا الموضوع: بعض أهل العلم الظاهر إذا علموا وعملوا بالكتاب والسنة وتحلوا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يحتاجون إلى دخول طريق القوم؟. أجاب حفظه الله تعالى بقوله: نعم, بل هو فرض عين كما قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى, لأنهم أحيانا تشكل عليهم بعض الأمور, وقد ينحرفون عن طريق الاستقامة. والله تعالى يقول: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة/119). فهم يحتاجون إلى مرب ومرشد حتى لا يكون سيرهم بأنفسهم, بل بتوجيه

مرشد كامل حتى يخرجوا أنفسهم من البين, لأن الذي يسير بنفسه لا يستطيع أن يخرج نفسه من البين, وأما الذي يسير بتوجيه مرشد يسهل عليه إخراج نفسه من البين بإذن الله تعالى.

﴿427﴾ القاعدة الأساسية للبشر هي الشريعة الغراء, وهي قواعد أبدية أزلية, وهذه الشريعة كانت للصحابة الكرام رضي الله عنهم وللتابعين, وهي لنا كذلك, وإن كان التكليف لنا جميعاً إلا أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ارتفعت درجتهم بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وارتفعت درجة التابعين بالصحابة رضي الله عن الجميع. ويجب علينا نحن أن نتحلى بأوصاف عباد الرحمن بقدر الإمكان.

﴿428﴾ لو رجعت إلى أصلك لوجدت أصلك عدماً, فمن نقلك من العدم إلى الوجود؟ ومن أوجد لك كل ما يتعلق بك من حوائج؟ الذي أوجدك وأوجد حوائجك هو الله تعالى, كلنا في الحقيقة مفلسون, فنحن وما يتعلق بنا لله سبحانه وتعالى, ومن وقف على هذه الحقيقة يخرج نفسه من البين ويحصل عنده الإخلاص بإذن الله تعالى.

﴿429﴾ الله تعالى قال: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾ (سورة آل عمران/103) ولم يقل واعتصموا بأنفسكم, فالمعتصم بالله منخلع عن نفسه خارج عنها, وورَّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم معتصمون بالله تعالى.

﴿430﴾ اتركوا حب الدنيا والحرص عليها حتى ترتاح قلوبكم, وتمسكوا بالكتاب والسنة حتى تكونوا من المتقين, وأكثروا من ذكر الله تعالى حتى تكونوا مع الأبرار وأهل الفضل.

﴿431﴾ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الوحيد الذي أنعم الله تعالى عليه فجعله رحمة للعالمين, ووجه جميعَ العالمين إليه صلى الله عليه وسلم حتى يتبعوه, فهو الكامل المكمل للآخرين, فمن كمله رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح كاملاً بنفسه ولا يكمل الآخرين بل يستفاد منه بمقدار الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فلو كان شيخك قطباً وما تمسكت بالكتاب والسنة لا تستفيد منه. ومن اعتقد بنفسه أنه كامل ويكمل غيره فهو مغرور, ومثله مثل الشمعة تحرق نفسها ليستفيد الآخرون. علينا بالالتزام ونشكر الله تعالى ثم نشكر السبب.

﴿432﴾ نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نفوس ربانية نورانية ملكية, وهي كاملة ومعصومة, وعصمتها بالله تعالى لا بأنفسهم. وهذا لا يعني أنه لا يصدر منهم خلاف الأولى, فقد يصدر منهم خلاف الأولى, وعندها يقال لهم كما قيل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (سورة التوبة /43).

ولحكمة إلهية مقدمة على العصمة حصل مع سيدنا آدم عليه السلام ما حصل عندها أكل من الشجرة ناسياً كما قال تعالى: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (سورة طه/115). وذلك عندما دخل عليه الشيطان من طريق نفسه, فقال له: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ (سورة طه/120), والنفس تحب هذا فمن هذا الباب دخل عليه. وهذا لا يعني أن نفس سيدنا آدم عليه السلام ليست كاملة حاشا, ولكن كما قلنا لحكمة إلهية مقدمة على العصمة كما قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (سورة البقرة/30).

وهنا يجب أن نفرق بين هذه النفس الطاهرة وبين النفس الممزوجة بالأنانية, كنفس الشيطان الذي رد أمر الله تعالى بسبب نفسه الخبيثة, وقال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (سورة الأعراف/12). هذه النفس الأنانية الممزوجة بالكبر والغرور هي السبب في طرد الشيطان ونمروذ وفرعون من رحمة الله تعالى.

﴿433﴾ النفس الأمارة بالسوء لا تخرج عن طبيعتها إلا بخروج الروح من الجسد, وهي أشد من سبعين شيطاناً, وما يقولون عن النفس بأنها تصبح لوامة أو مطمئنة, الحقيقة هي ذات الإنسان لا النفس الأمارة الموجودة فيه, فهي أمارة دائماً ولكن هو بمجاهدته لنفسه وبتقوية جنود القلب على جنود النفس هو الذي يلومها إذا أمرته بسوء ويقوى عليها ولا تقوى عليه وذلك بسر

إيمانه وبركته, فالنفس الأمارة لا تموت مثلها مثل الحية في الشتاء تكون تحت التراب وفي جحرها فإذا جاء الصيف خرجت لتعود إلى أذيتها, وكذلك المؤمن مع نفسه إذا بقي ساجناً نفسه تحت مراقبة الله ومجاهداً لها فإنه يقوى عليها أما إذا غفل عن مجاهدتها لدغته بسمها والعياذ بالله,لذلك أقول: مجاهدة المؤمن لنفسه لا تنتهي إلا عندما يوضع في قبره. وهذه الأمور لا تعرف إلا بصحبة القوم وبدخول الطريقة, لأن الذي لم يعرف نفسه لم يعرف ربه.

قال الإمام المجدد سعيد النُّورْسي بديع الزمان رحمه الله تعالى في كتابه الشعاعات /ص389/: لقد رأيت يوماً من وليٍ عظيمٍ تَرَكَ الأنانية وانمحت نفسه الأمارة, رأيت منه أنه يشكو بشدة من نفسه الأمارة, فحرت في الأمر. ثم عرفت يقيناً أنه لأجل إدامة المجاهدة المثابة عليها إلى نهاية العمر تتحول أعتدة النفس الأمارة بموتها إلى العروق والمشاعر. وهكذا يشكو أولئك الأولياء العظام من هذا العدو الثاني الوارث للنفس الأمارة. تأملوا جيداً وراقبوا أنفسكم لئلا تخدعكم نفوسكم الأمارة بالسوء من زاوية قياس الآخرين بالنفس, ومن حيث سوء الظن بالآخرين.

﴿434﴾ إذا غلبت الطبيعة الملكية على الطبيعة البشرية في المؤمن, فإنه يكون غالباً على نفسه فيلومها إذا أمرته بمخالفة ويضرب على رأسها بسيف الشريعة وتكون أسيرة بين يديه, عندها يصبح ظاهره بشراً وباطنه ملكاً, أما إذا غلبت الطبيعة البشرية فيه على الطبيعة الملكية عندها تتغلب عليه نفسه الأمارة ويكون أسيراً عندها, ويكون ظاهره بشراً وباطنه شيطاناً والعياذ بالله تعالى, فجميع النفوس واحدة _ أمارة _ ولكن أصحابها يختلفون باختلاف مجاهدتهم لهذه النفس الأمارة.

﴿435﴾ إن الذي عنده حرص على الآخرة فالله تعالى يعطيه لا محالة, وكذلك الذي عنده حرص على الدنيا أكثر من حرصه على الآخرة الله تعالى يعطيه, يقول تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً ۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ۞ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ (سورة الإسراء/ 18–20). فالحريص على آخرته أكثر من دنياه لابد له من السعي إليها مع وجود الإيمان, وهذا السعي لا يكون إلا من خلال اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿436﴾ من قال: إن باطني يوافق ظاهري في كل لحظة فهذا لا يكون صادقاً في قوله إلا إذا كان مستغرقاً في عظمة الله تعالى, ولم يبق له وجود, وأصبح فانياً بالله تعالى. ومع ذلك فإن صاحب هذا المقام يحافظ على التكاليف الشرعية والواجبات المتعلقة به, ويجريها على جوارحه الظاهرة والباطنة.

﴿437﴾ من أوصل إليك ضُراً وأذى فانظر إن كنت متسبباً في ذلك فهذا الضرر والأذى لائق بك وتستحقه, وإن لم تكن متسبباً في ذلك وكان ظلماً منه لك, ففوض أمره إلى الله تعالى, لأن الذي يحصل للمؤمن في الحقيقة رفع لدرجاته إذا كان من الصابرين والراضين بقضاء الله تعالى وقدره, وهذا الذي يصل للمؤمن ليس لذاته بل لعزته, فكما أن اللحم لا يؤكل نيئاً كذلك المؤمن لا يصلح إلا بعد تعرضه للمصائب وصبره عليها. قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة/214). فمن أساء إليك ظلماً وتعدياً, عليك أن تصبر وتجاهد نفسك وتكظم غيظك لتكون من المتقين, الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران/134). فصفة الغضب الموجودة فيك كمال وليست نقصاً, بل من لم يوجد عنده صفة الغضب فهو ناقص, ولكن صفة الغضب يجب أن تستخدمها في الدفاع عن دينك وشريعتك وعرضك, فليكن غضبك لله لا لنفسك.

﴿438﴾ الناس في تواضعهم على قسمين:

القسم الأول: تواضعه في ظاهره فقط, إذا قبل أحد يده فهو يحاول أن يقبل رجله, ويتظاهر أن متواضع, ولكن إذا خاطبه جاهل فإنه يثور ولا يظهر منه خلق كريم, هذا القسم متكبر, وكبرهم في تواضعهم, فتواضعهم نفاق ورياء.

القسم الثاني: تواضعه في ظاهره وباطنه, وعلامته ما ذكر الله تعالى في وصف عباد الرحمن, قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنَاً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ (سورة الفرقان/63).

هذه صفتهم في ذاتهم أنهم يمشون على الأرض هوناً, وصفتهم في تعاملهم مع الناس أنهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

أما عن معاملتهم مع الله تعالى, قال الله فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾ (سورة الفرقان/64). هم مع وجود تلك الصفات فيهم لا يغترون بعبادتهم, بل يخافون من عدم قبولها عند الله عز وجل, ولذلك يخافون من النار فيقولون: ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ۞ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ (سورة الفرقان/75). لذلك وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (سورة المؤمنون/60). نرجو الله تعالى أن يجعلنا من هذا القسم.

﴿439﴾ وجود العقل مهم, ولكن العقل على قسمين:

القسم الأول: عقل مشرب بحب الأنانية, ويخرج عن طور الشريعة في أكثر أحواله, هذا عقل ظلماني لا يعتمد عليه.

القسم الثاني: عقل صاف منور بنور القلب, فهو يتكلم من خلال إشراقات نور القلب, صاحب هذا العقل لا يخرج عن طور الشريعة في سائر أحواله, ولا يتكلم بالأنانية, فمثل هذا العقل يعتمد عليه.

﴿440﴾ من أخلاقه العظيمة صلى الله عليه وسلم حلمه على المنافقين مع علمه صلى الله عليه وسلم بهم, فهو صلى الله عليه وسلم بفضل الله وبنور النبوة عرف المنافقين و{اسهم عبد الله بن أبي بن سلول, وكتب أسماءهم عند سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه, فهو صلى الله عليه وسلم علم قطعاً أن هؤلاء منافقون يبطنون خلاف ما يظهرون, حرصاً منهم على دمائهم وأموالهم, ومع ذلك عاملهم على حسب ما يظهرون, وهذا من أخلاقه العالية التي وصفها تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة القلم/4). فحق على المؤمن أن يتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأن يتخذه أسوة له كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب /21). علينا أن نتخلق بهذه الأخلاق, وأن ننصح المخالف, فإن قبل فبها ونعمت, وإن لم يقبل نفوض أمره إلى الله تعالى بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وليس لنا أن ندخل بين العبد وربه. هذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهذا من جملة أخلاقه صلى الله عليه وسلم.

﴿441﴾ السر هو لب القلب وهو طاهر موهوب من الله تعالى, وصاحبه يجب أن يجاهد نفسه طويلاً, وأن يكون صادقاً مع الله تعالى, ومع المشايخ, ومع الأحباب, ومع المؤمنين وحتى مع الكافرين, لأنه بدون المجاهدة يطمس السر.

فإذا حافظ المؤمن على هذا السر بالمجاهدة فإنه يبقى سره منزهاً عما سوى الله تعالى, ويكون صاحبه من المتوكلين على الله تعالى, مع الأخذ بالأسباب الظاهرة والأخذ بها لا يناقض التوكل على الله تعالى. هذا أولاً.

وثانياً: صاحب السر الطاهر لا يكون عمله بدافع الخوف من النار ولا الطمع بالجنة بل بدافع العبودية لله عز وجل, وصاحب هذا السر الطاهر يريد الجنة لأنه دار الرضا ويخاف النار لأنها محل الغضب والعياذ بالله, لكن دافعه للعمل ليس هذا ولا ذاك إنما هو العبودية.

ثالثاً: صاحب هذا السر الطاهر إذا عرض عليه أمر فيه فتوى, فهو بسره يميز صحتها من خطئها, فإذا اطمأن سره إليها أخذها وإلا تركها فالاعتبار بالسر.

ولا يحكم على السر أنه طاهر إلا إذا مات صاحبه على الإيمان, لأن العبد قد ينحرف عن الاستقامة قبل موته ويموت على غير الإيمان والعياذ بالله تعالى, وذلك بسبب اتباعه النفس الأمارة بالسوء, فالمعول عليه الاستقامة الشرعية حتى الموت, كما قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة/132).

﴿442﴾ الفيوضات التي تصل إلى المريد من شيخه هي في الحقيقة ليست منه, وإنما هي من رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولكن الشيخ واسطة بين المريد ورسول الله صلى الله عليه وسلم, فكلما كان التعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر كلما كانت الاستفادة أكثر, ومهمة خادم الطرقة توزيع تلك الفيوضات من رسول الله صلى الله عليه وسلم على المريد كلٍ حسب صدقه.

﴿443﴾ الخروج من الطبيعة البشرية الظلمانية أصعب من خروج الروح من الجسد, فمن أراد الخروج منها فعليه بصحبة المرشدين والعمل بتوجيهاتهم حتى يحصل له المراد, وألا يظن أن الخروج منها يكون عن طريق قراءة الكتب.

﴿444﴾ الموت قطع لأعمارنا في حياتنا الدنيا وهو مصيبة, فإذا جاء الموت وربنا عز وجل كان عنا راضياً فنعمت هذه المصيبة, وإلا فبئست المصيبة. وكبار الأولياء رضي الله عنهم يخافون من سوء الخاتمة لأنها مجهولة عندهم, وهي بيد الله عز وجل, نسأل الله حسن الخاتمة.

﴿445﴾ المعاصي سم قاتل يضر بالإيمان, ومن عرف هذا فإنه يبتعد عن المعاصي كما يبتعد عن الطعام المسموم. فترك المعاصي بالكلية فرض عين على كل مؤمن, وعليه أن ينسلخ منها كما تنسلخ الحية من جلدها, والمؤمن ليس بمعصوم ولكنه إذا وقع في المعصية حال الغفلة فإنه يتوب إلى الله تعالى, ولا يصر عليها, والله يقبل التوبة عن عباده.

﴿446﴾ من سمات الطريقة الشاذلية العطف على الفقراء, والاهتمام بأمور المؤمنين أكثر من الأمور الشخصية التي تتعلق بذات السالك. هذا لمن فهم الطريقة الشاذلية وتمسك بالكتاب والسنة.

﴿447﴾ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات/10). وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً ﴾ (سورة فاطر/6). بعد هذا لا يليق بالمؤمن أن يتخذ الأخ عدواً, والعدو أخاً. الأخوة هي أخوة الإيمان لا أخوة العرق والنسب, فيوم القيامة يميز الله بين السعداء والأشقياء على أساس التقوى لا على أساس العرق والنسب, لذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات/13). لم يقل عرباً أو عجماً.

﴿448﴾ الوصول إلى الله تعالى بالقلوب لا بالقوالب, لكن هذه القلوب سُلط عليها الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لحكمة يريدها الله سبحانه, ولو أراد الله تعالى أن يحفظ القلوب من شر الشيطان والنفس بدون مجاهدة من العبد لحفظها ولكن الله يختبر عباده بما شاء.

فالواجب على العبد المؤمن أن يحافظ على قلبه أكثر من قالبه, لأن قالبه وهيكله تكفل الله برزقه ودبر له جميع ما يتعلق به. والقلب هو المعول عليه, والمؤمن الصادق هو الذي يحافظ على قلبه حتى لا يلتفت يميناً ولا شمالاً, لأن التفاته عن الله تعالى والإصرار على ذلك يسقطه من عناية الله عز وجل, ويقع به فيما يخالف قصده ومراده, وعندها يكون سعيه عبثاً. فاعبد الله بالله لا بنفسك لتحصل لك المعونة منه, ويصل قلبك في ظل معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله, والله على كل شيء قدير, وأنت شيء من الكل والله قادر على حفظك إذا صحت منك النية.

﴿449﴾ إذا أدى الإنسان عبادته بجوارحه فقط, وكان القلب خالياً من معرفة الله تعالى ومن الإخلاص ومن الركون إلى الله تعالى _ والعياذ بالله تعالى من ذلك _ فإن هذه العبادات تسقط عنه, ولكن لا يكون لقلبه حصة منها.

﴿450﴾ القلب في الجسد بمثابة الكعبة في الأرض, والنفس والشيطان يحومان حوله ليحرفاه عن الاستقامة, والقلب خلق لمعرفة الله تعالى وهو لا يرضى إلا بمولاه, فالواجب على المؤمن أن يقوي جنود القلب على جنود النفس حتى يسلم من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء, وهذا لا يكون إلا بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, ورمي الأخلاق الذميمة, والتحلي بالأخلاق الحميدة.

﴿451﴾ مرتبة المقربين فوق مرتبة الأبرار, ودرجات لمقربين كثيرة. والمقربون لا يطلبون شيئاً إلا العبودية لأن تلذذهم بالعبودية فوق تلذذهم بالشهود. وإذا طلبوا الجنة فإنهم يطلبونها لأنها محل رضا الله تعالى, وإذا استعاذوا من النار استعاذوا منها لأنها محل سخط الله تعالى. وميزانهم في كل أحوالهم الظاهرة والباطنة شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهم يأخذون من الدنيا بمقدار الحاجة, ويتمسكون بربهم بمقدار الاستطاعة والاستعداد.

﴿452﴾ مجاهدة العبد لنفسه على ثلاث صور:

الأولى: مجاهدته لنفسه بحملها على طاعة الله تعالى, وقطعها عن اللذات والشهوات الدنية, لقوله تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (سورة العنكبوت/69).

الثانية: مجاهدته لنفسه بقطعها عن الطمع بما في أيدي الناس, لقوله تعالى: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ (سورة طه/ 131).

الثالثة: مجاهدته لنفسه بالشفقة على عباد الله تعالى, لقوله صلى الله عليه وسلم: [الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله] (رواه الطبراني). وهذا صعب على النفس الأمارة بالسوء. ولو استعمل المؤمنون استعدادهم تجاه النفس والشيطان بالمخالفة والمجاهدة, وتركوا تعلقهم بالخلق وطلب رضاهم لصاروا في علّيين.

﴿453﴾ أقبح القبائح الكفر,والعياذ بالله تعالى, وأفضل الخيرات الإيمان, وبالشكر يزيد الإيمان, وبالتوبة يمحى الكفر. وإذا كانت التوبة تمحو الكفر فمن باب أولى أنها تمحو ذنوب المؤمنين.والتوبة هي العلاج لأمراض القلوب والأرواح, فمن كان حريصاً على سلامة روحه وقلبه فعليه بالتوبة والاستغفار. أكثر الناس غافلون عن هذا, يربون أجسادهم الفانية ويعالجونها, ويتركون قلوبهم وأرواحهم ملوثة بالذنوب, حتى تخرج أرواحهم إلى الله تعالى وهي ملطخة بالذنوب.

وإذا أردت أن ترفع هدية لسلطان كيف ترفعها له؟ فلترفع روحك إلى الله تعالى أيها المؤمن كما دَخلت إلى جسك طاهرة نقية.

﴿454﴾ السالك في سيره وسلوكه إلى الله تعالى ينتقل من الأفعال إلى الصفات, والصفات متعددة فهو ينتقل بينها, ومن الصفات إلى الذات, والصفات قائمة بالذات, التي ليست مركبة من أجزاء, لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (سورة الإخلاص /1). وعند هذا يحل التحير, وتكلّ الألسن, وتبقى الروح مع الشعور بالوصول بدون تشبيه ولا تمثيل, لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى/11).

﴿455﴾ من وقف على حقيقة عجزه فإنه يرجع إلى أصله, وأصله العدم, وكل شيء مع الله عدم, من عرف هذا عرف أنه موجود بالله تعالى لا بنفسه عندها يعرف ربه تبارك وتعالى. والكمال في الإنسان إنما هو من الله تعالى فإذا عرف العبد أن هذا من الله تعالى وشكره على ذلك, زاده الله تعالى, وأما إذا اغتر بذلك ونسي ربه والعياذ بالله فإن الله تعالى يجرده من صفات الكمال ويخرجه منها كما تخرج الشعرة من العجين.

﴿456﴾ كلما أكثر المؤمن من ذكر ربه تعالى وكان مخلصاً في ذكره أطلعه الله تعالى على الأمور الغيبية, والذاكر يفهم هذه الأسرار والمعاني ولا يتعلق بها, ومن كان هذا وصفه فإن الله يزيده, ولكن إذا تعلق بها واغتر فإنه يحجب بها والعياذ بالله تعالى.

﴿457﴾ الدنيا سجن المؤمن إذا لم يدخل جنة العارفين, والقبر سجن له إذا لم يلتق بأرواح المؤمنين من أحباب الله تعالى.

﴿458﴾ موعظة الواعظين وتصنيفات المصنفين لجوهرين:

لجوهر العلم ولجوهر العبادة, فمن لم يتعلم أولم يعمل بما علم ماذا ينتفع من الموعظة والمصنفات؟.

﴿459﴾ الخشية هي الخوف والخجل من الله تعالى على ما مضى من العمر والعبد في معصية الله تعالى, فالخشية من الله تعالى يجب أن تلازم المؤمن حتى ينزه قلب عما سوى الله تعالى, وشرط الخشية المعرفة, وشرط المعرفة العلم, وشرط العلم العمل. ومن ثبت عنده العلم بوحدانية الله تعالى وربوبيته ثبت عنده العمل الموافق لهذا العلم, وبذلك تحصل الخشية, أما من علم ولم يعمل فهذا قدح في علمه. لذلك كلما ارتفعت درجة العبد زادت معرفته وخشيته وزاد مع ذلك خوفه ووجله, كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (سورة المؤمنون/60). وسبب هذا الوجل هو أن القبول غائب عن الإنسان كلياً, وعبادته غير لائقة بربه تبارك وتعالى.

﴿460﴾ يقولون الاستقامة صعبة, وأنا أقول: والله الاستقامة ليست صعبة لقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (سورة البقرة/185) ولقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (سورة البقرة/286). ولكن الاستقامة لها جهتان:

الجهة الأولى: الاستقامة بالله تعالى فهي سهلة, لقوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ ﴾ (سورة النحل/ 127) ومعنى الاستقامة بالله أن يعتمد المؤمن في استقامته على الله تعالى لا على نفسه.

الجهة الثانية: الاستقامة بالنفس بمعنى أنه يعتمد في استقامته على نفسه, فهذه الاستقامة صعبة وفيها مشقة. لذلك ترى هذا القسم يجر نفسه إلى الشريعة جراً.

فإذا استشعر العبد بثقل العبادة على النفس ليوجه قلبه إلى ربه حتى ينشرح ويفرح بتلك المناجاة الإلهية, فإذا شعر بالأذواق التي تحصل من العبادات وطاعة الرب تزول عندها المشقة, وإذا لم يشعر بالأذواق يكفيه علمه بأن الله يراه ويعلم عبادته, وهذا يزيل عنه مشقة العبادة.

﴿461﴾ الواردات والكرامات وخرق العوائد قد تكون استدراجاً للعبد والعياذ بالله تعالى, فالعبد الحقيقي هو الذي لا يخدع بشيء من ذلك, وحتى إنه لا يخدع باستقامته لأن الاستقامة مظنونة, فكيف يعتمد على المظنون؟.

فإذا شعر العبد بالعجب والغرور بسبب الواردات والكرامات فليعلم أنه مستدرج, ألم يقل ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ۞ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (سورة الجن/16)؟ فيجب على المؤمن ألا يتجاوز حده, وأن يكون خائفاً من الله تعالى, أن يرى عيوب نفسه أكثر من حسناتها حتى يكون من أهل الاستقامة.

﴿462﴾ خوفي من الله تعالى لسببين:

الأول: أخاف من الله تعالى أن أكون مكتوباً عنده في أم الكتاب _ الذي لا يمحى منه شيء _ من الأشقياء والعياذ بالله تعالى.

الثاني: أخاف من الله تعالى أن يعاملني بالعدل. فنرجو الله تعالى أن يعاملنا بفضله لا بعدله, وبالإحسان لا بالميزان. والعبد يجب في حقه أن يتقلب بين الخوف والرجاء.

﴿463﴾ بعضهم ينتسب إلى الطريق بدون اعتقاد, هذا لا ينتفع من انتسابه للطريق, لأن الاعتقاد مهم. والبعض الآخر يعتقد بالطريق ولا ينتسب إليه ولكنه يعمل, هذا أفضل من القسم الأول, ولكن الأحسن له أن ينتسب إلى الطريق لأنه من حيث السبب أضن للاستقامة بإذن الله تعالى.

﴿464﴾ محو السيئات لا يكون إلا بالتوبة والاستغفار وعدم الإصرار, أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾

(سورة هود/114) بمعنى إذا غلبت الحسنات السيئات ورجحت كفة الحسنات على السيئات ينجو العبد يوم القيامة بإذن الله تعالى, قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (سورة القارعة/6–11).

﴿465﴾ الروح عندما دخلت في جسد الإنسان _ وهي من أمر الله تعالى _ كانت خفيفة, فإذا غلَّب العبد الطبيعة البشرية أتعب روحه وأجهدها بذاك الثقل, وأما إذا غلَّب الطبيعة الملكية فيه أراح روحه من ذاك الثقل, ولا تخفف الطبيعة البشرية إلا بكثرة الذكر لله تعالى. فالثقل على الروح باعتبار الأوصاف البشرية قلة وكثرة.

والطبيعة البشرية منها ما هو مذموم ومنها ما هو محمود, أما المذموم منها فهو الحقد والحسد والشهرة والمقام وغير ذلك من الأوصاف الناقصة. وأما المحمود منها فهو ما كان في دائرة المباحات الشرعية, مثل الأكل والشرب والنكاح والتجارة. فمن تعلق بالصفات المذمومة من الطبيعة البشرية أتعب روحه وأصبح كالحيوان, ظاهره بشر وباطنه حيوان. ومن أخذ من الصفات المحمودة. بمقدار الحاجة وتمسك بالكتاب والسنة مع كثرة الذكر لله تعالى بالحضور التام الدائم, ترقى في ظل معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ظاهره بشراً وظاهره ملكاً, وكانت الطاعة سهلة عليه, ولا يوجد فيها مشقة بل تكون نوراً على نور.

فمن لم يجاهد نفسه ويتخلص من الصفات البشرية المذمومة لا يمكن له أن يكون على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وربما سأل الرجعة عند سكرات الموت, كما قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة المؤمنون/99–100).

﴿466﴾ لا بد للإنسان أن يشتغل بما يتعلق به لا بما يتعلق بالآخرين, ولكن لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, لأنه لا بد منه لكل مؤمن, وبما أن طبقات الناس وأرواحهم ونفوسهم وعقولهم مختلفة, فمنهم من يقبل النصيحة ومنهم من لا يقبل, فعلى الناصح أن لا ينزعج من عدم القبول, لأن هذا ليس من حقه, فإذا انزعج كان هذا انتصاراً لنفسه. فوظيفته أن يعظهم بالموعظة الحسنة, والقبول أمره إلى الله تعالى, لأن مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التبليغ والتذكير والتبشير والإنذار, وليس عليه صلى الله عليه وسلم خلق الهداية, قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة القصص/56), فخلق الهداية من الله, والدلالة من الإنسان ويجب أن يقول لله ويبلغ لله وينصح لله, ويفوض أمر الخلق لله تعالى, ويترك نفسه الأمارة حتى لا يقع في شراكها, ويتخلق بأخلاق رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم.

﴿467﴾ خالق الداعي هو الله تعالى, والمحرك له هو الله تعالى, فإذا تحرك الداعي في الإنسان فإنه يمر على النفس الأمارة فيحس صاحبها برضا النفس أو مخالفتها –كمن يأكل الثوم فيشم ريحه– فإذا مر الداعي على النفس تدخلت الإرادة التي هي محل التكليف وعليها يثاب العبد أو يعاقب, فإذا خالف العبد نفسه الأمارة صار موافقاً لله تعالى, وإذا وافقها صار مخالفاً لله تعالى. وطوبى لمن أخذ بقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت/69).

﴿468﴾ من أراد ألا تسيطر عليه الخطرات والغفلة عن الله تعالى, عليه بكثرة الذكر لله تعالى بعد التمسك بالكتاب والسنة, إما بذكر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) حتى ينطبع لفظ الجلالة على قلبه, وإما بذكر الاسم المفرد ﴿الله﴾ وهذا خاص بأهل الخلوة. لأن قلة الذكر من أوصاف المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (سورة النساء/142), والذكر مع الغفلة لا يترك لأن زمام القلب بيد الله تعالى, فرب ذكر مع غفلة ينقلك إلى ذكر مع حضور. والخواطر لا تزول ما دامت الروح في الجسد, والشيطان لا يترك الإنسان أبداً, فإذا انسدت المنافذ أمامه بكثرة الذكر ولم يبق له سبيل يدخل على الإنسان من خلال لطائفه, فإنه يأتيه مشاهدةً, والمؤمن يعرف أنه اللعين فيكون على حذر منه.

﴿469﴾ يجب على المؤمن أن لا يسرع في تكفير الآخرين, لأن الإيمان يقين والكفر شك, واليقين لا يزول بالشك, كونوا على حذر من تكفير أحد ولو نسبوكم إلى الكفر, نحن لا نقابل من عصى الله فينا بأفضل من أن نطيع الله فيه. وحسابنا جميعاً على الله تعالى, يقول تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (سورة الغاشية/25-26). عفا الله عنا وعنهم.

﴿470﴾ اقرؤوا القرآن الكريم بتدبر وطبقوه على أنفسكم, لأنه لا يوجد في الدنيا _ وأظن _ ولا في الآخرة, بعد النظر إلى وجه الله تعالى شيئاً أحلى من كلام الله عز وجل. ولكن حتى تكون قراءتكم بالتدبر عليكم بكثرة الذكر لله تعالى مع الحضور التام الدائم, لأن الذكر مفتاح القلوب المقفلة. اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك.

﴿471﴾ كيف يغتر الإنسان بما أعطاه الله تعالى من نعم؟ النعمة يجب أن لا تحجب المؤمن عن الله تعالى, فإذا حجبته كانت نقمة, وكل نعمة اختبار وابتلاء من الله تعالى للمؤمن, هل يشكر أم يكفر؟ قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ۞ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (سورة الجن/16). ومن استقام على الشرع في ظاهره وباطنه قد يفتح عليه وتكثر عليه الإلهامات والواردات والتجليات, فإذا اشتغل بها وتعلق بها ولم يغتر زاده الله تعالى من فضله.

﴿471﴾ كل مفسر لكتاب الله تعالى يفسر الآيات بقدر فهمه من القرآن, فمنهم من يدقق على النحو والبلاغة والبيان, ومنهم من يدقق في علوم المعاني, ومنهم من يدقق في علوم الأحكام, ومنهم من يدعم عصبيته وهواه من الآيات الكريمة, مثلاً في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ (سورة الحديد/3). فعندما يتكلم عن ﴿ الْبَاطِنُ ﴾ يركز على عدم رؤية الله عز وجل حتى في الآخرة, وينسى قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (سورة القيامة/23). حيث إن المؤمن يرى الله عز وجل يوم القيامة, وطبعاً بغير هذه الحواس. وينسى هذا المفسر قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّا إِنَّهُم عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (سورة المطففين/15) حيث إن الكافر لا يرى الله تعالى يوم القيامة. من الواجب على المفسر أن لا يتعصب لأهوائه وأن يأخذ كتاب الله عز وجل لهدايته حتى يتخلص من أهوائه. والبعض الآخر من المفسرين يعطون الآية حقها مثل الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى وهو من المتكلمين. فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف/205). يقول رحمه الله تعالى:

سمعت أن بعض الأكابر من أصحاب القلوب كان إذا أراد أن يأمر واحداً من المريدين بالخلوة والذكر, أمره بالخلوة والتصفية أربعين يوماً, ثم عند استكمال هذه المدة وحصول التصفية التامة, يقرأ عليه الأسماء التسعة والتسعين,فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قويَ تأثُره وعظم شوقه, فاعرف أن الله إنما يفتح أبواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه. ا هـ . هذا هو شأن المنصفين من المفسرين لا يحرفون الحقيقة ليدعموا مذاهبهم وعصبياتهم.

﴿473﴾ الذي شرف ليلة القدر هو الله تعالى, فلتكن في معيته دائماً, لأن معية الله تعالى أشرف وأفضل من ليلة القدر, ومن كان في معية من شرف ليلة القدر فكل أوقاته كلَيلة القدر, ولكن من تعلق بنفسه فهو غافل عن ربه عز وجل, وغافل عن هذه الحقيقة. وحجاب النفس لا يزول عن القلب بالكلية, لأن النفس الأمارة بالسوء لا تخرج عن طبيعتها ولكن بالمجاهدة تضعف, فبمقدار تعلق القلب بالله تعالى يحصل الحضور وإلا فصاحب القلب شارد عن الله تعالى. عليكم بالاستقامة الشرعية وخاصة بقلوبكم حتى تدفعوا مشقة المجاهدة.

﴿474﴾ الخوف بمقدار الطبيعة البشرية لا حرج فيه, ولكن يجب عدم الوقوف معه, وما هي فائدة الخوف إذا كان الأمر مقدراً قبل خلقك؟ والله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ (سورة الأنعام/112) فليكن القلب متعلقاً بالله تعالى وحده لأنه مسبب الأسباب, ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ (سورة البروج/20).

﴿475﴾ بعض أهل الطريق انتسبوا إلى الطريق ولم يعتقدوا, وبعض المؤمنين يصدّق ويعتقد في الطريق وأهله, فالقسم الأول يجب عليهم أن يصححوا اعتقادهم حتى يكون انتسابهم للطريق حجة لهم لا عليهم, والقسم الثاني يجب عليهم أن يلتحقوا في الطريق ويدخلوا فيه حتى ينتفعوا بإذن الله من صدقهم واعتقادهم في الطريق.

﴿476﴾ العارفون بالله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يعيّرون ولا يعنفون بل يفوضون أمر الخلق وأمر نفوسهم إلى الله تعالى, فهم لا يجادلون لأن الجدل ليس من باب الدعوة إلى الله تعالى, بل المقصود منه إظهار النفس الفرعونية والأنا النمروذية والعياذ بالله تعالى. وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل, ثم تلا: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (سورة الزخرف/58)]

(أخرجه الترمذي).

﴿477﴾ آه ليس ذكراً لله تعالى بل هي تأوه وتأسف, أما كلمة ﴿ هو ﴾ فهي من كلمات الذكر لله تعالى, والذكر لله تعالى على ثلاثة أحوال:

الأول: ذكر بالقلب دون اللسان, وهو ذكر الطريقة النقشبندية.

الثاني: ذكر اللسان فقط وهو ذكر عوام المسلمين.

الثالث: ذكر بالقلب واللسان وهذا ما عليه القوم في الطريقة الشاذلية. وهذه الأحوال الثلاثة كلها موافقة للقرآن وللسنة ولأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم, ونحن نقلد من قبلنا بشرط التمسك بالكتاب والسنة, والنقد بعد ذلك لا يضرنا بإذن الله تعالى.

﴿478﴾ أهل التصوف مشتغلون بمجاهدة أنفسهم وبتوجيه الناس إلى ذلك, آخذين بقول الله تعالى: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ (سورة الأنعام /120) فمن توجه إلى تخليص باطنه من الآثام فهو من باب أولى يكون متوجهاً إلى ظاهره بتخليصه من الآثام, فأهل التصوف ليسوا خارجين عن الشريعة بل هم الذين يجرون الأحكام الشرعية على جوارحه الظاهرة والباطنة نرجو الله تعالى أن يرحمنا بهم وأن يجعلنا معهم ومنهم آمين.

﴿479﴾ قراءة الفاتحة لشيخ الطريقة الحي ليست من آداب الطريقة, اجعلوا عوضاً عنها الدعاء له, أما قراءة الفاتحة والقرآن الكريم فتكون بعد خروجه من الدنيا مع الدعاء له والاستغفار.

﴿480﴾ لا تجتمع محبة الله تعالى ومحبة النفس في قلب واحد, فقلب المؤمن الصادق لا يحب إلا الله تعالى, ويحب من أحب الله تعالى, وعلامة المحب لله تعالى إتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فحبة المؤمن للمتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ظاهره وباطنه لا تكون حجاباً, أما محبة العاصي والعياذ بالله تعالى والتعلق به فتكون حجاباً عن الله تعالى ولا تجتمع محبة اله تعالى ومحبة العاصي في قلب واحد. قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة المجادلة/22).

﴿481﴾ من كان بعيداً بشبحه عن شيخه وهو من أهل الصدق في محبة شيخه, فصدقه يولد عنده الحسرة على اللقاء, وبتلك الحسرة تنعكس عليه أنوار المحبة والاشتياق, ومن انعكست عليه أنوار المحبة والاشتياق سهل عليه الاتباع وزالت عنه مشقة المجاهدة.

﴿482﴾ الصفات التي رضيها الله تعالى لعباده ذكرها تبارك وتعالى في القرآن الكريم, وعلى رأس تلك الصفات الصدق, فمن ترقى وتقدم ترقى وتقدم بالصدق والاستقامةِ عليه, وليس له مطلب من ذلك إلا العبودية لله تعالى. والعبد المؤمن محتاج إلى واسطة وتوجيه, فالواسطة يصلح حال العبد فيما بينه وبين ربه وذلك من خلال توجيهه إلى نفسه, لأن الواسطة أخرج نفسه من البين.

﴿483﴾ عليكم بمحبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأدب معهم, وخاصة إذا كانوا موافقين لجدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, سواء أكانوا من أهل الطريق أم لا, و والله حبي لهم أكثر من حبي لأهلي وأولادي وإخواني, كيف لا يكون هذا وهم أهل بيته رضي الله عنهم جميعاً.

﴿484﴾ إذا بنيت عملك الصالح على صدق النية مع الإخلاص, تتنزل عليك الأنوار والتجليات الجمالية وتدخل في مقام الإحسان, ولكن إذا دخلت النفس الأمارة بالسوء على العمل الصالح أفسدته والعياذ بالله تعالى, فيتعب العبد في الأعمال الصالحة ولا أجر له عليها. فكونوا على حذر من النفس الأمارة التي لا تخرج عن طبيعتها حتى تخرج الروح من الجسد, وهي أشد من سبعين شيطاناً.

﴿485﴾ إذا فني العبد المؤمن الصادق عن مراده وطبق أمر الله تعالى في كل شؤونه, يكون صندوقاً للعالم الأقدس, وتتنزل عليه العلوم اللدنية, ويكون هذا العبد بالله تعالى لا بنفسه, وعند ذلك يستفاد منه. وأكثر الناس عندهم الاستعداد للترقي إلا, أنهم استخدموا استعدادهم للدنيا الفانية. نرجو الله تعالى أن ندخل في شفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿486﴾ لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ اسم وهو غير المسمى, ونحن مأمورون بذكر اسم ربنا جل جلاله فنقول: ﴿ الله ﴾. لأن الله تعالى له تسعة وتسعون اسماً كما ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: [إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً, مئة إلا واحداً, من أحصاها دخل الجنة] (أخرجه البخاري). وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (سورة الأعراف/180) فلو كان الاسم عين المسمى لكان المسمى تسعاً وتسعين, وهذا محال.

﴿487﴾ علم الله عز وجل دفعة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولا يتغير ولا يتبدل, وهو بعلمه محيط بالظاهر والباطن, ويعلم جميع أسرار المكلفين في آن واحد قبل وجودهم وأثناء وجودهم وبعد وجودهم, وما دام هذا العلم المحيط بجميع العالم يؤمن به العبد المؤمن كيف بعد ذلك يجترئ على معصية الله تعالى؟ كيف يجري على لسانه خلاف ما هو مستقر في قلبه؟ علينا أن ننقل الإيمان العقلي إلى إيمان شهودي وذلك بكثرة الذكر لله تعالى بعد التمس بالكتاب والسنة حتى نستحي من الله تعالى حق الحياء.

﴿488﴾ الإنسان لا يخرج من صفات الكمال التي أكرمه الله تعالى بها إلا بسبب نفسه الأمارة بالسوء, فإذا خرج من صفات الكمال وقع في صفات النفس الأمارة الناقصة, المؤدية إلى المخالفات الشرعية. فعلى المؤمن أن يدوس على نفسه الأمارة ولو ذهب ماله وجاهه وكله, لأنه كلما خالفها ترقى وكلما وافقها هوى. حياة النفوس في هواها وموتها في عدم اتباع هواها.

﴿489﴾ أخرجْ من الإيمان التقليدي الحاصل لك عن طريق السماع إلى الإيمان الشهودي, لتدخل في مقام الإحسان لتظهر لك الحقائق وتدخل في العبودية لله عز وجل التي ليس فوقها رتبة ولا مقام, وعندها تكون من الصديقين وهي رتبة ليس فوقها إلا رتبة النبوة.

﴿490﴾ الحق نور والباطل نار, لذلك ترى أهل الحق على بينة من أمرهم, وهم مطمئنون لما هم عليه من الحق, ولا يضرهم من خالفهم, فهم لا يتغيرون بتغير الأحوال ولا بتغير الأزمنة والأمكنة, وهم بذلك على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذي أمره تعالى أن يقول: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصَيِرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة يوسف/108). وأما أهل الباطل والعياذ بالله تعالى فعلى العكس من ذلك تماماً.

﴿491﴾ إذا مات الإنسان وكان من أهل الإيمان والعمل الصالح فإن روحه تتنعم وجسده, لأن روحه وجسده كانا متعاونين على طاعة الله عز وجل, فيكون قبره روضة من رياض الجنة, وخاصة عندما يلتقي بأرواح أولياء الله تعالى في عالم البرزخ, فالروح لها حظها في البرزخ والجسد له حظه في البرزخ من هذا النعيم. وأما إذا كان الإنسان من غير أهل الإيمان والعمل الصالح والعياذ بالله, فإن قبره يكون حفرة محفر النار للروح والجسم معاً. وإذا دفن أحد المؤمنين وهو مقبول عند الله عز وجل, وكان قبره بجانب قبر فاسق, فإن الله تعالى يتجلى على العبد المؤمن بالرحمة والأنوار الإلهية وهو في قبره, ويتجلى باسمه القهار والمنتقم على صاحب القبر الفاسق, ولا يشعر المؤمن التقي بعذاب الفاسق. نرجو الله تعالى أن يحشرنا مع المتقين.

﴿492﴾ ربَّ غني من الأغنياء هو أفقر من أفقر فقير,ورب فقير أغنى من غني بسبب القناعة. ورب فقير متكبر أكثر من غني وذلك لحماقته. لذلك لا بد من مراقبة النفس الأمارة وإخضاعها لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأن يحسن الصحبة مع الله تعالى الذي يقول: ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾ (سورة الحديد/4).

﴿493﴾ المؤمن المستقيم في ظاهره وباطنه يرى ربه ببصيرته بدون كيف ولا مثال, ولا يستطيع أن يقول شيئاً, وهذا هو الإيمان الشهودي. ورؤية من رأى ربه ببصيرته ينفع إذا حصل للرائي الاتباع والتمسك بالكتاب والسنة. لأن رؤية أهل الصلاح ماذا تنفع إذا لم يكن الاتباع, هناك من اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحصل منه الإيمان ومات على ذلك, ماذا انتفع؟ لقد أكبه الله في نار جهنم والعياذ بالله تعالى. اللهم اجعل صحبتنا لأسيادنا حجة لنا لا علينا, ووفقنا للاتباع يا أرحم الراحمين.

﴿494﴾ لا تنظر إلى من قال ولكن انظر إلى قوله, فإن كان موافقاً للشرع فخذ به, وإلا فرد عليه قوله مهما كان القائل. ولا بد للقائل أن يخرج نفسه الأمارة أثناء قوله حتى يكون قوله لله تعالى, ولا بد للسامع أن يخرج نفسه كذلك حتى يأخذ الحق من القائل. لذلك أقول لكم: لا تنظروا إليّ ولكن انظروا إلى قولي فإن كان موافقاً للكتاب والسنة فخذوه واعملوا به, وإلا فردوه عليّ.

﴿495﴾ الإنسان ليس بوسعه أن يخرج عن طبيعته البشرية مهما كان, فهو يأخذ من الدنيا لطبيعته البشرية بمقدار الحاجة, أما من حيث الأخلاق فإنه يستطيع أن يترقى حتى يكون في ظاهره بشراً وفي باطنه ملكاً. فلا بد للسالك المؤمن, الصادق في طريقه من الالتزام بالمعاملة الشرعية, وبالأخلاق النبوية, وبالإيمان الشهودي حتى يتحقق سيره إلى الله تعالى.

﴿496﴾ من كان تعلقه بالله تعالى كانت الغلبة له بالله تعالى, ولو ضُرب ولو حورب ولو اضطهد لأن العاقبة للمتقين, والله غالب على أمره, أما من كان تعلقه بالعدم وبالفاني فهو مغلوب ولو كان في ظاهره غالباً لأن عاقبة أمره إلى خسران.

﴿497﴾ الفيوضات الإلهية في كتاب الله عز وجل لا تتحملها الجبال, لكن تحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أوتي القوة. والقوة لا تنافي الرحمة. فلتكن عندكم قوة اليقين, ولتكن عندكم الرحمة والشفقة على عيال الله تعالى, وإياكم والقسوة التي مصدرها من النفس الأمارة والتي تحب الانتقام.

﴿498﴾ لا تخف من ملك الموت لأنه مأمور, ولكن خف من الآمر وهو الله تعالى, لأن الملائكة كما قال تعالى: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم/6). فهم يعملون بأمر الله, فإن كنت خائفاً فليكن خوفك من الله الآمر سبحانه وتعالى.

﴿499﴾ السالك في طريق القوم لا يجذبه مجذوب, إلا إذا كان عقله خفيفاً أو سيره ضعيفاً, فمن كان هذا وصفه فإنه يغتر برؤية المجاذيب حيث يرى لهم كرامات وخوارق عادات ولا يرى في شيخه غير الاستقامة الشرعية. الاستقامة الشرعية هي عين الكرامة, وخوارق العادة للمجاذيب معونة من الله تعالى لهم, حتى يتعطف عليهم الناس.

﴿500﴾ يجب على كل واحد أن يتفكر بالسلف الصالح رضي الله عنهم, أي شيء التزموا من الأخلاق؟ هل التزموا الأخلاق المرضية من صدق وإخلاص وتواضع ومحو الأنا وبذل كل ما أوتوا في سبيل الله؟ أم التزموا الأخلاق الذميمة من قد وحسد ورياء و أنانية ولو على حساب دينهم؟ لقد التزموا بالأخلاق المرضية,. فإن كنت تتشبه بهم بالصلاح فلا بد من أن تأخذ بالأخلاق التي التزموها, لماذا لا تعمل بعملهم وأنت بالظاهر منهم؟ ألا تخاف الله عز وجل؟ فلا بد من توبة صادقة, ولا بد من التضرع إلى الله تعالى حتى تتخلص من الأخلاق الذميمة, ولا بد من المجاهدة للنفس وكثرة السجود مع الخشوع لله تعالى.

﴿501﴾ انظر إلى شيخك بعين الرضا لا بعين الكمال, لأن الشيخ ليس بمعصوم, وإذا وقع في مخالفة فإنه لا يصر عليها بل يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله تعالى, أما من نظر إلى شيخه بعين الكمال, وكان هو طالب علم فإنه قد يتضرر إذا رأى منه مخالفة ولو لم يصر الشيخ عليها.

﴿502﴾ العارفون بالله تعالى يلاحظون النوايا الفاسدة في صدور أصحابها, لأنها على وجوه أصحابها وعلى ألسنتهم وجوارحهم, وهي لا تخفى عليهم, كما لا تخفى رائحة الثوم على صاحب الشم السليم. ولكنهم لا يعاملون الخلق إلا بميزان الشرع, ويصبرون عليهم إلى ما شاء الله تعالى, ويعرِّضون لهم تعريضاً, ويلوحون تلويحاً, ويتكلمون بالعموميات, فمن كان حريصاً على نفسه يتنبه, وكل هذا من باب: [ما بال أقوام] كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿503﴾ قد يختبر المرشد بعض إخوانه بكلمة أو بفعل ليشاهد حساسية نفسه فيه, فالصادق لا يتغير قلبه ويتهم نفسه لا شيخه. فلا بد من تحقيق النسب مع المرشد, والنسب هو الصحبة له مع التسليم لتصرفات ولايته ظاهراً وباطناً, بصدق النية وصفاء الطوية مستسلماً لأحكام تربيته.

﴿504﴾ الواجب على المؤمن أيام الفتن الصبر عن المعاصي والمنكرات والتمسك بالكتاب والسنة, حتى إذا ذهب إلى الآخرة أخذ أجرين, أجر الصبر عن المعصية, وأجر التمسك بالكتاب والسنة, لقد زينت المعاصي لأصحابها فأقبلوا عليها بكل طاقاتهم والعياذ بالله تعالى, وبقي القليل من المؤمنين في حالة الاجتناب لهذه المعاصي, والظالمون لا يكتفون بظلمهم لأنفسهم بل يريدون أن ينغمس الجميع في المعاصي, كما قال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء/27).

﴿505﴾ خادم الطريقة لا يلعب به, لأن الله تعالى يتولاه ويبين له الصادق من غير الصادق. والستر على عباد الله مطلوب, والمناصحة ليس لها علاقة بالمكاشفة.

﴿506﴾ فرعون ولد على الفطرة, ولكن دخلت عليه نفسه الأمارة ولم يستجب لسيدنا موسى عليه السلام الذي قال له كما أخبرنا تعالى: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ (سورة عبس/18-19), كبرت نفسه وتعالت حتى قال ما قال. ولما يئس منه سيدنا موسى عليه السلام دعا عليه, وكان قبل ذلك يدعوه إلى الله تعالى. وهذه النفس الأمارة

موجودة في الجميع عدا الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام, فمن استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أضعف نفسه, وإلا صارت نفسه فرعونية والعياذ بالله تعالى.

﴿507﴾ الذين يعملون هم القانتون, فمن عمل بما علم فهو العالم القانت, وإلا فهو ليس بعالم ولوعلم, بل علمه يكون حجة عليه, أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سورة فاطر/28) فهم العلماء القانتون.

﴿508﴾ أحياناً يترك المريد طريقه وينتقل إلى طريق آخر لأنه لم يفتح عليه, هذا المريد لا يكون ناكثاً في عهده, بل عليه أن يبحث عن الطريق الموصل بسند صحيح يحقق لنفسه الانتفاع منه بإذن الله تعالى. وأما الذي يترك طريقه ليبحث عن حظ من حظوظ نفسه, أو عن منصب ديني أو دنيوي في طريق آخر هذا يعتبر ناكثاً في عهده وناقضاً للعهد والعياذ بالله تعالى.

﴿509﴾ من تحقق بأن أصله عدم وأن وجوده بالله تعالى فإنه يستحي من الله تعالى إذا مدح, ويستحي من الله تعالى ألا يدفع بالحسنة السيئة, ويستحي من الله تعالى ألا يتخلق بالأخلاق المرضية, ويستحي من الله تعالى إذا ابتلي فلم يصبر, وأما الذي يحب أن يمدح ويحمد على إخلاصه وتقواه, ويقابل السيئة بالسيئة, ولا يرمي الأخلاق الذميمة, ويضجر من الابتلاء فإنه ما عرف أصله, لأنه توغل في الغفلة والعياذ بالله تعالى. نسأل الله العافية في الدين والدنيا.

﴿510﴾ الإسراف في المباحات قد يجر العبد إلى المحرمات, وكماليات الدنيا لا تقف عند حد, فطوبى لعبد أخذ من الدنيا بمقدار الحاجة, واشتغل بما وُجد من أجله. قال تعالى: ﴿ وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ (سورة القصص/77).

﴿511﴾ نحن في سفر منذ أوجدنا الله من العدم, وهذا السفر في الدنيا نهايته عند انتهاء أجلنا, ولكن ونحن في هذا السفر معنا عدو لدود, لا يأمرنا إلا بسوء, ويأمر كل واحد بالسوء على حسب حاله, هذا العدو هو النفس التي قال الله تعالى عنها: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (سورة يوسف/53) ولن تخرج النفس الأمارة عن طبيعتها, فلا بد من مراقبتها مهما بلغ الإنسان من المراتب والترقي, ولا بد من مجاهدتها والاحتراس منها, ولا يمكن قتلها, ولا يكون الانتهاء من شرها إلا بخروج الروح من الجسد. فأعطِ نفسك بمقدار الحاجة حتى لا تقوى عليك, لا تكثر لها الطعام والشراب والنوم والكلام, لأن الإكثار لها من هذا يقويها عليك. نسأل الله تعالى الحفظ والسلامة من شر أنفسنا.

﴿512﴾ البداية الصحيحة توصل إلى النهاية الصحيحة, فلا بد من الإخلاص في المجاهدة لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ (سورة العنكبوت/69). لأن العبد قد يجاهد نفسه ليقال عنه, هذا لا يصل إلى الوعد الذي وعد الله به عباده المخلصين بقوله: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت/69). فالبداية منك بالإخلاص والنهاية من الله تعالى بالهداية ولن يخلف الله وعده. واعلم أن مجيئك للدنيا مرة واحدة ولن ترجع إليها مرة ثانية أبداً, فلا تكن من النادمين عند خروجك منها. قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة المؤمنون/99-100).

﴿513﴾ يا من ينفق مما آتاه الله تعالى, اطلب أجرك من الله تعالى, ويا من يأخذ اعلم أنك تأخذ حقك فلا تذل نفسك. نريد للأول أن لا يضيع أجره, ونريد للآخر العز, لأن المعطي هو الله تعالى, وإذا أعطاك الله تعالى فلا مانع له. وشكر السبب غير الذل.

﴿514﴾ هو الأول فبدايتك منه, وهو الآخر فنهايتك إليه, وهو الظاهر يراك في ظاهرك, وهو الباطن يراك في باطنك فأنت في وسط عظمته, فمن تحقق بذلك فلا يُخاف عليه.

﴿ 515﴾ أعظم أمانة يجب أن يحافظ المريد عليها هي قلبه, لأنه حوضٌ ووعاءٌ يصب فيه الإيمان, فإذا فسد فسد كل شيء ورد عليه, فمن أراد أن يحافظ على قلبه فليحافظ على جوارحه. وكل خائن يعرف نفسه, والمعول عليه ما في القلوب كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (سورة الشعراء/88) اللهم احفظ لنا قلوبنا يا أرحم الراحمين.

﴿516﴾ إذا دخل العبد خلوة وفتح عليه في خلوته, هذا لا يدل إلا على صفاء قلبه, ولكن المعول عليه مجاهدة النفس الأمارة بالسوء التي لا تخرج عن طبيعتها إلا بخروج الروح من الجسد, فإذا فتح على العبد ونسي مراقبته انفسه فربما أن تصرعه وتوقعه في الغفلة عن الله تعالى, فلا بد من سجنها تحت مراقبة الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم إني أسألك أصدق الصدق وأخلص الإخلاص وأسألك الصدق في الإخلاص والإخلاص في الصدق والرضا والعبدية المرضية عنك آمين (من دعاء فضيلة شيخنا حفظه الله تعالى). و بعد: فهذه بعض الأسئلة التي أجاب عنها شيخنا حفظه الله تعالى:

السؤال 1 – سيدي ما هي ميزات الطريقة الشاذلية؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الطرقة الشاذلية امتازت بأمور عدة منها:

أولاً: هذه الطريقة جمعت بين العلم والعمل, وعلومها على قسمين:

آ – علم كسبي وهو المعهود عند أهل العلم.

ب – علم وهبي وهو العلم اللدنّي الذي يكون ثمرة التقوى والإخلاص والصدق. ومشايخ الطريقة النقشبندية رضي الله عنهم يقرون بهذا, ومن جملتهم الشيخ ضياء الدين كمشخانوي, حيث ذكر هذا في كتابه: (جوامع أصول طرق التصوف). ويقول الإمام القشيري رحمه الله في تفسيره: قلوبُ الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب, فيها أودع براهين حقه وبينات سره ودلائل توحيده وشواهد ربوبيته, فقانون الحقائق قلوبهم, وكل شيءٍ يُطلب من موطنه ومحله, فالدرُّ يطلب من الصدف لأن ذلك مسكنه, والشمس تطلب من البروج لأنها مطلعها, والشهد يطلب من النحل لأنه عِشُّه, كذلك المعرفة تطلب من قلوب خواصِّه لأن ذلك قانونُ معرفته (لطائف الإشارات ج 3/ 100).

ثانياً: أفراد هذه الطريقة يشتغلون بالذكر كثيراً, ومشايخهم يشدون عليهم ويحرضونهم على كثرة الذكر حتى يخرجوا من طبيعتهم البشرية, فيكون ظاهرهم بشراً وباطنهم ملكاً.

ثالثاً: الخلافة فيها ليست إرثية, بل شيخ الطريقة يفتش بين إخوانه عن وارث له, وتكون فيه الأهلية لخدمة المؤمنين.

رابعاً: الإذن للخليفة فيها يكون من الله ورسوله بالسند المتصل, ويكون مكتوباً حتى لا يدعي الخلافة كل واحد, ويعطى الإذن على أساس الاستقامة, فإذا انحرف المأذون عن الاستقامة فإن إذنه يسحب منه, وإذا لم يسحب شيخ الطريقة الإذن منه يكون خائناً, لأن الاستقامة شرط للشيخ وللمأذون. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ﴾(سورة الأنعام/153).

خامساً: دستور هذه الطريقة المباركة كتاب الله عز وجل, وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, من تمسك بهما اهتدى, وإلا فهو ضال منحرف.

سادساً: ليس لأفراد هذا الطريق فضلاً عن مشايخهم مطلب سوى رضا الله عز وجل, وهذا الرضا مقيد بالاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن طلبوا الجنة طلبوها من أجل المعية لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾ (سورة النساء/69), لأنها دار رضا الله تعالى, فهي مرغوبة عندهم من أجل هذا, لا من أجل حظوظهم, ويستعيذون من النار لأنها دار سخطه تبارك وتعالى و لا لدفع الإيلام عن أنفسهم.

ومن طلب المعية وجب عليه الطاعة, لأن المعية مقيدة بالطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة النساء/69). نسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته ولاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

سابعاً: الكرامة الكبرى عندهم الاستقامة على شريعة الله عز وجل, وهم لا ينكرون خوارق العادات, ولا الكشف ولا الكرامات, إلا أنهم يعتبرون هذا من الحظوظ النفسية.

ثامناً: أفراد هذا الطريق كلهم إخوة متناصحون, ولا يرضون بالمخالفات الشرعية, وكل واحد يعين أخاه على ترك الهوى, لأن علامة صدق المحبة في الله أن يعين الأخ أخاه على ترك الهوى.

تاسعاً: يحفظون حرمة مشايخهم أحياء وأمواتاً, ويحفظون حرمة المشايخ جميعاً, ولا يتركون أدبهم مع غير المتأدبين لأن هذا شأن المخلصين في أدبهم.

عاشراً: يمتاز أهل هذا الطريق بالتمكين, وهو تحمل التجليات الإلهية بأنواعها.

رضي الله تبارك وتعالى عنهم, وعن أولياء الله أجمعين ونرجو الله عز وجل أن يلحقنا بالكمل من أوليائه إنه على ما يشاء قدير. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السؤال 2– سيدي كيف تكون مجاهدة الخلق؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

مجاهدة الخلق تكون عن طريق العمل بمقتضى العلم بحقيقة الخلق. وحقيقتهم: أنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً لأنفسهم فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم, فهم على الحقيقة فقراء, وليس في أيديهم شيء, بل الأمور كلها بيد الله عز وجل, فهو تبارك وتعالى المعطي والمانع, والخافض والرافع, والمعز والمذل, وهو الذي يقول للشيء كن فيكون. فمن علم هذه الحقيقة فإنه لا يلتفت إلى الخلق بقلبه, ولو كان يعيش مع الأسباب, ولكن إبرة قلبه متجهة نحو ربه جل وعلا. ومع عمله بهذا المقتضى فإنه لا يترك الأمور التي ترقّى بها.

السؤال 3 – سيدي ما هي قواعد هذا الطريق المبارك؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

قواعد هذا الطريق المبارك خمسة:

أولاً: العمل بالكتاب الكريم, والسنة النبوية.

ثانياً: عدم التهاون بالعبادة, وأن تكون موافقة للشرع.

ثالثاً: الأخذ بالعزيمة من كل مذهب.

رابعاً: الابتعاد عن البدعة المكروهة والمحرمة.

خامساً: قبول أعذار الناس مع عدم الاسترسال معهم.

وهذا يجب أن يكون في كل طريقة, لأن حقيقة الطريقة هي فهم حقيقة العقيدة, والقيام بوظائف العبودية, ووظائف العبودية تجسدت حقيقة في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار أسوة للمؤمنين كافة, قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الأحزاب/21). فكيف يدعي أحدهم أنه موصول برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوته؟ هذا والله عجيب غريب.

السؤال 4 – سيدي كيف يستطيع المؤمن أن يصل إلى مقام الأنس بالله تبارك وتعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الواجب على المؤمن أن يذكر الله تعالى لله وبالله, وعليه قبل ذكر الله تعالى, أن يكون طاهراً ثوبه ومكانه, ويستغفر الله عز وجل, ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم, ويستأنس بالقعود ثم يوجه قلبه إلى الله تعالى بكليته حتى يحصل له قوة الإيمان بقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء/1), وبقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (سورة الحديد/4) فإذا ثبت هذا عنده من خلال قوله صلى الله عليه وسلم: [أن تعبد الله كأنك تراه] (رواه مسلم) بدأ يذكره مستغرقاً بالذكر ثم بالمذكور. فإذا هجمت عليه الوساوس يفتح عينيه ويستغفر الله تعالى, ثم يعود لذكره تبارك وتعالى, نرجو الله تعالى بحرمة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يرزقنا الحضور التام الدائم في كل عبادتنا.

السؤال 5 – سيدي: ما هي أصول الطريقة الشاذلية؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أصول الطريقة الشاذلية خمسة:

أولاً: تقوى الله في السر والعلانية, وتتحقق التقوى بالاستقامة والورع.

ثانياً: اتباع السنة المطهرة بالأقوال والأفعال, ويكون الاتباع بالتحفظ وحسن الخلق.

ثالثاً: الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار, ويكون بالصبر والتوكل.

رابعاً: الرضا عن الله في القليل والكثير, و يتحقق هذا بالتفويض والقناعة.

خامساً: الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء.

السؤال 6 – سيدي: هل العلم الوهبي له تعلق بالعلم الكسبي؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

العلم الوهبي له تعلق بالعلم الكسبي, بل هو أساسه, وسلم الوصول إلى العلم الوهبي التقوى لله عز وجل. ومن رزق العلم الوهبي فإنه ينتفع به بإذن الله تعالى وينفع.

السؤال 7 – سيدي هل محبة الله تعالى لعبده كسب أم وهب؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

محبة الله تعالى لعبده ليست وهباً فقط بل هي كسب كذلك, اقرأ أمر الله تعالى في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (سورة آل عمران/31). فمحبة الله تعالى لعبده هنا ليست وهباً بل جاءت كسباً بسبب متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك بالكتاب والسنة, ووعد الله تعالى في القرآن الكريم محقق, ولا يخلف الله الميعاد, وكل المدار على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا وفقت للاتباع كن على حذر من نفسك أن تخدعك فكل ما صدر منك من الفضائل فهي من الله تعالى قال تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ (سورة النحل/53).

السؤال 8 – سيدي هل يشترط لقراءة الأوراد الإذن من مرشد؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ (سورة الأحزاب/41) هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بكثرة الذكر وفيه نفع عظيم بإذن الله تعالى, لكن من قرأ الأوراد والأذكار بإذن من وارث من وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند المتصل فإن النفع يكون فيها أكثر إن شاء الله تعالى.

السؤال 9 – سيدي هل الهوى موجود في جميع الناس؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كل الناس مشتركون في هوى النفس, وهم على أصناف:

الصنف الأول: غلب دينُه عَقْلَه وهواه, فهو آخذ ما أمر الله تعالى به, متبع لرسوله صلى الله عليه وسلم دون التفات منه إلى عقله وهواه, لاعتقاده بأن عقله محدود وهواه متعلق بنفيه الأمارة بالسوء. هذا الصنف من الخلق تنورت عقولهم بنور الإيمان المستقر في قلوبهم, نسأل الله أن يجعلنا منهم.

الصنف الثاني: غلب عقلُه دينَه, فما وافق عقله من الدين أخذ به وإلا رده لعقله, ونسي هذا الصنف من الناس أن العقل محدود وقاصر فوقعوا في الضرر العظيم. لذلك ترى البعض أوقفهم عقلهم عن متابعة السير والسلوك خلف النبي صلى الله عليه وسلم. ونحن لا نرد العقل بل نقول العقل أساس لابد منه ولكن ينبغي ألا يتجاوز حده. فيجب عليه الأخذ بالشرع الشريف ولو لم يعقل العلة والغاية وإلا كان عقلاً ظلمانياً وحجاباً بين العبد وربه تبارك وتعالى.

الصنف الثالث: غلب عقلُه هواه فهو لا يسترسل مع هواه, لأنه عرف بعقله بأن اتباع الهوى نتيجته مظلمة, وعاقبته مفضوحة, ونهايته الحرمان, فاعتبر من الأمم السالفة الذين اتبعوا هواهم كيف خابوا وخسروا. لذلك ترى هذا الصنف يستنكف عن اتباع الهوى دون أن يفكر في دينه بل يفكر في عزته ومكانته, فعزته ومكانته تمنعانه من اتباع الهوى, وهذا الصنف أقرب لاتباع الدين من الذين غلب الهوى عقولهم ودينهم.

السؤال 10 – سيدي هل الذاكر لله تعالى يشعر بلة العبودية لله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا أخلص العبد نيته بذكر الله تعالى, وأخلص في سائر عمله, وكان عمله موافقاً للشرع الشريف, ومتبعاً للسنة السنية, ومقيداً بآداب أسيادنا رضي الله عنهم, فإن روح هذا العبد تشعر بلذة العبودية لله عز وجل, والتي لا يوازيها شيء في الحياة, وهذا مطلب كبار الأولياء رضي الله عنهم, وهذا أمر الله عز وجل لنا, أن نكون عباداً لله, ولا نطلب إلا العبودية.

والتلذذ بالعبودية متعلق بالروح, فإذا تذوقت الروح حلاوة المجالسة والذكر عندها لا يكون لها أي مطلب إلا العبودية. وهذه النعمة العظمى تأتي من الله تعالى, إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكل عابد يأخذ حصته من هذه النعمة بمقدار صدقه في العبودية. نسأل الله تعالى بحرمة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يكرمنا بالعبودية المرضية عنده. آمين.

السؤال 11 – سيدي ما هو الميزان الحقيقي الذي يزن فيه المريد صدق محبته لشيخه؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

ميزان محبتك لشيخك هو الشرع الشريف واتباع السنة السنية, لأن الشيخ الحقيقي هو الذي يوجهك إلى الله تعالى وإلى التمسك بالكتاب والسنة لا إلى نفسه, لذلك فالواجب على المريد أن يعرف شيخه أولاً فإذا عرفه أنه من ورَّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند المتصل, وجب عليه أن يصدق في محبته, وعلامة صدق محبته لشيخه تمسكه بالشرع الشريف, وإلا فلا.

السؤال 12 – سيدي ما هو علاج التردد؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا ترددت في أمر من الأمور إقداماً أو إحجاماً, استشر المؤمنين, لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة الشورى/38) وهي سنة النبي صلى الله عليه وسلم, وإذا استشرت فشاور صاحب الخبرة والعقل الجيد, واحذر من استشارة الحسود لأنه ليس أميناً.

السؤال 13 – سيدي ما هي أسباب القبض؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أسباب القبض ثلاثة:

الأول: الذنوب والمخالفات الشرعية, وعلاجه الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى.

الثاني: ذهاب الدنيا, وعلاجه الرجوع إلى الله تعالى, وتفويض الأمر إليه, لأنه المعطي والآخذ.

الثالث: الأذى من الناس والظلم وعلاجه الصبر, والرجوع إلى الإيمان بالقضاء والقدر.

السؤال 14 – سيدي أحياناً نقرأ كلام الشيخ أكثر من قراءة القرآن الكريم فما رأيكم؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

سبحان الله, وأي كلام أفضل من كلام الله تعالى؟ اقرأ القرآن الكريم أولاً, ثم اقرأ كلام الشيخ لأن فيه مفاهيم فهمها من كلام الله تعالى, لا توجد في كتب التفاسير. وكلام الشيوخ مستمد من الكتاب والسنة.

السؤال 15 – سيدي كيف ينتقل المؤمن من صفات النفس الأمارة إلى صفات النفس اللوامة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

النفس الأمارة بالسوء لا تخرج عن طبيعتها إلا بخروج الروح من الجسد, وهي أشد من سبعين شيطاناً, وما يقولون عن النفس بأنها تصبح لوامة أو مطمئنة, الحقيقة أنها ذات الإنسان لا النفس الأمارة الموجودة فيه, فهي أمارة دائماً ولكن هو بمجاهدته لنفسه وبتقوية جنود القلب على جنود النفس هو الذي يلومها إذا أمرته بسوء ويقوى عليها ولا تقوى عليه وذلك بسر إيمانه وبركته, فالنفس الأمارة لا تموت مثلها مثل الحية في الشتاء تكون تحت التراب وفي جحرها فإذا جاء الصيف خرجت لتعود إلى أذيتها, وكذلك المؤمن مع نفسه إذا بقي ساجناً نفسه تحت مراقبة الله ومجاهداً لها فإنه يقوى عليها أما إذا غفل عن مجاهدتها لدغته بسمها والعياذ بالله. لذلك أقول: مجاهدة المؤمن لنفسه لا تنتهي إلا عندما يوضع في قبره. وهذه الأمور لا تعرف إلا بصحبة القوم وبدخول الطريقة, لأن الذي لم يعرف نفسه لم يعرف ربه.

السؤال 16 – سيدي كيف يستطيع المؤمن أن يتخلص من صفاته الناقصة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لا يستطيع الإنسان أن يتخلص من صفاته الناقصة إلا إذا استولى على نفسه وأخذ بقلبها, وقلب النفس هواها, فإذا أخذ بقلبها وقطعه بالكلية فإنها تموت, ومع ذلك عليه أن لا يغفل عنها على الدوام, وإذا ماتت نفسه حيي, وحياة النفس بموت صاحبها. وموتها في قتل هواها. فعلى المؤمن أن يدوس هوى نفسه ولو ذهب منه كل ما يملك, فكلما خالفها ترقى والعكس بالعكس.

السؤال 17 – سيدي كيف يتخلص المؤمن من الهوى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لا يمكن للإنسان أن يتخلص من الهوى إلا بالإيمان واتباع النبي صلى الله عليه وسلم, وأن يخرج من الإيمان التقليدي الحاصل بعلم اليقين إلى الإيمان الشهودي. فمن دخل دائرة الإيمان الشهودي فإنه يسهل عليه أن يترك مراده لمراد ربه عز وجل, وأن يترك هواه لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم, فمن ترك هواه كمل إيمانه بإذن الله عز وجل.

السؤال 18 – سيدي هل يمكن أن يصل المريد إلى مرتبة لا يعصي الله فيها أبداً؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لا يصل أحد إلى درجة العصمة أبداً, لأن العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام, ولا يمكن لأحد أن يصل إلى رتبتهم. ولكن بمقدار حفظ العبد لحدود الله عز وجل يحفظه الله تعالى. وهذا يكون محفوظاً وليس معصوماً, فإذا وقع في ذنب فإنه لا يصر عليه بل يتوب ويستغفر, وحسنات الأبرار سيئات المقربين. نسأل الله أن يلحقنا بهم آمين.

السؤال 19 – سيدي ما هو أقصر طريق في دعوة الناس إلى الطريق؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أقصر طريق في دعوة الناس إلى الله تعالى هو القرآن الكريم والسنة السنية, لأن عامة المؤمنين لا يخالفون أمر الله تعالى, ولا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم, لأنهم على الفطرة, فإذا بلِّغت بلِّغ بالقرآن الكريم و السنة السنية, لأنه لا يمكن لأحد من المؤمنين أن يردهما, هل يمكن لأحد أن يرد قول الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة الشورى/38) ؟ هل يمكن لأحد أن يرد وله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (سورة الأعراف/33)؟ واللهِ من أراد اللهُ به خيراً يأتي به إلى طريق موصول برسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند المتصل. والاسم لا يهم. نعوذ بالله من شرور أنفسنا وحظوظها. والحاصل: كل دعوة إذا لم توافق الشريعة والسنة فهي باطلة والدعوة إلى الاتباع هي عين التصوف الحقيقي, ونحن ندعو إلى هذا لأنا على يقين بأننا سوف نسأل يوم القيامة عن الشريعة.

السؤال 20 – سيدي أحياناً أسمع القرآن الكريم وكأني لأول مرة أسمعه, فما هو السبيل لفهم معاني القرآن الكريم؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لابد أولاً من قراءة بعض التفاسير المعتمدة عند العلماء, ثم التمسك بالتقوى وكثرة الذكر لله تعالى, فبهما يحصل لك صفاء القلب وتخرج محبة الدنيا من قلبك, والحظوظ النفسانية, عندها تفهم معاني القرآن الكريم وتتلذذ بسماعك لكلام الله تعالى, وكأنك تسمع القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جبرائيل عليه السلام وبعضهم يسمع حتى من الأحجار والأشجار بواسطة تجليات الرحمن, وهذا نوع من مكاشفة معاني القرآن الكريم بسر صفاء القلب, نسأل الله تعالى أن يجلو الصدأ عن قلوبنا بكثرة ذكره تعالى.

السؤل 21 – سيدي ما هي أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى:

أولاً: التمسك بالأحكام الشرعية, لأنها عمدة ديننا. نعرض أعمالنا وأقوالنا على الشرع إذا وجدنا الموافقة على الفعل فعلنا وإذا وجدنا النهي تركنا مرادنا لمراد الله تعالى.

ثانياً: عدم الإسراف في المباحات فنأخذ منها بالأمر لا بالطبع, ومن أخذ بالأمر يكون متبعاً, ومن الاتباع عدم الإسراف, قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة الأعراف/31).

ثالثاً: كثرة الذكر لله تعالى حتى نشعر بأن الدم الذي يجري في عروقنا يذكر الله تعالى. فمن كان مأذوناً بذكر لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ فليكثر من ذكره, وإلا فليكثر من ذكر لا إله إلا الله فهي أفضل كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم, والنبيون من قبله, والذكر ثقيل على النفوس الأمارة بالسوء فلا بد من مجاهدتها, لأنه أنفع شيء للقلوب.

السؤال 22 – سيدي نحن نعلم أن التصوف كله أخلاق, ولكن تأتينا ساعة يشتد فيها غضبنا فما هو العلاج؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لا بد من الغضب حتى يستطيع الإنسان أن يحمي عرضه ودمه وماله, ولكن بشرط أن لا يتجاوز الحد, فإذا تجاوز الحد الشرعي أوقعك في الحرام, فإذا كان عقلك منوراً وهواك محكوماً لعقلك فإنك لا تتجاوز الحد في ساعة الغضب إن شاء الله, ولكن إذا كان العقل مظلماً والهوى حاكماً فإنك تتعدى حدود الله تعالى وتكون ظالماً بعدما كنت مظلوماً فلا بد من التفريق بين الحالتين.

السؤال 23 – سيدي ما هو سبب الحسد؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

سبب الحسد ضعف الإيمان بالله تعالى, لأن الإيمان لو كان قوياً لرضي صاحبه بما قسم الله له, ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله تعالى, لأن الله تعالى إذا خصص لعبده شيئاً, فإن هذا التخصيص إما لمكانته, وإما استدراجاً له, فإن كان لمكانته عند الله فحسد الحاسدين لا يزيل تلك النعمة عن المحسود بل يزيدها الله تعالى. وإن كان استدراجاً له فالتخصيص كان وبالاً عليه فعلى أي شيء يحسد؟.

فالمؤمن يرضى بما قسم الله له, لأن رفع عبد لا يدل على انخفاض الآخرين, والعطاء والمنع ليسا دليلاً على كرامة العبد عند الله تعالى, الكرامة هي الاستقامة على شرع الله تعالى.

السؤال 24 – سيدي يقولون الموصول بالموصول موصول, فما هي علامة الموصول؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الموصول هو الذي طرح نفسه من البين, وأخرج من قلبه حب الهوى, وكانت أخلاقه أخلاقاً محمدية, وسيره وسلوكه مقبولاً عند أهل الله تعالى من وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم, فمن كانت هذه صفاته فهو موصول, والاتصال به ينفع إن شاء الله تعالى.

السؤال 25 – سيدي دخلت في الطريق منذ فترة, ومرّ عليّ زمن قصرّت فيه بقراءة الأوراد فهل أحتاج إلى تجديد البيعة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

من عاهد وقصر في قراءة الأوراد بسبب الاشتغال في الدنيا لا يجب عليه أن يجدد العهد, بل عليه أن يتوب ويرجع ويستغفر الله تعالى, لأنه رجح الربح الدنيوي على الأخروي, والعاقل من رجح ما يبقى على ما يفنى. تب إلى الله تعالى واستغفر.

السؤال 26 – سيدي عندما أقرأ الورد فإني لا أشعر بالوارد إذا جاء فما هو السبب؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

من كان له ورد لا بد له من وارد, فكل ورد له وارد شعر به الذاكر أو لم يشعر. والله تعالى هو أعلم بمصالحنا فربما أن يأتي الوارد إلى القلب ولا يشعر به صاحبه في الحال لأنه ربما يغتر ويدخل عليه العجب, فمن رحمة الله عز وجل بالعبد عندها أن لا

يشعره بالوارد. كيف لا يكون وارد أثناء الورد والذاكر يجالس ربه تبارك وتعالى؟ هذا لا يكون, فالورد له وارد وهذا محقق ظهر أثره أو لم يظهر.

السؤال 27 – سيدي كيف السبيل لرفع الهمة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

ليس المعول عليه كثرة العمل بل قبوله عند الله تعالى, فالواجب على العبد أن يعلم أولاً: أن الهمة العالية لا تخرق سور القدر. ثانياً: الالتزام بأوامر الله تعالى مع الموافقة التامة للنبي صلى الله عليه وسلم هذا يعين العبد المؤمن على الهمة العالية. والمهم أن نتحقق بالعبودية لله تعالى. لأن كثرة العبادة لا تدل على الوصول إلى الله تعالى إلا إذا ظهر أثرها على الجوارح بأن تتبدل الصفات الناقصة بالصفات الكاملة, والصفات الذميمة بالصفات الحسنة, فلا بد بعد الذكر والعبادة من المجاهدة, فإذا تخلينا عن الصفات الناقصة, وتحلينا بالصفات الكاملة ارتفعت الهمة بإذن الله تعالى لأنه في هذه الحالة يتحرر القلب من تسلط النفس الأمارة بالسوء عليه. نرجو الله عز وجل أن يقوي جنود قلوبنا على جنود نفوسنا. آمين.

السؤال 28 – سيدي ما هي مواطن الغفلة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

مواطن الغفلة كثيرة منها: عند أكل الطعام, وعند المعاشرة, وعند قضاء الحاجة. والمؤمن قد تدوم معه الغفلة وقد يخرج من الغفلة, فكلما استرسل مع نفسه وشهواته دامت الغفلة, وكلما جاهدها وخالفها خرج من الغفلة, فلا بد من كثرة الذكر حتى نخرج من الغفلة.

السؤال 29 – سيدي هل استعداد الترقي موجود عند كل مؤمن؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

استعداد الترقي موجود عن كل مؤمن, ولكن بعضهم يستخدم هذا الاستعداد, والبعض الآخر يهمله. والترقي على قسمين:

القسم الأول: ترقٍ معنوي والمؤمن عنده الاستعداد لكي يترقى حتى يصل إلى ما لا يصله الملك, وهذا يكون بعد الالتزام بالشريعة بكثرة الذكر لله تعالى.

القسم الثاني: ترقٍ مادي وهو موجود عند كثير من الناس, فتراهم مخترعين ومبتكرين في العلوم الكونية. وجميع الناس لا ينكرون هذا الترقي في العلوم الكونية لأنه محسوس عندهم ومشاهد ومبني على أساس العقل, إلا أن البعض ينكر الترقي في الأمور المعنوية, وهذا لضعف في قلوبهم لأن الترقي في الأمور المعنوية مبني على أساس من الإيمان وهو غيبي, والفارق كبير بين الترقي الأول والترقي الثاني, والواجب على العاقل أن لا ينكر الترقي الأول ولو لم يصل إليه, كما أنه لا ينكر الترقي الثاني مع عدم وصوله إليه.

السؤال 30 – سيدي ما هي صفة العبد؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

صفة العبد البعد بسبب غفلته عن الله تعالى واتباع شهوات نفسه, و صفة الله تعالى القرب, كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة/186). وهذا القرب ليس قرباً بالجهة فهو منزه عن الجهة والمكان, فهو قريب بالنظر لعباده وبالتجاوز عنهم وقبول التوبة منهم فصفة العبد البعد وصفة الرب القرب, لأن العبد من حيث هو, هو في مركز العدم وحضيض الفناء فلا يمكنه القرب من الرب. أما الحق سبحانه وتعالى فهو القادر على أن يقترب بفضله وبرحمته من العبد, والقرب من الحق إلى العبد لا من العبد إلى الحق. وما دام العبد ملتفتاً إلى غرض نفسه لم يكن قريباً من الله تعالى, لأن ذلك الغرض

يحجبه عن الله تعالى, فالإنسان وكل ما يتعلق به وما يصدر عنه فانٍ والله تعالى هو الباقي. وإذا كان الأمر هكذا وجب الاعتماد على الباقي لا على الفاني, ومن جملة ذلك الاعتماد على مراقبة الله عز وجل قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء/1) لا على المشاهدة الحاصلة للعبد.

السؤال 31 – سيدي لماذا يتعلق الإنسان بنفسه مع علمه أنها أمارة بالسوء؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا كان عالماً بأن نفسه أمارة بالسوء ووقف على حقيقتها ثم بعد ذلك تعلق بها فهذا لجهله وحماقته ولعدم خروجه من حظوظه, وأما إذا لم يكن عالماً بها فهذا لضعف إيمانه بكلام ربه عز وجل, وكلاهما ما عرفا قدر نفسيهما وبالتالي ما عرفا قدر الله تعالى, ومن لم يعرف قدر ربه عز وجل كيف يتمكن من متابعة النبي صلى الله عليه وسلم؟.

السؤال 32 – سيدي ما هو طريق الوصول إلى معرفة الله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

طريق الوصول إلى معرفة الله تعالى, ومعرفة صفاته وعظمته هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مع التمسك بالشريعة, فمن وصل إلى معرفة الله عن هذا الطريق يحصل له كمال الإيمان. فكمال الإيمان لا يحصل إلا بكمال المعرفة, وبالمعرفة تثبت العبودية, ولا يلزم العبد أن يكون متعلقاً بالمعرفة ويبتعد عن العبودية, عليه أن يلتزم العبودية لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات/56) لأن المعرفة شيء مطلوب خارج العبودية, وهي غير ذات الله تعالى. وإذا ثبتت العبودية عند العبد ثبت عنده أصله وأصله العدم, ومن كان هذا أصله لا يكون له مطلب, وما يصدر عنه يراه من الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (سورة النحل/53).

والحاصل: العلم ليل العبادة, والعبودية ثمرة المعرفة, وأعلى مقام في الدين هو العبودية قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ (سورة الكهف/1) فوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام تنزل الوحي بالعبودية لا بالنبوة والرسالة. والتلذذ بمقام العبودية فوق كل المقامات.

السؤال 33 – سيدي هل الذكر أفضل أم تلاوة القرآن الكريم؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

قراءة القرآن الكريم عين الذكر, لأن القرآن الكريم هو أساس كل شيء. فلا بد من تلاوة جزء من القرآن الكريم في كل يوم, وبعد التلاوة لا بد من تطبيق أوامر الله عز وجل فمن جملة ما أمر قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴾ (سورة محمد/19) فإذا ذكرنا لا إله إلا الله ننوي تطبيق الأمر بذكر أفضل كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله. وإذا ذكرنا لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ ننوي امتثال أمر الله عز وجل حيث قال: ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (سورة المزمل/8).

السؤال 34 – سيدي هل تعرض أعمال المريد على مرشده؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم: [فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم] (رواه البزار وقال الحافظ العراقي: ورجاله رجال الصحيح) وأما أسيادنا رضي الله عنهم فإن أرواحهم الطيبة تفرح باستقامتنا على شرع الله عز وجل, ونحن ننتفع ببركاتهم ما دمنا على مسلكهم.

السؤال 35 – سيدي كيف ينتقل السر من المرشد إلى المريد؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

ينتقل السر من المرشد إلى المريد بستة أمور:
بالمرافقة والموافقة والخدمة والتسليم والنظر والمحبة.
السؤال 36 – سيدي هل يمكن رؤية الله تعالى في المنام؟
أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

هذا يحصل لبعض المؤمنين والمؤمنات, ولكن بشروطه المقيدة, وعلى رأسها قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى/11). فَيُرى بدون شكل ولا تجسيم, والواجب علينا المحافظة على حدود الله تعالى, واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نلقى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الله. اللهم أكرمنا بذلك.
السؤال 37 – سيدي كيف يحافظ المريد على قلبه حتى لا يؤثر فيه الخلق؟
أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الدنيا ليست لك وحدك, فهي للأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين,وكذلك للكفار والمنافقين فهي للجميع, وكل واحد يأخذ حصته منها بمقدار ما قسم الله له, وكل واحد مسؤول يوم القيامة عن التكاليف الشرعية, ولا يُسأل أحد عن أحد لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (سورة الأنعام/164) العاقل من اشتغل بما كلف به, وحافظ على قلبه حتى لا يتأثر من الخلق مدحاً ولا ذماً, ومن كان صادقاً في نيته يكون الذم عنده أنفع من المدح, لأن المدح يحرك في النفس العجب والغرور والتكبر وغير ذلك من صفات النقص, أما الذم فإنه ينقص من غرورها وعجبها وشهواتها وهذا أحسن.

ولا يمكن أن تحافظ على قلبك إلا بكثرة الذكر لله تعالى مع الحضور التام الدائم, فأكثر من الذكر وتلاوة القرآن الكريم, ونرجو الله تعالى أن يحفظنا من شر أنفسنا ومن شر نفوس الخلق أجمعين.
السؤال 38 – سيدي هل يكون الشيخ أو الأخ حاجباً عن الله تعالى؟
أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا كانت المحبة متعلقة بالشيخ فقط دون الإيمان فإنها تكون حجاباً عن الله عز وجل, وأما إذا كان الحب للشيخ متعلقاً بإيمان الشيخ المتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم. فإنه لا يكون حجاباً عن الله تعالى ولو أحب شيخه. لأن حب الشيخ ليس لذات الشيخ بل لما هو قائم في هذا الشيخ من إيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم, ومن معرفة بالله عز وجل. تغلو الديار بأهلها وترخص.
السؤال 39 – سيدي بعد دخولي في الطريقة أصبحت أعاني من شدة المعارضة من أهلي فما هو العمل؟
أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

دخول الطريقة للتخلص من العيوب شيء مرغوب فيه, لأنه لا يخلو أحد من عيب, والارتباط بالأسرة أم مهم للمؤمن, فلا بد من المداراة للأهل. الطريقة تجمع ولا تفرق فلا بد من الحكمة وحسن الخلق مع الأهل. فإذا شدد الأهل عليك فدارِهم, وإذا وجدت الفرصة للقاء إخوانك والأخذ بنصائحهم فافعل لأن هذا أنفع, وإلا فاصبر وفوض أمرك إلى الله تعالى, والله يتولاك ويعطيك إن كنت من الصالحين الصادقين قال تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف/196) فإذا تولاك الله عز وجل تكون محفوظاً بإذن الله تعالى ولكن عليك أن تأخذ بالوصايا والنصائح وتطبق على نفسك, ولأن وجدت صعوبة في ذلك فلا بد من المجاهدة, وتفويض الأمر إلى الله تعالى.
السؤال 40 – سيدي طبيعتي البشرية الكثيفة كيف يمكن أن أرقيها؟
أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الطبيعة البشرية لا يمكن أن تتغير إلا بالإيمان, وكلما قوي الإيمان في القلب خرج صاحبه من المخالفات والأخلاق الذميمة المخالفة للقرآن الكريم. ونحن لا نشك في إيمان المؤمنين ولكن لا نعتمد على أفعالهم, لأنا نرى بعض المؤمنين أفعالهم ليست أفعال المؤمنين.لذلك يجب عليك أن تقوي إيمانك بكثرة الذكر لله تعالى, وأن تجاهد نفسك لتتخلص من الأخلاق الذميمة وتتحلى بالأخلاق القرآنية, فإن فعلت ذلك خفت طبيعتك البشرية بإذن الله تعالى.

السؤال 41 – سيدي هل يجوز للمؤمن أن يتكلم عن الأذواق والأنوار إذا أتته أم لا؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

واجب المؤمن الصوفي أن يتكلم مع الناس بما كلفوا به من الأحكام الشرعية والأوامر الإلهية لأن الحديث في هذا المجال هو النافع بإذن الله تعالى, أما الحديث عن الأذواق والأنوار والتجليات قد ينكرونه عليه, فإن كان ولا بد عليه أن يتكلم مع من تذوق هذا حتى لا ينكر عليه. والمؤمن الصادق ميزانه الالتزام بالشريعة لا الأذواق والأنوار لأنه قد يخدع.

السؤال 42 – سيدي ما هو سبب الخوف من قول الحق عند الإنسان؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لا بد للداعي من قوة الشخصية, وألا يراقب إلا الله تعالى, وأن يكون على يقين أن الخفض والرفع بيد الله عز وجل, فقل الحق في مكانه ولا تلتفت إلى مرتبة الإنسان ولا إلى شخصيته بدون ترك الأدب, ومن لم تكن له قوة الحق فإنه يسقط من مرتبته ولو كان مرتفعاً, وهذه القوة لا بد لها من المجاهدة.

السؤال 43 – سيدي نرى أحياناً مؤمناً وأفعاله مخالفة لمقتضى الإيمان, ونرى كافراً وأفعاله حسنة, فيميل القلب للكافر وينفر من المؤمن, فهل هذا صحيح؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

نحن نرجح أهل الإيمان على أهل الكفر, وهم مقدمون عندنا وذلك لشرف الإيمان, ولأنهم جاؤوا بأفضل الطاعات, وأهل الكفر جاؤوا بأخبث المعاصي والمنكرات, فكيف يُرجح الكافر على المؤمن؟ هذا لا يجوز. ثم نقول بعد هذا: إنا نجد في بعض المؤمنين بعض الأفعال المخالفة ونجد في بعض الكافرين بعض أفعال المؤمنين, فليس كل مؤمن كل أفعاله موافقة, وليس كل كافر كل أفعاله مخالفة. ولكن الكافر لا يؤجر على أفعاله الموافقة يوم القيامة لأن الله تعالى لا يقبل العمل الصالح إلا إذا كان مبنياً على أساس من الإيمان مع وجود الإخلاص, إلا أنه يأخذ أجره في الدنيا إما حساً وإما معنىً من حب الثناء والمدح والشهرة والمكانة عند الناس والاحترام والأموال وما شاكل ذلك.

أما بالنسبة للمؤمن إذا كانت بعض أفعاله مخالفة فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء حاسبه. ولكن يجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى ويرجع ويستغفر لأنه لا يليق بالمؤمن أن يفعل الأفعال المخالفة وهو يزعم أنه محسن الظن بالله تعالى, لأن العبد إذا أحسن الظن بالله تعالى أحسن العمل, فرحمة الله قريبة من المحسن, والمحسن هو الذي دخل دائرة الإحسان فعبد الله تعالى كأنه يراه, فإن لم يكن يراه فهو موقن بأن الله يراه, لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء/1) نرجو الله تعالى أن يعفو عن تقصيرنا ويلحقنا بالصالحين إنه على ما يشاء قدير.

السؤال 44 – سيدي أحب الاستماع إلى المواعظ كثيراً ولكن يصعب عليّ العمل, فما هو الحل؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

استماع المواعظ هذا سهل على جميع المؤمنين, لأن فيه حظاً للنفس بدون جهد, أما العمل بتلك المواعظ يكون شاقاً على النفوس الأمارة بالسوء, والغاية من السلوك في الطريق هو العمل بالشريعة فلا بد من العلم أولاً ثم مجاهدة النفس بالتطبيق

ثانياً, ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت/69) والذي يزيل عنك مشقة التكليف كثرة ذكرك لله تعالى مع المراقبة. اللهم وفقنا لذلك.

وإني أرى البعض يتمسكون بالقول فقط دون العمل, وهذا نقص, وخاصة في بعض الدعاة, فمن وعظ الناس بقوله فقط ضاع قوله, ومن وعظهم بفعله وحاله وقوله نفذ قوله إلى قلوبهم.

التصوف ليس بالقيل والقال وكثرة الكلام والطعام بل بالمجاهدة في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال, نسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك.

السؤال 45 – سيدي نعاني كثيراً من مشكلة النظر إلى النساء, فما هو علاج هذه المشكلة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

تقولون النساء النساء, وأنتم تأكلون كثيراً وتشربون كثيراً, وتنظرون إلى النساء, وتتكلمون معهن, ولا تقرؤون القرآن, ولا تذكرون الله إلا قليلاً, إذا كان هذا حالكم فكيف تجاهدون أنفسكم؟ لا بد من قلة الطعام, وكثرة الذكر وتلاوة القرآن, ثم مجاهدة النفس الأمارة بالسوء لأن الله أمر بقوله: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (سورة النور/30) هذا أمر الله لك قبل أن تأمرك النفسُ بالنظر إلى النساء فلا بد من تقديم أمر الله تعالى على أمر النفس, حتى تفوز بالسعادة الأبدية. اللهم أكرمنا بذلك يا أرحم الراحمين.

السؤال46 – سيدي ما هي الأمور التي يجب على المؤمن أن لا يغفل عنها؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أولاً: لا تغفل عن ذكر الله تعالى, وكن لله ذاكراً, وقيد ذكرك بالكثرة مع الحضور التام الدائم.

ثانياً: لا تغفل عن مجاهدة نفسك الأمارة بالسوء واسجنها تحت مراقبة الله عز وجل ولا تأمن شرها.

ثالثاً: لا تغفل عن تلاوة القرآن الكريم, اقرأ كلام الله تعالى بفهم وتدبر وحضور قلب.

السؤال 47 – سيدي أريد منكم وصية أتمسك بها جزاكم الله خيراً.

قال حفظه الله تعالى:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله, وبعد:

أولاً: اربط جوارحك الظاهرة والباطنة بالشرع الشريف.

ثانياً: نزه قلبك من محبة الأغيار.

ثالثاً: أكثر من ذكر لا إله إلا الله, حتى تزول الأغيار من قلبك ثم نوره بالصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: عليك بترك المعاصي بالكلية.

خامساً: عليك بكثرة الطاعات بعد أداء المفروضات.

السؤال 48 – سيدي نرى بعض الناس يطعن في الطرق فما هو سبب ذلك في رأيكم؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

بعض الناس ينقدون أهل الطرق, لأن بعض أهل الطرق يرجحون كلام شيوخهم على بعض الأحكام الشرعية. والبعض الآخر يتمسك بأقوال المشايخ ويُسقط بعض الأحكام الشرعية, وكل هذا مخالف, فلا بد من التمسك بالشريعة وخلع ما سواها, لأن الشريعة أصل والأصل لا يترك أبداً.

السؤال 49 – سيدي نرى بعضهم يدعي أنه من أهل التصوف ولكن له مخالفات شرعية واضحة, فهل ينتفع هذا من انتمائه لأهل التصوف؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

ادعاء التصوف أو الانتماء لأهله لا يغني إذا لم يلتزم بشرع الله عز وجل, واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, ورأسمال هذا الأمر الصدق الذي فقد عند بعض الناس. والدخول في الطريق ليس شرطاً لدخول الجنة, بل شرط دخول الجنة الإيمان, والطريق شرط لمن أراد أن يدخل في مقام العبودية لله عز وجل.

السؤال 50 – سيدي هناك من ينقد أهل التصوف هل نجادلهم أم لا؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الذين ينقدون أهل التصوف على قسمين:

القسم الأول: ينقد بغير فهم, ومن نقد بغير فهم لا يلتفت إليه لأنه أحمق ولا يبحث عن الحق ولا الحقيقة وجواب الأحمق السكوت.

القسم الثاني: ينقد ويشكك في التصوف وذلك بسبب الحقد والحسد وتعلقه بحظوظ نفسه, هذا كذلك لا يلتفت إليه وجوابه السكوت.

أما من نقد أهل التصوف وكان نقده بعلم وعن محبة وإخلاص لدينه, فإنا نسمع نقده, ونعرضه على الكتاب والسنة فهو على الرأس والعين, وإلا نرمي ذاك النقد ونترك الجدل نحن وإياه ونلتزم الحق لأن الحق أحق أن يتبع. ولصوفي الصادق لا يصر على المخالفات الشرعية, ولا يتعمد فعل المعصية فإذا وقعت منه مخالفة فإنها تقع خطأ ونسياناً, وإذا ذُكّر بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يعاند ولا يبرر بل يرجع ويستغفر ويتوب إلى الله تعالى, هذا هو الصوفي الحق.

السؤال 51 – سيدي هل العمل في الدنيا يضر الإنسان المؤمن؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

عمل المؤمن في الدنيا لا يضر بإيمانه ولا يعني أنه متعلق بها, كما أن ترك العمل في الدنيا ليس دليلاً على الزهد فيها لأنه قد يكون كسلاً. ولكن الذين يعملون في الدنيا على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: يعمل في الدنيا, كسبه من حلال, ولا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله, جسده في الدنيا يعمل وقلبه حاضر مع الله, هذا القسم لا تضره الدنيا بإذن الله تعالى, وهذا القسم ممدوح.

القسم الثاني: يعمل في الدنيا وكسبه من حلال, إلا أنها تمكنت من قلبه, فهو في الدنيا أثناء صلاته وذكره وعبادته. مشتغل بجمع المال, ومنغمس في الدنيا, هذا أضرته الدنيا ولكن مع سلامة إيمانه.

القسم الثالث: يعمل في الدنيا قلباً وقالباً, وباع دينه بعرض من الدنيا قليل, هذا أضرت به الدنيا حتى ذهبت بدينه والعياذ بالله تعالى.

فالعمل في الدنيا ليس مذموماً بكل صوره, بل المذموم منه ما كان يلهي صاحبه عن ذكر الله تعالى قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ (سورة المنافقون/9) فحذر الله تعالى من الالتهاء, ولم يحذر من العمل فيها, فمن اشتغل في الدنيا بجوارحه الظاهرة وقلبه معلق بالله عز وجل فإن الدنيا لا تضر إيمانه بإذن الله تعالى.

السؤال 52 – سيدي ما رأيكم لو عمل الإنسان في الدنيا بمقدار طاقته بقصد خدمة المسلمين؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الطاقة التي جعلت في الإنسان ما جعلت لصرفها للدنيا فقط, قال تعالى: ﴿ وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (سورة القصص/77) فاعمل في الدنيا بمقدار الحاجة, لأنك لا تضمن نفسك من الفتنة إذا كثر المال, ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. نسأل الله السلامة.

السؤال 53 – سيدي ما هو أقصر طريق لعزة الإنسان المؤمن؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

المؤمن الصادق عزيز, وعزه محفوظ ما لم يختلط بالأغنياء ولم يأخذ منهم شيئاً, أو اختلط بهم ولم يأخذ منهم شيئاً, فإذا كان هذا وصفه يكون عنده الفقراء والأغنياء سواء, لأن عزة المؤمن تذهب بذلة السؤال, وعزة الغني تذهب بعدم الأخذ منه شيئاً. والعز الحقيقي بقدر دين الإنسان, والمؤمن ينزل الناس منازلهم من حيث الدين والتقوى. علينا أن نكون هكذا نرضى بما قسم الله لنا, نتواضع للمؤمنين الفقراء ونتعزز على من اعتز بغناه ونفوض أمره إلى الله تعالى.

السؤال 54 – سيدي ما هو مفتاح الوصول إلى الله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

مفتاح الوصول بيد الفتاح وهو المعطي, وعليك أن تكتفي بطاعتك وعبادتك والفتح من الله, فلا تطلب من الله تعالى إلا العبودية المرضية عنده, واحذر أن تمنّ بالعبادة وتطلب الفتح بسببها, فإذا فتح الله عليك, فتح بمحض الفضل وهو الجواد الكريم.

السؤال 55 – سيدي ما هي ثمرة السلوك في الطريق؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

ثمرة هذا الطريق للمؤمن الصادق في الدنيا يدخل دائرة الإحسان فيعبد الله تعالى كأنه يراه, ويتحقق بالعبودية لله عز وجل, وفي البرزخ وما بعده يلتحق بتلك الجماعة النورانية التي تنتظره في عالم البرزخ, نرجو الله أن يكرمنا بذلك.

السؤال 56 – سيدي هل دخول الخلوة بدون إذن من مرشد يشوش على الذاكر؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الذين يدخلون الخلوة على ثلاث أقسام:

القسم الأول: يذكر الله تعالى امتثالاً لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب/41) ولكن تحت إشراف وارث من وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لو فتح على هذا المؤمن فالوارث يعرفه الصواب من الخطأ, لأنه سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد.

القسم الثاني: يذكر الله تعالى في خلوته امتثالاً لأمر الله تعالى ولأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولكن بدون إشراف وارث ولا يفتح عليه, فهذا القسم لا يشوش عليه لأن ذكره مع الغفلة فهو في خلوة بجسده وقلبه خارج الخلوة.

القسم الثالث: يذكر الله تعالى في خلوته وبدون إشراف وارث من وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد يتوهم أنه فتح عليه ويختلط عليه ولا يستطيع أن يميز فيشوش عليه.

السؤال 57 – سيدي كيف يتحقق المريد بالفناء في شيخه؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الفناء في الشيخ ليس ركناً من أركان السير والسلوك بل الأخذ بالتوجيهات والأوامر وتطبيقها على الجوارح هذا ركن وأساس, ولكن لا بد من المحبة لخادم الطريقة ومن شروطها التعلق بإيمان الشيخ لا بشبحه, فإذا حصلت هذه المحبة لشيخه وشيخه متصل

برسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند الصحيح المتصل, عندها يترك المريد مراده لمراد شيخه, ومراده أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

السؤال 58 – سيدي عندما يكون المريد مع شيخه يكون محافظاً ولكنه إذا خرج من عنده تغير, فهل هذا من النفاق؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

عندما يكون المريد صادقاً مع شيخه, ومعتقداً بأنه موصول برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يحسن صحبته مع شيخه, وتراه مستقيماً ولا يخالفه البتة. ولكن يجب على المريد إذا خرج من عند شيخه أن يكثر من ذكر الله تعالى حتى يحسن الصحبة مع الله تعالى, لأن الله تعالى مع عبده في سفره وحضره, وخلوته وجلوته, وفي حال حياته زموته, فلا بد من تقوية الإيمان حتى يشعر بتلك المعية, فإذا شعر بتلك المعية و العظمة فإنه لا يعصي الله, وإذا عصاه فإنه لا يصر فيرجع ويتوب ويستغفر الله عز وجل.

السؤال 59 – سيدي بماذا تنصحني في هذا الظرف الذي كثرت فيه الفتن؟ وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

العبد إذا كان صادقاً في طلب نجاته من الأهواء والشهوات عليه أن يتمسك بحبل الله المتين, الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في متناول الأيدي لمن طلب النجاة. وما رأينا عاقلاً وقع في البحر وبجانبه حبل النجاة ولم يتمسك به. فعلينا جميعاً أن نتمسك بحبل الله المتين, الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو في متناول الأيدي لمن طلب النجاة. حتى نخرج من الدنيا على السلامة إن شاء الله تعالى.

السؤال 60 – سيدي هل من فعل أفعال المنافقين يحشر معهم في الدرك الأسفل من النار؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

النفاق على قسمين: نفاق اعتقادي ونفاق عملي, فإذا مات الإنسان وهو منافق نفاقاً اعتقادياً والعياذ بالله فهو في الدرك الأسفل من النار, وإذا تاب قبل موته فهو مشمول بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ (سورة الفرقان/70) أما صاحب النفاق العملي, فبالإجماع أنه لا يخلد صاحبه في النار, وأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء حاسبه إذا مات على النفاق, وهذا المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب/24) وإذا تاب إلى الله تعالى قبل موته فهو مشمول بقول الله تعالى: ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ (سورة الزمر/53).

السؤال 61 – سيدي بأي شيء توصيني جزاكم الله خيراً؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

بعد التوبة لله والمحبة والتسليم لخادم الطريقة أوجهك إلى ثلاثة أمور:

أولاً: تفكر في كل عمل تقوم به هل هو موافق للشريعة أم لا؟ فإن كان موافقاً قم به وإلا فدعه.

ثانياً: اتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما تفعله من كعام وشراب وقيام وجلوس ودخول وخروج.

ثالثاً: إذا أردت الصلاة فصلها كأنها آخر صلاة لك في هذه الدنيا, لتتحقق بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون/1).

السؤال 62 – سيدي ما معنى قول الله تعالى: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب/8)؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

هذا السؤل للصادق عن صدقه حتى يظهره الله تعالى للعبد, ويحصل عنده ما كان خفياً عنه, لأنه يدعي أنه صادق فيوقفه الله تعالى على حقيقة الصدق, ولقوم الحجة له أو عليه, أما الله عز وجل فإنه يعلم العبد وحقيقته وما توسوس به نفسه قبل وجود العبد. وما دام الله تبارك وتعالى سيسأل الصادق عن صدقه, فوجب على العبد المؤمن أن يكون دائماً وأبداً على حالة خوف ووجل من الله تعالى, وإذا كان هذا في حال الصادقين, فكيف بحال غيرهم؟

السؤال 63 – سيدي ما هو أقصر طريق نسلكه حتى تكون العبادة لائقة بربنا عز وجل؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

حتى تكون العبادة لائقة بربنا جل وعلا, لا بد أن تكون موافقة للشريعة, وأن تؤدى كما أداها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصدق والإخلاص. ومن فهم الطريق حقيقة فإنه إذا نظر إلى عمله وعبادته وجدها غير لائقة بربه عز وجل, فهو يأتي بالعبادة موافقة للشريعة وبعدها يكون على خوف وعلى وجل أن لا يقبلها الله تعالى, لذلك نرى الصادق بعد عبادته يتضرع إلى الله تعالى حتى يقبلها منه, وكيف تكون عبادة العبد الفاني لائقة بالله عز وجل القديم الباقي؟ فترى هذا الصنف في حالة وجل لأن قبول العمل عند الله عز وجل, وهذا غائب عنهم كلياً, نرجو الله تعالى أن يعاملنا بفضله لا بعدله. آمين.

السؤال 64 – سيدي كيف يتخلص الإنسان من الهوى ووسوسة الشيطان؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

المؤمن يتخلص من الهوى بالمجاهدة لنفسه الأمارة بالسوء لأن الهوى متعلق بها. ويتخلص من وسوسة الشيطان بكثرة ذكره لله تعالى مع الحضور التام. فإذا جاهد نفسه حتى تخلص من هواه, وأكثر من ذكر ربه تعالى حتى تخلص من وسوسة الشيطان عند ذلك يحلو له اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ويتلذذ بالعبودية ولا يجد مشقة في العبادة, وهؤلاء هم أولياء الله تعالى حقاً, ترى قلوبهم في حالة الحضور التام الدائم, وإذا حام الشيطان حول قلوبهم فإنه يرجع بالخيبة والخسران, وإذا رجع بالخيبة والخسران عندها ينظر العارف بقلبه في ملكوت السموات والأرض, لأن قلبه مثل الزجاج ليس عليه غبار.

أما إذا لم يجاهد المؤمن نفسه, ولم يذكر ربه تبارك وتعالى أو ذكر مع الغفلة, عندها يكون الشيطان عوناً لنفسه فيصير القلب غافلاً ويسترسل مع الشيطان. وصاحبه يتبع هواه والعياذ بالله تعالى. فالواجب على المؤمن أن يكون مع الصادقين والأولياء العارفين الذين حافظوا على قلوبهم كما يحافظ قائد السيارة على سيارته أثناء سيرها, حتى يسري الحال منهم إليه. اللهم لا تحرمنا صحبة الأولياء وبركتهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

السؤال 65 – سيدي ما هي الأمور التي تنجي من عذاب الله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

ستة أمور تنجي من عذاب الله تعالى:

1 ً – رحمة أرحم الراحمين.

2 ً – شفاعة شفيع مطاع.

3ً – التوبة الصادقة.

4ً – الاستغفار.

5ً – فعل الطاعات.

6ً – الصبر على المصائب.

السؤال 66 – سيدي كيف يكون السير الحقيقي إلى الله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

السير الحقيقي إلى الله تعالى لا يكون إلا إذا أخذ المؤمن القرآن الكريم باليد الأولى, والسنة السنية باليد الثانية, ولسانه يلهج بذكر الله تعالى.

السؤال 67 – سيدي كيف يتخلص المؤمن من الغرور إذا مدح؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الناس يمدحونك بحسن ظنهم فيك, فكن أنت ذاماً لنفسك لما تعلم منها, كيف تترك اليقين بالظن,فأنت أعلم الناس بنفسك فكن على حذر منها, ولا تغتر بمدح المادحين فإن مدحهم لك لا يوصلك إلى الله تعالى بل قد يكون سبباً لقطيعتك عن الله عز ول, فوصولك إلى الله تعالى لا يكون إلا بمجاهدتك لنفسك, لو قال لك رجل أنت غني وتملك ألف ليرة, وأنت في الحقيقة لا تملك ليرة واحدة هل تصدقه؟ قطعاً لا تصدقه, فكيف تصدق من مدحك بشيء لم يوجد فيك؟ وإذا مدحت بشيء كان فيك أرجع ذلك إلى فضل الله تعالى عليك, وإلا عرضته للزوال.

السؤال 68 – سيدي هل في جمع المال ضرر؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

كثرة المال توقعك في ثلاث هموم:

الهم الأول: كيف تجمع المال ومن أي طريق؟

الهم الثاني: كيف تحافظ على المال من الضياع؟

الهم الثالث: كيف تصرف هذا المال؟

لذلك ننصح المؤمن أن يأخذ من الدنيا بمقدار الحاجة, وأن يكون على حذر من فتنتها لأن فتنة المال عظيمة, وقد رأينا من اتخذ دينه سبباً في أكل الدنيا والعياذ بالله تعالى.

السؤال 69 – سيدي بأي شيء يقوى العقل؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

العقل يقوى بنور الله تعالى, ويقوى بنور القرآن الكريم, والتمسك بالشريعة, لذلك ترى أهل الاستقامة والاتباع كلما تقدم بهم العمر كبر عقلهم, وأما الخرف, فإنه يصيب المنحرف عن الشريعة, ويستثنى من المرض الذي ينتاب الإنسان, فمن عمل بالقرآن والسنة ازداد عقله. ونحن نرى بعض الناس ضعيف العقل قوي الإيمان, فإذا لم يقو عقله بالاتباع فإن ضعف عقله قد يضر بإيمانه, أما إذا كان قوي العقل والإيمان فإنه يكون من أهل الاستقامة. نرجو الله تعالى الحفظ والسلامة.

السؤال 70 – سيدي أنسى كثيراً, فما هو علاج النسيان؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أغمض عينيك عن المعاصي والنظر إلى النساء, واقرأ ثلاث مرات بعد كل صلاة قول الله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسى ﴾ (سورة الأعلى/6) وقل: (اللهم ارزقني حفظ النبيين وإلهام الملائكة المقربين, ويقين الصديقين). وليكن طعامك من حلال, ولا تكثر منه.

السؤال 71 – سيدي ذكر الله تعالى عندي قليل. فأي شيء تنصحني؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

قلة الذكر لله تعالى من دأب الفاسقين, فلا بد من التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى, لأن الله سبحانه وتعالى قيد الذكر في القرآن الكريم بالكثرة, فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب/ 41). فسُلَم ترقي العبادة لله تعالى بعد أداء الفرائض والواجبات وترك المحرمات كثرة ذكر الله تعالى,لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على سائر أحواله.

السؤال 72 – سيدي من هو الصوفي حقيقة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الصوفي هو الكائن البائن, الكائن مع الله, البائن عن الخلق, أو الكائن مع الخلق صورة, والبائن عنهم حقيقة.

السؤال 73 – سيدي متى يتحدث الإنسان بنعم الله تعالى عليه؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

التحدث بنعمة الله تعالى ليس ممنوعاً, ولكن يشترط فيه عدم وجود حظ نفسه فيه. فقبل التحدث بنعمة الله عليك, فتش قلبك, ما هي نيته في ذلك؟ فإذا وجدت فيه الإخلاص فتحدث بنعمة الله عليك ولكن لأهله, ولا تقل لغير أهله, لأن هذا سر وإفشاء السر خيانة.

السؤال 74 – سيدي يخطر ببال المؤمن أحياناً أنه لِمَ يقيد نفسه بالطريق؟ فما هو الجواب على هذا الخاطر؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

يجب على المؤمن أن يفرق بين الحرية المطلقة التي لا يقيدها شيء, وبين الحرية المقيدة بقيود الشريعة, الحرية الأولى تعلقها بالنفس الأمارة بالسوء, لأنها تريد أن تكون مثل البهائم. أما الحرية الثانية المقيدة بقيود الشريعة هذه ليس فيها ضيق على المؤمن لأن الله ما كلفنا إلا بما هو في وسعنا قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (سورة البقرة/286) فالحرية الأولى مذمومة, والحرية الثانية محبوبة لأنن فيها لذة العبودية لله عز وجل, نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لذة العبودية, والطريقة ما هي إلا الالتزام بالشريعة المطهرة.

السؤال 75 – سيدي يقولون: عين المحب ضيقة, فما يعني هذا؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

هذا صحيح, لأن عين المحب الصادق لا تنظر إلا إلى شيء واحد وهو الشرع الشريف, فهو لا ينظر إلى شهواته ولا إلى حظوظه, فضلاً عن نظره إلى أخطاء الآخرين, بل إذا رأى أخطاء الآخرين سترها عن أعين الناس, وقدم النصيحة لهم سراً. فهو أولاً وأخيراً مشتغل بنفسه حتى يتمكن من إجراء الأحكام الشرعية عليها ظاهراً وباطناً.

السؤال 76 – سيدي ما هي أسهل الطرق في دعوة الخلق إلى الله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أسهل الطرق في دعوة الخلق إلى الله تعالى الحكمة والموعظة الحسنة مع الإحسان والجود, وهذا الأخير أصعب من سابقه لأن المعطي في حال العطاء كأنه يقطع قطعة من جسده. فكلما عظم الإيمان كلما كثر العطاء, ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سخياً جواداً, وكان صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة. والله سبحانه وتعالى ما أعطانا حتى نمسك, بل أعطانا لننفق, والنفقة بالاعتدال تكون لعامة المؤمنين. فليكن وعظك بالحكمة والموعظة الحسنة مع الإنفاق بالنية الخالصة لوجه الله تعالى, فلا تنفق المال لتحول الناس إلى شخصك لأنك إذا فعلت ذلك ذهب المال ولا أجر فيه. فلا بد من تحرير النية في كل أمورك.

السؤال 77 – سيدي ما رأيكم لو عمل الإنسان في الدنيا بمقدار وسعه, لا بمقدار حاجته, بقصد قضاء حوائج الناس؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

العمل في الدنيا بمقدار الحاجة أسلم, لأن من يعمل في الدنيا بمقدار وسعه وطاقته قد تفتح عليه الدنيا ويفتن فيها, وقد رأينا البعض فتحت عليه الدنيا, وكانت سبباً لقطعه عن الطريق, وسبباً لغروره وطغيانه, يقول تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى۞ أن رآه استغنى﴾ (سورة العلق/7) ومن يضمن لنفسه عدم الفتنة بعد قوله تعالى: ﴿ إنما أولادكم فتنة ﴾ (سورة التغابن/15) من يرغب بكثرة الفتنة فليكثر من المال.

السؤال78 – سيدي بم توجهني عندما أكون مع الناس؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أولاً: عليك بحسن الظن بالمسلمين فلا تظن فيهم إلا خيراً.

ثانياً: انظر إليهم بالشفقة والرحمة, وأنهم إخوة لك بالإيمان.

ثالثاً: لا تترفع على أحد من الناس لأن الأمور بخواتيمها, والله تعالى على كل شيء قدير قد يجعل الكافر ولياً وقد يفتن المؤمن فيكون كافراً.

رابعاً: اصبر على أذاهم بدون مداهنة وفوض أمرهم إلى الله تعالى.

خامساً: لا تترك النصح لهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً, ولا تطلب بالنصح مكانة ولا منزلة ولا شهرة بينهم. لأن هذا ينافي الإخلاص والصدق, انصح لله عز وجل ولا تتوقع منهم شيئاً.

السؤال 79 – سيدي يخطر في بالي أن أترك العمل في الدنيا حتى أتفرغ لعبادة ربي عز وجل فما رأيكم؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لا تترك العمل في الدنيا, لأن ترك العمل في الدنيا ليس دليلاً على الزهد فيها, بل قد يكون كسلاً, عليك أن تأخذ بأسباب الرزق حتى تكف نفسك عن المسألة والحاجة, ولكن خذ من الدنيا بمقدار الحاجة وكن قوياً بإيمانك حتى تكون من الذين مدحهم الله بقوله: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ (سورة النور/37). أما إذا ضعف الإيمان في القلب فإن الدنيا تلعب بصاحب ذلك القلب وتوقعه في الفتنة. فكن حريصاً على مستقبلك كذلك في الآخرة. والحاصل أن من اشتغل في الدنيا بجسمه, وقلبه مع الله تعالى فهو ممدوح عند الله ويكون من أغنى خلق الله تعالى, وأما إذا اشتغل القلب والقالب في الدنيا فهذا من أفقر الناس والعبرة بالقلب لا بالجسم.

السؤال 80 – سيدي أحياناً أخشى على نفسي من الرياء فأترك العمل والطاعة. فهل هذا صحيح؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا كنت تخشى على نفسك من الرياء فهذا حسن وجيد, ولكن لا تترك العمل والطاعة, بل عليك أن تصحح النية قبل قيامك بالطاعة, وأن تكون خالصة لوجه الله, ثم اشرع بالعمل ولا تلتفت إلى الوسوسة بعد ذلك, لأن تلك الوسوسة لا تضرك ولا تؤثر في العمل الصالح, إلا إذا ركنت إلى تلك الوسوسة وأخذت بها, فالنية الصالحة قبل هذا العمل أمر مهم للمؤمن. والعمل بدون تحضير النية الخالصة ينافي الصدق, فكن صادقاً في أفعالك كلها إذا كنت تدعي أنها لوجه الله تعالى.

السؤال 81 – سيدي كيف يخفف الإنسان المؤمن طبيعته البشرية؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

تخفف الطبيعة البشرية بأمور أهمها:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة السنية.

ثانياً: بإخراج حب الدنيا بكل صورها من القلب.

ثالثاً: بالصدق في طلبك.

رابعاً: بكثرة الذكر لله تعالى.

خامساً: بقلة الطعام والكلام والنوم ما لم يضر ببدنك.

السؤال 82 – سيدي أحياناً أجد المشقة في فعل الطاعات وترك المعصية فما هو العمل لإزالة تلك المشقة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

ما وجدنا ديناً فيه مشقة, لأن تكاليف الله تعالى للعبد إنما هي بوسعه, فالله تعالى ما كلفنا فوق طاقتنا. فإذا وجدنا مشقة في فعل الطاعة وترك المعصية, فإن هذه المشقة بسبب النفس الأمارة بالسوء, فلا بد من مجاهدتها.

وإذا تذوق العبد حلاوة العبادة لله عز وجل عندها تزول المشقة. ولكن إذا لم يتذوق حلاوة العبادة فيجب عليه أن لا يترك العبادة ولو وجد فيها المشقة. ويكفيه لإزالة تلك المشقة:

إيمانه بأن الله تعالى يستحق العبادة, هذا أولاً.

وعلمه بأن الله يراه ولا ينقص من أجره شيئاً, هذا ثانياً.

ولكن البعض يجد المشقة في العبادة لأنه يريد الدنيا, وهو من أبنائها, وفي نفس الوقت يريد الآخرة, وهذا لا يمكن فلا بد من المحافظة على القلب حتى لا يتمكن حب الدنيا فيه, فإذا خرج حب الدنيا من القلب وامتلأ حباً لله تعالى فأي مشقة يجدها العبد في العبادة؟

السؤال 83 – سيدي كيف يتخلص المؤمن من المعاصي؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

المعاصي التي يقع فيها العبد على قسمين:

القسم الأول: معاصٍ تتعلق بحقوق الله تعالى, هذا الجانب لا بد فيه من التوبة والاستغفار, وأن يصبر العبد على فعل الطاعة وترك المعصية, فمن تاب ونز ع واستغفر غفر الله عز وجل له, بوعده والله لا يخلف الميعاد.

القسم الثاني: معاصٍ تتعلق بحقوق العباد, هذا الجانب لا بد فيه من التوبة, وإعادة الحقوق لأصحابها, أو استحلالهم والعبد إذا لم يرع حقوق العباد فهو خائن.

السؤال 84 – سيدي اختلاطي بالناس كثير, فأي شيء تنصحني؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

لا بد لمن يخالط الناس أن يكون صادقاً معهم جميعاً لأن الصدق مع جميع الخلق واجب على المؤمن كما أنه يجب عليه أن يحب الخير لهم جميعاً. أما المحبة القلبية فلا تكون إلا للمؤمنين فقط لأن المؤمن يحشر مع من أحب. ورضا الله تبارك وتعالى مرتب على صدق العبد الفاني, والعجيب أن هذا العبد الفاني لا يأخذ بالسبب الموصل إلى مرضاة الله الباقي بسبب الرضا عن النفس واتباع الشهوات وعدم الخروج من الحظوظ النفسية.

وما ودت عبادة أخف على النفس من الصدق, فكل العبادات فيها مشقة على النفس إلا الصدق, فعليك بالصدق في كل أقوالك وأفعالك ومع كل الناس.

السؤال 85 – سيدي كل عبادة لها شروط وواجبات فما هي شروط وواجبات الصدق؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الصدق لا يحتاج إلا لنية خالصة حتى يكون الصدق مقبولاً عند الله تبارك وتعالى, وهذا متوقف على قوة الإيمان بالله تعالى وصفاته والتي من جملتها السميع البصير, فمن قوي إيمانه بهاتين الصفتين صلح جميع عمله. قال تعالى: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب/8) وقال تعالى:﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (سورة المائدة/119) فلا بد من تصحيح النية عند صدقنا, والصدق يتمم الإخلاص ويوصل إلى مراتب الإحسان.

السؤال 86 – سيدي هل الخصوصية تقتضي الأفضلية؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

نعم الخصوصية تقتضي الأفضلية فيما خُصّ به, قال تعالى: ﴿ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (سورة البقرة/10) ومن جملة الاختصاص جعل الرسالة ومن بعدها الوراثة, وفضل العالم على العابد كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أدنى واحد من الأمة. والمراد بالعالم: العالم العامل.

السؤال 87 – سيدي تصيبني أحياناً حالة فتور في العبادة فأقصر في قراءة الأوراد وتلاوة القرآن الكريم فهل يجب علي تجديد العهد والبيعة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الفتور في العبادة لا يسمى نقضاً للعهد حتى يحتاج إلى تجديد البيعة, ولكن لا بد لمن فتر في العبادة أن يشد على نفسه ويجاهدها, وأن يستغفر الله عز وجل لأن الله عز وجل شرع لنا الاستغفار فلا بد من الأخذ به, ولا نسترسل في المعاصي والمنكرات, ولا نخلد إلى الكسل. ومن ذاق حلاوة العبودية لله عز وجل ينتفي عنه الفتور.

السؤال 88 – سيدي أفكر في الناس وأرى نفسي متعلقاً بهم كثيراً فلا أدري ماذا أصنع؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا فكرت في الخلق وتعلق قلبك بهم قد ينتهي عمرك, وتذهب إلى الله تعالى وأنت صفر اليدين, فطوبى لعبد لم يُبقِ في قلبه شيئاً إلا حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم, وحب من يوجهه إلى الله تعالى. وإذا أسقطت الخلق من قلبك تنور عقلك وعرفت حقيقة نفسك الأمارة بالسوء, وكففت لسانك عن ذكر الخلق, وكنت مع الخالق تبارك وتعالى واشتغلت بنفسك امتثالاً لأمر ربك جل جلاله حيث يقول: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (سورة المائدة/105) لأنك يوم القيامة ستسأل عن نفسك لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (سورة البقرة/119). ففوض أمر الخلق لخالقهم ولا تشغل قلبك بهم ولا تترك النصيحة لهم وادع لهم في ظهر الغيب.

السؤال 89 – سيدي ما هو أقصر طريق للتحقق بالصدق؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الصدق صفة من صفات النبيين والصديقين. وإليه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم, وحتى تكتسب هذه الصفة عليك أن تتعرف على أهلها لذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة التوبة/119) فإذا عرفتهم وصاحبتهم وامتثلت أمرهم سرى إليك من صدقهم شيء. وإذا وقعت في قلبك نقطة الصدق عرفت نفسك وأصلك, ومن عرف نفسه أمارة وأصله عدماً, بدأ بإصلاح نفسه. وبداية الإصلاح لا تكون إلا بالصدق وبعدها تبحث وتتحرى الصدق حتى تكتب عند الله صديقاً.

السؤال 90 – سيدي كيف يرقق العبد الحجاب عن قلبه؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الحجب التي تكون على قلب الإنسان لا تزول إلا بكثرة الذكر لله تعالى مع الحضور التام, فإذا رق الحجاب عن القلب نظر في ملكوت السماء ببصيرته فإذا خرج من الدنيا إلى البرزخ وإلى عالم يوم القيامة لا يزداد يقيناً بل يصبح كشفاً. فالعارفون بالله تعالى الذين أزالوا الحجب عن قلوبهم لا يزداد يقينهم بعد الموت.

السؤال 91 – سيدي هل الرؤيا الصالحة خاصة بالرجل الصالح؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الرؤيا الصالحة هي للإنسان الصالح رجلاً كان أو امرأة, وفي الحديث الشريف: [لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشِّرات؟ قال: الرؤيا الصالحة] (رواه البخاري) وفي حديث آخر: [الرؤيا الصادقة من الله والحُلُمُ من الشيطان] (رواه البخاري). فالعبد المؤمن الذي يكون مستغرقاً في ذكر الله تعالى بقلبه وروحه عند نومه لا يبقى في روحه إلا معرفة الله تعالى, ومعرفة الله تعالى ونوره لا يكشفان إلا الحق والصدق. لذلك نرى الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح تأتي واضحة ويعتمد عليها. أما من كان قلبه مكدراً ومتعلقاً بالدنيا ولم يخرج من حظوظ نفسه فإنه لا يعتمد على رؤياه وتكون أضغاث أحلام.

السؤال 92 – سيدي كيف يكون التدبر لآيات الله عز وجل؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

من أراد أن يتدبر كلام الله عز وجل لا بد له أن يقرأ القرآن الكريم مع الاعتقاد بأن هذا الكلام فوق كلام البشر, وأن يتوجه إليه بكليته مع حضور القلب والروح, عندها تحصل الاستفادة إن شاء الله تعالى.

السؤال 93 – سيدي من هم أهل الله تعالى؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

أهل الله هم السابقون بالخيرات والمقربون عند الله تعالى, وهم على قسمين:

القسم الأول: محبون وهؤلاء جاهدوا في الله حق جهاده, وأنابوا إليه حق إنابته فألهمهم سبل معرفته.

القسم الثاني: محبوبون وهؤلاء أهل العناية الأزلية الذين اجتباهم وهداهم إلى صراطه المستقيم.

فالمحبون وصلوا بالمجاهدة والمحبوبون وصلوا بالعناية, والمحبون قد يصبحون محبوبين بعد قبول الله تعالى لهم, ولكنهم دون مرتبة المحبوبين بالاصطفاء والعناية, رضي الله عنهم جميعاً وألحقنا بهم بفضله ورحمته آمين.

السؤال 94 – سيدي كثير من الناس يتحدثون عن الكرامات وخرق العوائد فما رأيكم في ذلك جزاكم الله تعالى خيراً؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الاشتغال بالكرامات والكشوفات وخرق العوائد يُنسي المؤثر, ووظيفة العارفين المرشدين توجيه المؤمنين إلى شريعتهم, وإلى محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا إلى أشخاصهم, فالتحدث بالكرامة والكشف يوجه الناس إلى الشخص الذي ظهرت على يده الكرامة. ويصبح الناس خائفين من لكرامته ولخرق العوائد, وهذا كله مناف لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلا بد من توجيه المؤمنين إلى دينهم والاشتغال بتزكية نفوسهم لأنّا يوم القيامة سنسأل عن الشرع الشريف لا عن الكشف والكرامات.

السؤال 95 – سيدي المعصية تضرني وأنا أقع فيها فما هو السبيل للتخلص من المعصية؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

المعاصي تضر بالإيمان كما أن السم يضر بالأبدان, هل رأيت عاقلاً يأكل من طعامٍ تيقن وجودَ السم فيه؟ الجواب: لا يأكل منه, لأن هلاكه محقق في أكل هذا الطعام. وكذلك من عرف أن المعصية تضر بدينه وإيمانه كيف يقع فيها؟ ولكن لا بد أولاً أن تعرف ما هي

المعاصي حتى تجتنبها, فإذا عرفت المعاصي, وجب عليك أن تجاهد نفسك في ترك المعاصي إذا كنت حريصاً على دينك ومستقبلك في الآخرة. فلا تخرب مستقبلك في الآخرة بارتكاب المعاصي والمخالفات.

السؤال 96 – سيدي كيف يستطيع المؤمن أن يستفيد من دينه الاستفادة الكاملة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

من أراد أن يستفيد من دينه حق الاستفادة عليه أن يدخل في دين الله بكليته لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (سورة البقرة/208) فالمؤمن لا يستفيد الاستفادة المطلوبة من دين الله عز وجل إلا إذا خرج من كله, ودخل في كله _ أي خرج من كل حظوظه ودخل في دين الله كله _ فلا بد من الدخول ظاهراً وباطناً وإجراء الأحكام الشرعية على الجوارح الظاهرة والباطنة.

وأما دخول الجوارح الظاهرة فقط فهذا سهل حتى على المنافقين, وأما إدخال الجوارح الباطنة في دين الله عز وجل فهذا يحتاج إلى رجال أبطال تخلصوا من حظوظهم.

السؤال 97 – سيدي أرى العبادة ثقيلة على النفس فما السبيل لتخفيفها؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا وجدت ثقل العبادة على النفس وأديتها كما هي فهذا يكون أنفع للقلب, لأنه كلما صعب الأمر على النفس عظم الأجر عند الله, ورب عبادة ثقيلة يفتح الله عليك بها أكثر من عبادة سنوات. وليس المعول عليه كثرة العبادة إنما المعول عليه قبولها عند الله عز وجل. والصوفي الصادق يأخذ بالعزائم.

السؤال 98 – سيدي إذا خرج العبد من الدنيا وما عرف الله تعالى, ولكن الإيمان موجود هل يضره هذا؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

والله عار علينا أن نخرج من هذه الدنيا ونحن لا نعرف الله تعالى, والعار الأشد أنا لا نسعى إلى معرفته بسبب اشتغالنا في الدنيا. لو أعطاك رجل مبلغاً من المال فإنك لا تنساه أبداً, فكيف بمن خلقك من عدم ورزقك الإيمان وجاءك رسوله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ... وهكذا نعم لا تعد ولا تحصى, من النعم الدينية والدنيوية, كيف لا تسعى إلى معرفة الله؟ واللهِ هذا لا يليق بالإنسان المؤمن. وإذا خرج العبد من الدنيا مع سلامة الإيمان فإنا نرجو الله تعالى أن يعاملنا ويعامله بفضله لا بعدله.

السؤال 99 – سيدي إذا تعارضت الاستشارة مع الاستخارة فأيهما تُقَدَمْ؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

إذا تعارضت الاستخارة والاستشارة فقدم الاستشارة لأنها أمر من الله تعالى, والاستخارة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتقدم الاستشارة على الاستخارة لأن الاستخارة قد يدخل فيها حظٌ نفسيٌ, أما الاستشارة فلا ولكن لا بد من تحقق الصفات في المستشار:

أولاً: أن يكون أميناً.

ثانياً: أن يكون خارجاً من حظوظ نفسه.

فرأي هؤلاء مقدم على الاستخارة.

السؤال 100 – سيدي هل الدعاة على درجة واحدة؟

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

الدعاة على أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: يدعو الناس إلى الله تعالى, وإلى التمسك في الشريعة ظاهراً وباطناً, ولا يخشى في الله لومة لائم. ولا ينساق خلف أهواء الناس.

الصنف الثاني: يدعو الناس إلى الله تعالى, ويقتصر في دعوته على ظاهر الشريعة فقط, وهذا أقل درجة من الصنف الأول.

الصنف الثالث: يدعو الناس ــ حسب زعمه ــ إلى الله تعالى ولكنه انساق خلف أهوائهم وشهواتهم, ووظف دينه على حسب أهواء هؤلاء, وهذا قد يكون من الذين أكل دنياه بدينه, أو من الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم, وهذا هو الأحمق, أجارنا الله وإياكم من ذلك.

فالصنف الأول: يجب عليه أن يصبر على أذى الناس ولا يقابل السيئة بالسيئة, بل يعفو ويغفر ويفوض أمر الناس إلى الله تعالى, فهو الرقيب عليهم.

والصنف الثاني: يجب عليه أن لا يقتصر على ذلك بل عليه أن يرتقي في هذه الدعوة, وإلا فإن دعوته لا تتجاوز الآذان.

والصنف الثالث: ليس بداع إلى الله تعالى, وعليه أن يتوب إلى الله تعالى ويرجع إليه, وأن يحرر نيته وأن يكون عمله خالصاً لله تعالى, وألا يأكل الدنيا بدينه, ولا يبيعه بدنيا غيره, حتى لا يخرب مستقبله في الآخرة.

السؤال 101 – سئل حفظه الله تعالى عن قول سيدي البوزيدي رحمه الله تعالى: (إن نفسي لم تزل صغيرة وأنا ابن ثمانين سنة وإنها تأمرني بأنواع المخالفات كما كانت تأمرني في عصر الشباب).

أجاب حفظه الله تعالى بقوله:

هذا صحيح فإن النفس لا تموت ومثلها مثل الحية, فإذا جاء فصل الشتاء تراها تحت التراب أو الثلج, وإذا جاء فصل الصيف خرجت وعادت إلى ما كانت عليه, وهكذا النفس الأمارة بالسوء, بالمجاهدة تضعف, وإذا غفل عنها الإنسان عادت إلى قوتها, ومثلها كمثل الظفر إذا قلمته, فإذا لم تراقبه عاد ثانية. وقول البوزيدي رحمه الله تعالى لا يدل على أنه متبع هواه حاشاه من ذلك. بل حصل معه الوهن في المجاهدة وهو في هذا العصر يشعر دوماً بأن نفسه تحتاج إلى مجاهدة, فإذا ترك المجاهدة لها ولو بلغ من العمر عتياً فإنها ترجع عتياً فإنها ترجع إلى ما كانت عليه.

نرجو الله عز وجل أن يجعل هذا الكلام حجة لنا لا علينا, وأن يوفقنا للعمل به بجاه حبيبه المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وإنا لله وإنا إليه راجعون. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.